السياسة الخارجية الأمريكية تجاه أوروبا الغربية:

دراسة في استمرارية حلف الناتو بعد انتهاء الحرب الباردة.

American foreign policy towards western Europe:

a study in the continuity of NATO after the end of the cold war

إعداد

نسرين محمد نمر عواد

إشراف

د.سمير عوض

تموز 2006

السياسة الخارجية الأمريكية تجاه أوروبا الغربية:

دراسة في استمرارية حلف الناتو بعد انتهاء الحرب الباردة.

:American foreign policy towards western Europe

a study in the continuity of NATO after the end of the cold war

رسالة ماجستير مقدمة من الطالبة:

نسرين محمد نمر عواد

تاريخ المناقشة

31 تموز 2006

لجنة المناقشة

د. سمير عوض (رئيسا)

.....

د. نديم مسيس (عضوا) **د. هلغى باومغرتن (عضوة)**

....

" قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات الدولية من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت – فلسطين".

إهداء

إلى أمي وأبي

شكر وتقدير

أوجه الشكر والتقدير إلى كل من ساعدني على إنجاز هذا العمل، واخص بالذكر

كل من د. سمير عوض، ود. نديم مسيس، وأخيرا د. هيلغى باومغرتن.

- المقدمة والإطار النظري.....1

1. **الفصل الأول:**

- مقدمة.....

... 33

- أوروبا بعد انتهاء الحرب العالمية

الثانية.....36

- الولايات المتحدة الأمريكية عقب انتهاء الحرب العالمية

الثانية....341

- الحرب

الباردة.....52

- النظام العالمي أثناء الحرب

الباردة.....58

- نهاية الحرب الباردة...60
- الخاتمة..64....

2. الفصل الثاني:

- مقدمة...66....
- التطور التاريخي لحلف شمال الأطلسي.................................69
- نظرية التحالفات في السياسة الدولية...................................79
- سياسة التحالف في العلاقات الدولية....................................82
- اثر الأحلاف الدولية على استقرار الأنساق الدولية....................87
- خصائص النظام ثنائي القطبية...89
- حلف شمال الأطلسي..94

- تقييم سياسة التحالفات الأمريكية.....107
- الخاتمة.....111...

3. الفصل الثالث:

- مقدمة.....114...
- انتهاء الحرب الباردة وتحول النظام الدولي من ثنائي القطبية إلى أحادي القطبية.....115
- التحولات في النظام الدولي بعد انتهاء الحرب الباردة.....120
- البيئة الأوروبية بعد انتهاء الحرب الباردة.....130
- استمرارية وتوسع حلف الناتو.....139
- مواقف الدول الغربية من عملية توسع الناتو.....162
- وظائف حلف شمال الأطلسي بعد انتهاء الحرب الباردة.....173

- العلاقات الأمريكية الأوروبية بعد انتهاء الحرب الباردة.....181
- الخاتمة.....201...
- الاستنتاجات.....202...

ABSTRACT

The following study addresses the persistent existence of NATO after both the end of the Cold War and the disintegration of the Soviet Union. It takes the American perception of Europe as the source of security and stability for the United Stated as a starting point and based on this, it argues that the United States sees that the maintenance of security and stability in Europe after the end of the Cold War comes through the continuous existence of NATO.

The main hypothesis of this study maintains that the determination of the US regarding the continuity and expansion of NATO represents its specific

vision towards the European continent and its subsequent conviction that security in America relies on the security and stability of Europe.

In this context, our study examines the more important amongst theories of international relations especially those that tried to give an explanation to the developments taking place in the international system. Based on this, the first chapter addresses the period of the Cold War and the bipolar system prevailing during that very period. It also discusses those theories of international relations that were prevailing during that period in particular the realist approaches to IR

The actual problematic of this thesis starts with the disintegration of the Soviet Union, and the subsequent end of the Cold War. It is at this very moment that the problem regarding the continuous existence of NATO as a military alliance established during the Cold War began to bear on the international system. As it is known, realism maintains that an alliance will disintegrate once war comes to an end. But what really evolved instead was a NATO that the Americans would insist, that despite the disintegration of the Soviet Union, its continuous existence, would serve best the security and the stability of the United States.

The second chapter traces the historical development of NATO and tackles many of the theoretical aspects regarding alliances in international relations and their influence on the structure of the bipolar system.

The final chapter, being our fundamental chapter in this study, discusses the aims of the United States behind the continuous existence of NATO as well as the changes and amendments introduced to this alliance after the end of the Cold War. The main target here is to trace the changes that have taken place in the international system after its transformation from a bipolar to a unipolar system.

This chapter addresses as well the European role in the continuity of NATO and the reasons behind Europe's acceptance to support such continuity, this is despite the fact that many European states have tried hard to bring about the disintegration of NATO after the end of the Cold War. In addition the chapter discusses all of the emerging variants that have influenced American-European relations during the post-Cold War period. In light of this, the chapter examines also the nature of the American-European relations during the Cold War and the influence that the existence of a common enemy had on such a relationship and how this prevented the emergence of a European opposition to American foreign policy. However, in the post-Cold War period, changes in European foreign policy in contrast with that of the US began to be detected and be clearly seen.

In the end analysis, what can be said in this regard is that the US endeavors through its aim of maintaining the continuity of NATO to establish an alliance that will include a great number of the world's community of states

without having to necessarily restrict such an alliance to European states. The NATO is, in it s current expansion, including East European and Asian states especially those which are strategically sensitive to American security. The aim behind this is to ensure that none of these states will ever emerge to become an enemy of the US. In addition, the US endeavors out of this to keep such states under its influence given its control of NATO.

The US endeavors behind the establishment and expansion of such a world security organization to face any enemy that might emerge in the future including in particular terrorism and those states that are behind terrorism and the proliferation of weapons of mass-destruction as well as the reemergence of old enemies like the Soviet Union.

We conclude from all of this that, in its new form, functions and aims, NATO has become an offensive rather than a defensive organization. It is ready to interfere beyond its political borders so as to face any new enemy that might threaten American security or the security of any state that happens to be a member in its highly influenced and controlled NATO.

• المقدمة:

" من اجل مصلحة الولايات المتحدة القومية ومن اجل

الاستقرار في أوروبا، على الولايات المتحدة أن تبقى في أوروبا"

[1]Richard Hhalbroks

ستناقش هذه الدراسة التغيرات الحاصلة على النظام الدولي بعد انتهاء الحرب الباردة، وتأثير هذه التغيرات على مجريات النظام الدولي، حيث سنقوم بدراسة إشكالية استمرار حلف شمال الأطلسي، والأهداف التي تسعى الولايات المتحدة لتحقيقها من الحفاظ على استمرار حلف الناتو، الذي يعتبر من مخلفات نظام دولي قد انتهى، وما هي الأساليب والأسباب التي اعتمدتها واتبعتها الولايات المتحدة للحفاظ على الحلف، وكيف عملت على إقناع الدول الأوروبية، وخاصة دول "أوروبا الغربية" بضرورة استمرار حلف الناتو، حتى بعد سقوط الاتحاد السوفيتي الذي تشكل الحلف من اجل مواجهته.

سيتم أولا التطرق إلى العديد من الجوانب النظرية المتعلقة في الموضوع، من حيث عرض أهم نظريات العلاقات الدولية التي قد تكون لعبت دورا مهما في محاولتها لتفسير هذا الوضع الدولي، "أي قبل وبعد انتهاء الحرب الباردة " وما ترتب على ذلك من استمرار لا وبل توسع حلف الناتو، حيث سيتم هذا النقاش في سياق متسلسل، بداية مع الفصل الأول الذي يناقش البعد التاريخي للدارسة والمتشكل في فترة الحرب الباردة، وكيف أن وجود الاتحاد

[1] السكرتير المساعد للولايات المتحد للشؤون الكندية الأوروبية.

السوفيتي كأكبر مهدد لأمن الولايات المتحدة والقارة الأوروبية اعتبر كمبرر أو حتى كسبب لتأسيس حلف الأطلسي.

أما الفصل الثاني: فسوف يناقش ويتطرق للعديد من المواضيع النظرية، كعرض مختصر عن نظرية التحالفات السياسية في العلاقات الدولية، وكذلك خصائص النظام ثنائي القطبية، بالإضافة إلى عرض مفصل عن التطور التاريخي لحلف شمال الأطلسي، مع التطرق بشكل مختصر لتقييم سياسات التحالفات الأمريكية.

وصولا إلى الفصل الأخير في هذه الدراسة: الذي سيناقش انتهاء الحرب الباردة، والتحولات الحاصلة على النظام الدولي اثر انتهائها، بالإضافة إلى البيئة الأوروبية الجديدة، واهم المتغيرات والمستجدات التي ظهرت على الساحة الأوروبية بعد انتهاء الحرب الباردة، وهل هذه المستجدات تتوافق مع الرؤية الأمريكية بضرورة استمرار التواجد الأمريكي في أووربا الغربية، واستمرار حلف الناتو، كما سنوضح آلية استمرار وتوسع الناتو، وما ترتب على ذلك من مهام ووظائف جديدة أنيطت بالحلف، وما هي أهداف الدول الغربية من موافقتها وتأييدها لاستمرار وتوسع الناتو، وأخير سيتم الحديث عن موضوع العلاقات الأمريكية الأوروبية، واهم المستجدات التي طرأت على هذه العلاقات، ففي الفصول السابقة تم الحديث في أكثر من مرة عن العلاقات الأمريكية الأوروبية في ظل الحرب الباردة، وفي ظل استراتيجية مواجهة عدو مشترك.

كان هذا عرضا مختصرا لما ستحاول هذه الدراسة التطرق إليه، والقيام على مناقشته كوسيلة لإيضاح أسباب استمرار وتوسع حلف الناتو، الذي توقع العديد من المحللين انتهائه بانتهاء الحرب الباردة، وانهيار الاتحاد السوفيتي.

اعتبر مشروع مارشال بداية السياسة الأمريكية تجاه القارة الأوروبية، وخاصة دول أوروبا الغربية، التي خرجت من الحرب العالمية الثانية متكبدة للخسائر على كافة الأصعدة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، بالإضافة إلى الدمار الذي لحق بها، بهذا رأت انه لا بد من طلب المساعدة لأول مرة في تاريخها من طرف آخر خارج القارة الأوروبية، وتم ذلك متزامنا مع التخطيط الأمريكي لاحتواء المد الشيوعي للمعسكر الشرقي بقيادة الاتحاد السوفيتي "سابقا" على القارة الأوروبية.

أدركت الولايات المتحدة الأمريكية أن الدول الأوروبية وما تعانيه من مشاكل اقتصادية، أن المساعدة الأولى لها يجب أن تكون بإنعاش اقتصاد هذه الدول، حيث أن مشروع مارشال(1947م) والذي قام على تقديم منح اقتصادية للدول الأوروبية المتضررة من الحرب العالمية الثانية، والتي بلغت قيمتها حوالي" 13.3" مليار دولار أمريكي، كان الهدف من وراء ذلك هو عدم ترك الدول الأوروبية تواجه واقعها الاقتصادي المتردي مما قد يؤثر على سرعة وقوعها تحت السيطرة السوفيتية وهذا ما سعت أمريكا لمنع وقوعه.

الاستراتيجية الأخرى التي اتبعتها الولايات المتحدة الأمريكية المتزعمة للمعسكر الغربي، هي الدخول في أحلاف عسكرية مع دول أوروبية أهمها دول أوروبا الغربية، هذه

الدول التي لم تكن بعد واقعة بشكل مباشر تحت السيطرة السوفيتية كباقي الدول الأوروبية والتي اصطلح على تسميتها بدول أوروبا الشرقية.

فالولايات المتحدة الأمريكية تهدف إلى مساعدة هذه الدول الأوروبية لتجاوز عقدة الأمن وعدم الثقة فيما بينها، حيث تم ذلك بالإعلان عن تشكيل حلف شمال الأطلسي أو ما اصطلح على تسميته بحلف الناتو عام "1949" والذي كان بمثابة مظلة أمنية للدول الأوروبية، وكذلك بالنسبة لأمريكا من اجل تنظيم معسكرها الغربي لمواجهة الاتحاد السوفيتي.

طبيعة العلاقات التي تشكلت خلال هذه المرحلة ما بين دول أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية، أخذت شكلا اقرب ما يكون إلى نمط المشاركة التي تميز علاقة الاعتماد المتبادل والمصالح المتبادلة، كان هذا على النقيض مع طبيعة العلاقة التي تشكلت بين دول أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي سابقا، حيث تميزت بقربها إلى التبعية أكثر منها إلى المشاركة والمصالح المتبادلة.

لا بد أن الولايات المتحدة الأمريكية بتنمية هذا النوع من العلاقات بينها وبين دول أوروبا الغربية، كانت تسعى للحصول على وسيلة لتدعيم خطوط المواجهة مع الاتحاد السوفيتي، ولتنظيم صفوف معسكرها الغربي من اجل مواجهة المد الشيوعي للمعسكر الشرقي.

بانتهاء الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتي، وما ترتب عليه من سقوط عدو الولايات المتحدة واكبر مهدد لأمن القارة الأوروبية، وتحرر معظم دول أوروبا الشرقية من السيطرة السوفيتية بدأت مجريات جديدة على الساحة الدولية، وبالتالي هناك مستقبل جديد للنظام الدولي.

ومع سقوط الاتحاد السوفيتي، وانتهاء مخلفات الحرب الباردة، وأهمها حلف "وارسو" الذي جاء تأسيسه ردا على إنشاء حلف شمال الأطلسي، بدأت الدول الأوروبية تشعر بهذه المتغيرات، حيث رأت أن التهديد الذي كان موجها إليها من قبل الاتحاد السوفيتي فد انتهى، وبالتالي فان مبررها الرئيسي للالتفاف حول الولايات المتحدة الأمريكية لا داعي له، بالإضافة إلى أن الأسباب التي أدت إلى قيام حلف شمال الأطلسي قد انتهت، مما فرض على الدول الأوروبية ضرورة إعادة صياغة علاقتها مع الولايات المتحدة الأمريكية بما يتناسب مع المتغيرات الحاصلة على الساحة الدولية، والمتمثلة في انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتي.

وبالتالي فان العديد من الدول الأوروبية طالبت الولايات المتحدة بضرورة إنهاء حلف شمال الأطلسي، وذلك بسبب انتهاء أسباب ودوافع تشكيله، أو على الأقل تغير مهامه من أداة دفاعية إلى أداة لتنظيم الأمن والاستقرار في القارة الأوروبي، وضرورة إضفاء الصبغة الأوروبية على الحلف بدلا من الصبغة الأمريكية المسيطرة عليه.

إن محاولات أوروبا المتكررة لإعادة صياغة علاقتها مع الولايات المتحدة الأمريكية

وخاصة بعد انتهاء الحرب الباردة، وضرورة التعامل مع مستجدات الساحة الدولية وما فرضته هذه المستجدات من ضرورة إنشاء كيان أوروبي موحد ومنسجم ليكون فاعلا على الساحة الدولية، أدت إلى خروج عدة مطالب لإنشاء كيانات أوروبية مستقلة عن حلف الناتو المسيطر عليه من قبل أمريكا.

ففي عام 1991خرجت المبادرة الفرنسية الألمانية التي دعت لتشكيل قوة أوروبية مشتركة بعيدا عن الحلف، حيث رأت ألمانيا وفرنسا أن خلق جناح عسكري لدول الاتحاد الأوروبي سوف يدعم من وحدتها واستقلالها.

هذه الرؤية تم معارضتها من داخل القارة الأوروبية، فقد رأت بريطانيا ضرورة الاستمرار في الاتحاد الأوروبي كمؤسسة مدنية واقتصادية، هذا بالإضافة إلى رفض الولايات المتحدة الأمريكية لهذه الرؤية، وأكدت على ضرورة استمرار حلف شمال الأطلسي كأداة للدفاع والأمن الجماعي، وهذا مع ضرورة إدخال بعض التغيرات على أهداف الحلف، ووسائله لضمان استمرار يته وفعاليته، فأدركت الولايات المتحدة الأمريكية أن انتهاء حلف شمال الأطلسي يعني انتهاء سيطرتها على القارة الأوروبية التي تشكل خط دفاع للأمن القومي الأمريكي.

من هنا تسعى هذه الدراسة إلى دراسة السياسة الأمريكية تجاه القارة الأوروبية" أوروبا الغربية" وخاصة بعد انتهاء الحرب الباردة، فالتمركز الأمريكي في أوروبا أثناء الحرب الباردة كان مبررا بضرورة احتواء المد الشيوعي ومواجهة التهديد السوفيتي لأمن

أمريكا وأمن القارة الأوروبية، أما بعد انتهاء الحرب الباردة وزوال الخطر الشيوعي الذي كان محيطا بأوروبا وأمريكا وانهيار الاتحاد السوفيتي وحلف وارسو، فان هذه المتغيرات فرضت على المنطقة بشكل عام مستجدات جديدة لا بد من التعامل معها.

من أهم هذه المستجدات، انه لا يوجد تبرير واضح لإصرار أمريكا على استمرار حلف شمال الأطلسي بالرغم من انتهاء أسباب وجوده كما اشرنا سابقا، وتبعا للنظرية الواقعية فانه بانتهاء الحرب تنتهي كافة مخلفاتها، ولكن حلف شمال الأطلسي ما زال قائما وما زالت أمريكا تقوم على توسيعه وضم عدد اكبر من دول أوروبا الشرقية لعضويته.

وبالتالي سيكون النقاش الأساسي لهذه الدراسة هو "السياسة الأمريكية تجاه القارة الأوروبية بعد انتهاء الحرب الباردة تحديدا من خلال حلف شمال الأطلسي، باعتباره ناظما للعلاقات الأمريكية الأوروبية في مرحلة الحرب الباردة، وما بعد الحرب الباردة".

فالفرضية الرئيسية لهذه الدراسة تقول" *أن إصرار الولايات المتحدة الأمريكية على استمرارية وتوسع حلف شمال الأطلسي، يشكل تعبيرا للرؤية الأمريكية الخاصة بالقارة الأوروبية، والمتمثلة في أن مصدر الاستقرار والأمن الأمريكي يعتمد على الاستقرار والأمن الأوروبي.*"

وبالتالي يمكننا القول أن حلف شمال الأطلسي يشكل أداة للولايات المتحدة الأمريكية في سياستها الخارجية تجاه أوروبا قبل وبعد انتهاء الحرب الباردة.

فالتهديد السوفيتي لم يكن المبرر الوحيد وراء التواجد والتمركز الأمريكي في القارة الأوروبية، بل أن هذا التمركز والتواجد يحمل العديد من الأهداف.

للدخول إلى صلب هذه الفرضية ودراستها فانه من المفروض التطرق بشكل أساسي إلى طبيعة التحولات الحاصلة على العلاقات الأمريكية الأوروبية، وهل التحالف الأمريكي الأوروبي ما زال يشكل تعبيرا عن مصالح مشتركة أو هو تعبير عن شبكة خلاص للسياسات الضرورية القومية أو المنطقية.

فالإشكالية الأساسية لهذه الأطروحة تتمحور حول التساؤل التالي، وهو ما سر إصرار أمريكا على الاحتفاظ بحلف شمال الأطلسي حتى بعد انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتي، وما هي الغاية الأمريكية المتمثلة في توسيع الحلف، من جهة ثانية ما هي طبيعة العلاقات الأمريكية الأوروبية أثناء وبعد الحرب الباردة، وهل ما زالت هذه العلاقات تعبيرا عن مصير مشترك أم أنها آخذة في التحول إلى علاقة شبكة خلاص، وما مدى ما يشكله حلف شمال الأطلسي لأمريكا في سياستها تجاه أوروبا، وهل هو فعلا يعتبر ناظما للعلاقات الأمريكية الأوروبية؟

وبالتالي فان هذه الدراسة تحاول بشكل عام دراسة التغيرات الحاصلة على العلاقات الأمريكية الأوروبية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي بالتركيز على أدوات السياسة الأمريكية تجاه القارة الأوروبية المتمثلة بحلف شمال الأطلسي.

ومن أهم التساؤلات التي تشكل المحاور الرئيسية لهذه الرسالة:

- ما هي الأهداف التي يعبر عنها استمرار حلف شمال الأطلسي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي؟
- هل التحالف الأمريكي الأوروبي هو تعبير عن مجموعة من المصالح والأهداف، أم خلاص لأوروبا ووسيلة سيطرة لأمريكا، بمعنى آخر أين هي حدود الانسجام والاختلاف في العلاقات الأمريكية الأوروبية وأيهما أعمق؟
- وما هو مستقبل هذه العلاقات الثنائية في ظل نظام دولي أحادى القطبية تسعى فيه أمريكا للوصول إلى المركز بالتزامن مع التهميش المتعمد للدور الأوروبي من قبل الولايات المتحدة الأمريكية؟
- و ما حجم وأهمية الدور الذي يشكله حلف شمال الأطلسي بالنسبة لأمريكا في سياستها الخارجية اتجاه القارة الأوروبية ؟
- والى أي مدى يمكن أن تسمح أوروبا باستمرارية أمركة حلف شمال الأطلسي، وهو يشكل تعبير عن شراكة أوروبية أطلسية.

أما أهمية الدراسة فتتبدى في موضوعها، حيث تعتبر دراسة التغيرات الجذرية الحاصلة على النظام الدولي وتحوله من نظام ثنائي القطبية إلى أحادى القطبية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية من أهم المسائل التي يجري نقاشها على الساحة الدولية، كما أن دراسة تأثير هذه التغيرات يعتبر من أهم ما يمكن التطرق أليه في خضم الوضع القائم.

كما أن دراسة السياسة الأمريكية الخارجية أمر مثير للجدل بغض النظر عن الطرف الآخر، ولكن إذا كان هذا الطرف الآخر هو القارة الأوروبية، وبالتحديد دول "أوروبا الغربية" فان الموضوع يكتسب أهمية إضافية وذلك للدور الحساس الذي لعبته أوروبا قبل وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي، ونظرا لذلك فقد تم اختيار إحدى الأدوات التي ترتكز عليها أمريكا في سياستها الموجهة للقارة الأوروبية المتمثلة في حلف شمال الأطلسي، والتغيرات الحاصلة على هذه السياسة خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي نظرا لما يثير بقاء حلف شمال الأطلسي وتوسعه، وهو الذي يعتبر من مخلفات الحرب الباردة من جدل مستمر، وبناء على ذلك سوف يتم التركيز في هذه الدراسة على الفترة الزمنية الواقعة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، ومن اجل الحصول على نتائج غير مجزأة سوف يتم التطرق بشكل عام إلى تاريخ هذه العلاقة (الأمريكية _ الأوروبية) قبل انهيار الاتحاد السوفيتي أي أثناء الحرب الباردة وذلك حتى يتم الإثبات أن هذه العلاقة قد تغيرت تبعا للتغيرات التي حصلت على النظام الدولي.

فيما يتعلق بالإطار النظري لا مجال للإنكار بان هذا الجانب كان هو الأصعب في إعداد هذه الدراسة، ليس لشيء محدد، ولكن لتفرع الموضوع وصعوبة إيجاد خيط واضح يمكن أن يقود إلى إتباع نظرية واحدة ومحددة من نظريات العلاقات الدولية.

ولكن بعد الإطلاع على العديد من المصادر والمراجع والدارسات السابقة بدأت الصورة تتجه نحو الإيضاح والتحديد.

هذه الدراسة تتناول فترتين زمنيتين مختلفتين، فالفترة الأولى هي فترة الحرب الباردة، وما ترتب على هذه الفترة من ظهور شكل محدد للنظام الدولي، وبالتالي هناك نظرية محددة لهذا الزمن، أما الفترة الثانية وهي المحور الأساسي في هذه الدراسة، هي فترة ما بعد الحرب الباردة وانيهار الاتحاد السوفيتي، وما ترتب عليه من متغيرات جديدة فرضت نفسها على الساحة الدولية وأدت إلى حدوث تغيرات جذرية وعميقة على النظام الدولي الجديد، مما ترتب عليه ضرورة إيجاد نظرية مختلفة من نظريات العلاقات الدولية تحاول تفسير هذه المتغيرات الحاصلة كحد أدنى.

من هنا كان لا بد من إتباع نظريتين أساسيتين في هذه الدراسة والتأكيد في أكثر من مرة، بان العديد من الدراسات والمراجع التي تم الإطلاع عليها خلال العمل على هذه الدراسة تؤكد قدرة هاتين النظريتين في تفسير هذه التغيرات العميقة الحاصلة على الساحة الدولية وعلى النظام الدولي.

كما ذكرنا سابقا، فان هذه الدراسة مقسمة إلى فترتين زمنيتين، الفترة الأولى هي فترة ساد فيها الصراع ما بين قطبين عالميين هما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي سابقا، وقد أطلق على هذه الفترة من الصراع فترة الحرب الباردة.

هناك إجماع عند الأغلبية من دراسي العلاقات الدولية بان النظرية الأقدر على تفسير مجريات هذه الفترة التاريخية هي النظرية الواقعية.

قبل الخوض في تفاصيل دقيقة بشان هذا الموضوع، هناك مقدمة عامة عن رؤية حديثة لدور النظريات في تفسير الأحداث الدولية، فلا بد من الإطلاع على هذه الدراسة كونها تشكل دراسة جديدة من نوعها قد ألقت الضوء على العديد من الموضوعات المتعلقة بالنظريات الخاصة بالعلاقات الدولية بطريقة مختلفة وغير شائعة.

فهناك ثلاث توجهات رئيسية في العلاقات الدولية كما هو معروف، فالتوجه الأول هو التوجه السلوكي، أما التوجه الثاني فكان البنيوي، وأخيرا التوجه التطوري.

جميع هذه التوجهات حسب رأي الكاتب انطلقت من الادعاء بأنها قادرة بان تكون علمية في تحليلها ودراستها للعلاقات ما بين الدول، وعندما تقول علمية فهي تقصد بأنها تنطلق من الأسس التي أنطقت منها العلوم الطبيعية، بما معناه أنها تستطيع أن تستخدم نفس الأدوات التي استخدمت في العلوم الطبيعية لتطبيقها في العلوم الاجتماعية.[1]

يكمن وراء هذا الادعاء، أن هذه التوجهات هي قادرة ليس فقط على تفسير ما يحدث في النظام الدولي، ولكنها قادرة أيضا أن تتنبأ ما يمكن أن يحدث في المستقبل اعتمادا على تحليلها وقراءتها لما يحدث في لحظة تاريخية معينة.

ومن وجهة نظر الكاتب فهو يتساءل بشان التالي، إذا كانت هذه التوجهات انطلقت من هذا الادعاء، فلماذا فشلت النظريات في قراءة إمكانية حدوث أهم حدث في القرن العشرين، وهو انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتي؟

[1] Gaddis, John Lewis 1992, **International Security** 17, "international relations theory and the end of the cold war".p 50.

يجيب الكاتب على هذا التساؤل، بأنه من الواضح أن هناك إشكالية مبالغة في قدرة هذه التوجهات في العلوم الاجتماعية، ليس فقط في أن يكون لها قراءة علمية لما يحدث في العلاقات الدولية، ولكن المبالغة أيضا في ما يمكن أن يحدث في المستقبل، فكما هو معروف فان جميع النظريات في العلاقات الدولية تؤكد على أنها قادرة ليس فقط على قراءة الأحداث الدولية، ولكنها قادرة أيضا على التنبؤ بما سيحصل في المستقبل.[1]

هذه كانت إشكالية في نظريات العلاقات الدولية، الإشكالية الثانية تتمحور حول الانطلاقة الخاطئة التي انطلقت منها العلوم الاجتماعية فيما يتعلق بإتباعها نفس الأدوات التي اتبعت واستخدمت من قبل الباحثين في العلوم الفيزيائية.

وحسب رأي الكاتب يرى بأنه في العلوم الفيزيائية يستطيع العالم أو الباحث أن يحدد مجموعة معينة من المتغيرات التي على أساسها يقوم بتفسير الظواهر الطبيعية، وانطلاقا من هذا التفسير فهو يملك إمكانية التنبؤ بما يمكن أن يحدث في المستقبل.

ولكنه في المقابل ينتقد الأكاديميين والباحثين في العلوم الاجتماعية وذلك لتناسيهم أنه من المستحيل تحديد المتغيرات وذلك بسبب وجود مجموعة لا متناهية من المتغيرات التي يأخذها باحث العلوم الاجتماعية بعين الاعتبار.

[1] Ibid: 52.

فمحاولات المنظرين لخلق علم سياسة قادر على أن يقرأ المستقبل، "مستقبل الأحداث العالمية" عمليا أنتجت نتائج غير مرضية فلم يستطع أي توجه من التوجهات الثلاث السابقة التي تطورت منذ عام 1945 فلاحقا أن تتنبأ بطريقة انتهاء الحرب الباردة.

في النهاية النقطة الرئيسية التي يريد الكاتب إيصالها، هي بأنه ليس القول أن التوجه العلمي هو توجه غير مهم في العلاقات الدولية، ولكن العلماء والباحثين الجيدين من المفروض أن يستخدموا كل الأدوات التي من الممكن أن تتوفر لهم وذلك في محاولتهم لقراءة المستقبل.[1]

هذه المقدمة البسيطة عن النظريات في العلاقات الدولية كان لا بد منها قبل الدخول في تفاصيل النظريات التي تم تبنيها في هذه الدراسة ولذلك لإيصال فكرة واضحة وهي انه ليس من المنطقي القول أن نظرية واحدة هي التي تستطيع تفسير أحداث العلاقات الدولية، فالعالم لا يمكن أن يكون واقعي أو ليبرالي من دون أن تتداخل هذه النظريات في بعضها البعض في لحظات تاريخية معينة.

بالتالي أولى النظريات التي تم تبنيها في هذه الدراسة هي النظرية الواقعية، فالنظرية الواقعية تنطلق من الافتراض الذي يتمحور حول الطبيعة الإنسانية التي ينظر إليها عبر منظور سلبي، فهذه الطبيعة الإنسانية تحث الإنسان على السيطرة والقوة، وبسبب ذلك فالعلاقات ما بين الناس هي علاقات من اجل القوة، فالمنظرين الرئيسين في النظرية الواقعية

[1] Ibid: 53.

ابتداء من "مورجون" ينطلقون من الافتراضات التي افترضها كل من "نيوسيدس " "وميكافلي" و"هوبز" فيما يتعلق بالصراع من اجل القوة، وفيما يتعلق في هذا المجال حول الطبيعة الإنسانية فيحاول القوي أن يسيطر على الضعيف، ولهذا يلجا كل من الطرفين إلى القوة المادية وذلك من منطلق الحفاظ على الحياة بما يتطابق ومهمتهم الطبيعة.[2]

هذا من جانب أما من جانب آخر، حسب وجهة نظر الواقعية في الدولة فهي تعتبر مركز العلاقات ما بين الدول، واعتمادا على ذلك ينظر إلى الدولة على أنها الفاعل الرئيسي في النظام الدولي.[1]

كما أن الدول في حالة صراع دائم فيما بينها من اجل القوة، وان دور الدولة في هذه الحالة يتمثل في حماية نفسها من الدول الأخرى، وهذا مرادف للأمن القومي الذي يتمحور حول امتلاك القوة الكفيلة لحماية مصالح دولة معينة من أعدائها.

مما يفرض على الدولة أن تزيد من محددات قوتها حتى تستطيع حماية نفسها ومصالحها، كما أنها بحاجة إلى قرارات عقلانية حول الأمن، والهدف من ذلك هو سعيها لتعزيز مصالحها.

[2] Laferrer, Eric.1999**. International relations theory and ecological thought**. London: Roulledge. P88

[1] Donnelly, Jack. 2000. **Realism and international relations**. U. K: Cambridge University Press. P27.

يمكننا القول أيضا بان الواقعية بالمقارنة مع مفهوم النظرية الليبرالية المؤسساتية فيما يتعلق بعملية التعاون ما بين الدول وتقريب وجهات النظر وإرساء أسس أكثر صحية للسلام، ترى بأنها إمكانية محدود نسبيا فالدولة هي الأساس في النهاية.[2]

وهذا ما أكد عليه "مارسيل ميرل" بان المنظمات الدولية كثيرا ما تسهم في إبرام اتفاقيات تتمتع في القانون الدولي بوضع يقترب من وضع القوانين في النظم القانونية المحلية، إلا أن هذه الاتفاقيات ليست سوى معاهدات لا تصبح سارية المفعول إلا بعد قبول الدول لها وتصديقهم عليها.[1]

من هنا ترى الواقعية بان المجتمع الدولي والعلاقات الدولية هي صراع مستمر نحو زيادة قوة الدولة واستقلالها بالكيفية التي تمليها مصالحها أو إستراتيجيتها، بغض النظر عن التأثيرات التي تتركها في مصالح الدول الأخرى.

فالعلاقات الدولية عبر هذه المدرسة تتلخص بان الدبلوماسي والجندي هما اللذان يصنعان من حيث الأساس العلاقات الدولية، وقد نالت دراسة السياسة الخارجية النصيب الأكبر من أعمال الكتاب الواقعيين، فقد أصبح نموذج الدولة – الأمة الذي ساد أوروبا في القرن التاسع عشر رمزا ومرجعا لكل دولة حتى في الظروف الراهنة، ويقول الواقعيون

[2] Ibid: 32

[1] ميرل، مارسيل.1999. **العلاقات الدولية المعاصرة: حساب ختامي**، ترجمة حسن نافعة، القاهرة: دار العالم الثالث، ص 31.

بضرورة الفصل بين السياسة الخارجية والسياسة الداخلية لان الخارجية تتخذ المصلحة الوطنية أساسا لها ولا تراعي المعطيات الداخلية التي تصبح نتيجة لذلك ثانوية.[2]

وبتلخيص سريع لأهم فرضيات النظرية الواقعية، نجد بان علماء النظريـــة الواقعيـــة يعتقدون أن هناك ثمة مجموعة من العوامل الثابتة إلى حد معين تلعب دورا رئيسيا في تشكيل السلوك الدولي، أهمها أن الطبيعة البشرية ثابتة أو على الأقل يصعب تغيرها بســـهولة، فهـــم يرون بان الإنسان أكثر ميلا للشر والخطيئة وامتلاك القوة.

من جانب آخر فالواقعيين بشكل عام يوافقون على أن الموقع الجغرافي للدولة يؤثر في إمكانياتها وتوجهاتها السياسية الخارجية، فالجغرافيا تجعل بعض الدول أكثر عرضة للغزو من غيرها، وبعض الدول تحتل مواقع استراتيجية أكثر أهمية من غيرها من الدول، فسهولة الوصول إلى الطرق المائية وطبيعة الحدود الجيدة للدفاع عن الدولة تؤثر كذلك في السياسة الخارجية.[1]

ونتيجة الصعوبة في تحقيق السلام عن طريق القانون الدولي أو التنظيم الدولي أو حتى الحكومة الدولية يصبح من الضروري البحث عن سبل أخرى لتنظيم واستخدام القوة، من هنا يقر اغلب الواقعين بان ميزان القوى يمثل أحد السبل الهامة في هذا المجال، فعندما تتساوى القوة في مجموعة من الدول يكون من المتعذر على إحداها أن تسعى للهيمنة.

---

[2] أبو، عامر. 2004. **العلاقات الدولية الظاهرة والعلم الدبلوماسية والاستراتيجية**، رام الله: دار الشروق، ص 131.

[1] دورتي، جيمس. 1985. **النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية**، ترجمة وليد عبد الحي، الكويت: كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، ص 60.

هذا ويرى الواقعيون من جانب آخر، بان المبادئ المعنوية أو الأخلاقية يصعب تطبيقها على الأعمال أو السلوك السياسي، والمسالة في النهاية هي إلى أي مدى يستطيع القائد السياسي أن يحقق أهداف سياسته الخارجية الرئيسية دون تعريض الدولة التي يمثلها إلى الخطر.[2]

مما لا شك فيه أن نهاية الحرب الباردة قد أفرزت نظاما عالميا جديدا، فخلال الحرب الباردة برزت قوتان عظميان هما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي حيث أثرتا على مسار العلاقات الدولية لمدة زمنية تزيد على أربعين سنة، فقد كان هدف كليهما هو حماية أقاليمهما من أي تهديد نووي، نهاية الحرب الباردة أجبرتهما على إدخال تغيرات في تصوراتهما الأمنية والاستراتيجية.

وبناء على ذلك فان النظرية التي كانت سائدة في تلك الفترة، أي قبل انهيار الاتحاد السوفيتي ،هي النظرية الواقعية، فقد كانت النظرية الأقدر على تفسير مجريات الأحداث السياسية في تلك الحقبة.

في النهاية يمكن القول أن طبيعة العلاقات الدولية التي كانت سائدة خلال الحرب الباردة، هي علاقات تقوم على التنافس بين الدول من اجل زيادة قدراتها العسكرية ومصادر قوتها وذلك من اجل الحفاظ على أمنها من أي تهديد نووي في تلك الحقبة من أهم الفاعلين

[2] المرجع السابق: 61.

على الساحة الدولية، وبما أن الدول هي فواعل عقلانيون فإنها تسعى باستمرار لتعظيم الفوائد وتقليص التكاليف وذلك مع سعيها لتحقيق أهدافها. [1]

وبالتالي نلاحظ أن النظرية السياسية الأقدر على تفسير مجريات الأمور على الساحة الدولية في حقبة الحرب الباردة وفي ظل نظام عالمي ثنائي القطبية هي النظرية الواقعية، تبعا لما تميزت به تلك الحقبة من تنافس ما بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي على زيادة مقدرات القوة العسكرية، لحماية أمنها القومي عن طريق التهديد باستخدام القوة والدخول في سباق التسلح وامتلاك القوة النووية، التي عبرت عن نفسها في تلك المرحلة بما عرف بنظرية الردع.[1]

انتهت ما كانت تسمى فترة الحرب الباردة، وكانت النهاية بانهيار الاتحاد السوفيتي وانتصرت الكتلة الغربية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية.

انهيار الاتحاد السوفيتي افرز تغيرا جذريا على مجريات الأمور في الساحة الدولية، حيث تغير النظام الدولي برمته من نظام قائم على ثنائي القطبية إلى نظام أحادى القطبية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية.

هذا التغير في النظام الدولي أدى بشكل مباشر إلى تغير في مفهوم الأمن الاستراتيجي، وقد فرض نفسه بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وتفرد الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم.

---

[1] يامورا، تاكايوكي. مفهوم الأمن في نظرية العلاقات الدولية (http://www.geocities.com/adelzeggagh/secpt.html, (accessed apr 14, 2005

[1] ibid:4.

لم تعد النظرية الواقعية هي النظرية المناسبة لتفسير العلاقات الدولية من وجهة نظر الأغلبية، فقد تغير مفهوم الأمن والنظام الدولي بأكمله، وبالتالي لم تعد هذه النظرية قادرة على تفسير ما يجري من أمور بين الدول.

فالنظرية الواقعية بعد انتهاء تلك الفترة أي انتهاء الحرب الباردة، تعرضت لنقد قاسي من قبل العديد من المراقبين على الساحة الدولية، فيمكننا القول بان الواقعيين والواقعيين الجدد ذكروا بان سلوك القوى العظمى عام 1945 يتوافق مع نظريتهم ولكن الكاتب "Richard lebow" رد على هذه المقولة بان سلوك القوى العظمى تناقض مع النظرية الواقعية، ويثبت ذلك من خلال نظرته على التفسيرات الواقعية لأهم ثلاث تطورات دولية في منتصف القرن الماضي، "السلام الطويل" بين القوتين العظمتين، تخلي الاتحاد السوفيتي عن إمبراطوريته، وأخيرا التحول الذي حدث في النظام الدولي ما بعد فترة الحرب الباردة.

الطرح الواقعي يعتمد على الافتراض بان الفوضى هي الصفة الأساسية في تحديد وتعريف النظام الدولي، مما يفرض على الدول إعطاء الاهتمام الأكبر للأمن وان تسعى هذه الدول إلى زيادة وتطوير قوتها العسكرية أكثر من أية قيمة أخرى.

إن النظريات المتجددة تفترض تعريفات مفاهيمية وعملية لمتغيراتها التابعة والمستقلة وعلى هذه التعريفات أن تكون دقيقة من الناحية المفاهيمية، وان تفترض وتشترك بكيفية قياس المتغيرات، ولكن النظرية الواقعية لم تحقق هذا الشرط، فالتعريفات المتعلقة بالمصلحة

الوطنية، القوة، توازن القوى والقطبية، هي تعريفات فضفاضة وغير محددة، ولهذا يصعب اختبار المقترحات الواقعية تجاه الدلائل المستنتجة من قضايا محددة.[1]

إن نظريات التحول في القوة والقوى يشكل فرع من الواقعية الذي يحلل إجابات القوى العظمى للتراجع، ولهذا نرى أن هذه النظريات قد فشلت بان ترى احتمالية التعايش السلمي بين القطبين لنظام ثنائي القطبية، هذا بالإضافة إلى عدم قدرتها على رؤية أن أحد القطبين سيتخلى عن منطقة تأثيره الأساسية من اجل أن يحقق هذا السلام، وهذا يشكل أرضية واضحة لرفض نظريات التحول هذه ونرى في هذا السياق بان الواقعيين عالجوا انتهاء الحرب الباردة على أنها قضية خاصة. [1]

إن كلا من "مورجونثاو وولتز" يؤكدان على أن عدم حدوث الحرب يرجع إلى نظام ثنائي القطبية، فهو اقل احتمالا لحدوث حرب متعددة الأقطاب وبالنسبة ل "وولتز" فان عدم حدوث الحرب يرجع إلى طبيعة نظام ثنائي القطبية والقطبية هي صفة من الصفات البنيوية للنظام.

إن طرح "وولتز" لمفهوم القوة قريب من "مورجونثاو" ولهذا نجده يؤكد على أن الدول لا تصبح دول عظمى إذا امتلكت عنصر من عناصر القوة، وبالرغم من هذا نراه يؤكد على أن القوة تبقى العامل الأساسي الوحيد في التحليل النهائي، ولهذا نرى بعض الإشكاليات في

[1] Lebow, Richard Ned. 1994. **International organization** 48, "The long peace, the end of the cold war, and the failure of realism".p 250.
[1] Ibid: 251.

تأكيده على أن القوة العسكرية هي المؤشر لمكانة أي قوة عظمى، هذا بالوقت الذي يقول فيه بان العالم كان يخضع لنظام ثنائي القطبية منذ أواخر الأربعينيات.

يبدو أن "وولتز" يضع حجته بان مكانة قوة عظمى هو بالأساس يرجع لقدرات تقنية وعلمية متقدمة وان هذه القدرة هي التي تمكن القوى العظمى من استخدام أسلحة فائقة التطور.

بما أن هذه العناصر الرئيسية هي الشرط لان تكون الدولة قوة عظمى، فإننا نستنتج انه في نهاية الأربعينيات لم يكن الاتحاد السوفيتي يملك هذه القدرات ولهذا فهو ليس قوة عظمى. [1]

بالتالي فان قدرة النظرية الواقعية على تحليل التحولات التي يمكن أن تحدث على بنية القدرات المختلفة للقوى العظمى ليست كبيرة، ولهذا وبالرغم من أنها تقر بإمكانية تراجع هذه القوى إلا أنها تؤكد على أن الدول ليس لها خيار، ففي ظل النظام الدولي الفوضوي عليها الحفاظ على قوتها النسبية وإلا ستصبح فريسة للآخرين. [2]

"رو برت جلبن" أحد المنظرين الواقعيين يؤكد على انه قد تتراجع القوى العظمى، إلا انه في هذه الحالة عندما تواجه الدولة العظمى المتراجعة خطر الاحتواء، فالاحتمال الأكثر أنها سترد بطريقة عسكرية شرسة.

[1] Ibid: 256.
[2] Ibid: 260.

بعد هذا النقد الموجه لقدرة تفسير النظرية الواقعية لمجريات التغيرات الحاصلة على النظام الدولي، نرى بأنه حتى نهاية الثمانينات توافقت سياسة الاتحاد السوفيتي مع النظرية الواقعية، إلا انه مع مجيء "غورباتشوف" أخذت هذه السياسة تتناقض مع تفسيرات الواقعية للتغيرات الدولية.

إن انسحاب الاتحاد السوفيتي من أوروبا الشرقية جاء ليتناقض مع النظرية الواقعية، فبعض المنظرين الواقعيين اقروا بان سياسة الاتحاد السوفيتي الخارجية بعد 1985 كانت غير منسجمة مع النظرية الواقعية.

وبالتالي النتيجة لهذا النقاش: أنه من الصعب جدا فهم أو محاولة تحليل سياسة الاتحاد السوفيتي الخارجية بعد 1985 في إطار النظرية الواقعية، إضافة لذلك لا يمكننا أن ننسى أيضا بان توسع الناتو بعد انتهاء الحرب الباردة جاء أيضا ليتناقض مع النظرية الواقعية.[1]

في النهاية يمكننا أن نضيف بان النظرية الواقعية لم تخرج من نهاية الحرب الباردة أكثر ضعفا مما دخلتها، فنهاية النظام الدولي للحرب الباردة توافق مع تراجع دولة متعدد القوميات وهي الاتحاد السوفيتي.

وبالتالي فان جزء من إشكاليات الواقعية فيما يتعلق في تفسير ما حدث من تحولات في النظام الدولي، هو عدم أخذها بعين الاعتبار الصفات الإيجابية والسلبية لبعض الأشخاص

[1] Ibid: 270.

مثل "غورباتشوف"، وأيضا أصحاب صنع القرار ذوي المكانة المركزية، هذا بالإضافة إلى ظهور المشاعر القومية في أماكن مختلفة من الاتحاد السوفيتي.

إن تنبئ العديد من الواقعيين أمثال "ميرشيمر" انه بغياب الخطر السوفيتي يتوقف الناتو على أن يكون تحالفا فعالا، وكما أكد "وولتز" على ذلك في عام 1990، على أن تحالف الناتو هو "شيء سيغيب عن أنظارنا"، فانه بعد اقل من عشر سنوات بدأت تظهر هذه التنبؤات بأنها غير صحيحة، فالواقعية والواقعية الجديدة لم تكن قادرة على تفسير انتهاء الحرب الباردة واستمرارية حلف الناتو.[1]

هذه القضايا كلها لم يأخذها الواقعيون بعين الاعتبار لذلك هناك إشكالية داخلية في بنية النظرية الواقعية والتي لا تمكنها أن تفسر هذا النوع من التحولات.

إذا نستنتج من السابق بان النظرية الواقعية ارتكبت أخطاء كبيرة في تفسير مجريات الأحداث الدولية في مرحلة الحرب الباردة، وأنها فشلت في تفسير ما جرى من متغيرات عميقة بانهيار الاتحاد السوفيتي، بناء على ذلك لا بد من إتباع نظرية أو الرجوع إلى نظرية أخرى قد تكون تملك بعض التفسيرات لكافة المتغيرات الحاصلة على الساحة الدولية ابتداء من انهيار الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة واستمرار الناتو.[2]

بالرغم من الانتقادات السيئة التي وجهت للنظرية الواقعية إلا أن "Ethan Kapstein" يرى انه بالرغم من الإشكاليات المختلفة للنظرية الواقعية، سوف لن تزول كحجر زاوية في

[1]Robert B. McCall 1996. **International organization** 50. "NATO's persistence after the cold war". P476.

Wohlforth, William 1995. **International security** 19. "Realism and the end of the cold war". P125.[2]2

نظرية العلاقات الدولية، إلا في حال ظهور بديل نظري لها، وفي ظل غياب هذا البديل فان طلبة العلاقات الدولية سيتمروا في استخدام هذه النظرية، من هذا المنطلق يمكن القول أن النظرية الواقعية سوف تستمر في تعريف حقل العلاقات الدولية.

ويؤكد أيضا على أن أي بديل للنظرية الواقعية في العلاقات الدولية من المفروض أن يعطي تفسيرات للعلاقات الدولية تنطلق من تفسير علاقة الداخل بالخارج، وحتى الآن لا يوجد أي بديل نظري مفاهيمي يتمكن من اخذ مكان النظرية الواقعية في تفسير العلاقة ما بين الداخل والخارج.[1]

ظهرت بوادر المدرسة الليبرالية وأصحاب هذا الخيار بعد الحرب العالمية الأولى، فقد كانت صدمة الحرب وما أحدثته من دمار وخراب واسع سببا في ظهور المثالية أو الليبرالية، والتي عبرت عن رؤية تفاؤلية للطبيعة الإنسانية، وتؤكد على إمكانية تسوية النزاعات السياسية بطرق سلمية، وقد قام المثاليون وأصحاب هذا التوجه بوضع مبادئ معينة لهذه المدرسة أو لهذا التوجه، من ضمنها أن السلوك السيئ كامن في الغريزة البشرية وهو غير ظاهر، كما يرون أيضا انه يمكن للإرادة الإنسانية أن تقضي على الحرب بواسطة تأثيرات في بيئة الإنسان (المؤسسات والهياكل)، ويمكن أن يضمن ذلك حينما تتفق الدول على قواعد أخلاقية عامة وان هذه القواعد الأخلاقية تعين على إيجاد أهلية العمل في العلاقات الدولية، ويرى أنصار هذا المنهج أن استخدام القوة هو عمل مدان أخلاقيا وان ضمان السلام

[1] Ethan Kapstein 1995. **International organization** 49."Is realism dead? The domestic sources of international politics". P 754

يقام على أساس القيم الأخلاقية، كما أن انضمام الشعوب إلى هذه القواعد غالبا ما يأتي على أساس الاتفاق والقناعة بدور هذه القواعد في إقامة أرضية للسلام العالمي، فضلا عن أن قبول هذه القواعد سيجعل من الصعب لكل طرف في النزاع أن يرتبط بعمل شرير ضد الآخر.[1]

يسمى الليبراليون أو المثاليون بأنصار المدرسة القانونية، لأنهم يقترحون حلا قانونيا لتسوية القضايا السياسية مطالبين على الخصوص بإقامة حكومة عالمية ونظام لأمن جماعي ونزع التسلح واعتبار السلام قضية لا تتجزأ وإدانة الحرب وتحقيق السلام بواسطة القانون الدولي.

من هنا فان الدعاة لهذا المنهاج يتصورون وجود نظام دولي قائم على حكم القانون، والخضوع لسلطة التنظيم الدولي في كل ما يتعلق بشؤون المجتمع الدولي، ومثال على ذلك ما اشتملت عليه مقدمة ميثاق الأمم المتحدة، حيث تعلن نبذها لمبدأ العنف والعدوان وتدعو إلى ارتضاء سلطة التنظيم الدولي وحل الخلافات الدولية بطرق سلمية.

في الحقيقة إن التصور المثالي لم يتمكن من فرض نفسه ولا سيما في الولايات المتحدة، وذلك بسبب الانتقادات اللاذعة التي تلقاها من معارضة " الواقعين الأمريكيين" وكذلك بسبب العمل السياسي الذي اعتمده رجال السياسة الأمريكيين الحريصين على وجود دور فعال للولايات المتحدة الأمريكية في العالم.[2]

---

[1] أبو عامر 2004: 128.

[2] المرجع السابق: 129.

قد تبدو هذه المقدمة فضفاضة وغير محددة بعض الشيء وخاصة فيما يتعلق بموضوعنا في هذه الدراسة، وهو محاولة إيجاد نظرية قد تكون اقدر على تفسير هذه المتغيرات الجديدة في النظام الدولي، وخاصة بعد تراجع الواقعية وتعرضها لنقد قاسي بسبب عجزها عن إيجاد تفسيرات ملائمة لهذه التغيرات، وكذلك فشلها في أن تتنبأ بهذا التحول العظيم، من حيث انتهاء الحرب الباردة والنظام الدولي الذي ساد في تلك الفترة وهو نظام ثنائي الأقطاب.

ولكن هناك بعض التغيرات التي قد تساعدنا في إيجاد نظرية معينة تحمل ملامح تفسيرية لهذه التغيرات في النظام الدولي، فكما هو معروف تقوم هذه الدراسة على دراسة تغير محدد في النظام الدولي وهو استمرار وتوسع حلف الناتو والتغير الجاري على هياكله الوظيفية.

فحدث استمرارية الناتو وكل ما ترتب عليه، النظرية التي تحمل بعض القدرة لتفسير هذا التغير هي النظرية الليبرالية. النظرية الليبرالية تملك تصورا أمنيا مخالفا للنظرية الواقعية، فالليبراليون يمتلكون تصورا بديلا يتمثل في الأمن الجماعي وهو وفقا ل "قولدستين" يتمثل في تشكيل تحالف موسع جدا، هذا التحالف يضم معظم الفاعلين الأساسين في النظام الدولي وذلك بقصد مواجهة اعتداء أي فاعل آخر.

هذا التصور يعني أن الدول الأعضاء في منظومة الأمن الجماعي تتكتل لمواجهة أي دولة تعتدي على دولة أخرى، حيث أسس الفيلسوف الألماني "ايمانويل كانط" لهذا التصور قبل قرنين من الزمن وذلك عندما اقتراح إنشاء فيدرالية تضم دول العالم.

"كانط" كان من أوائل المفكرين الفلاسفة الذين طرحوا فكرة الاتحاد من اجل السلام، والاتحاد ما بين المجتمعات الليبرالية، والآن يوجد أكثر من خمسين دولة ليبرالية تشكل هذا الاتحاد.

فالدول الليبرالية تمارس نوعا من القيود التي تهدف إلى السلام وتحد من الحرب، من هذا المنطلق نجد أن هناك سلام منفصل يتواجد فيما بينهم، وهذا السلام المنفصل يضع الأسس المتينة

للتحالفات الأساسية ما بين أمريكا والقوى الليبرالية، الناتو، تحالف اليابان، الارتباطات الثنائية مع استراليا ونيوزيلندا.[1]

الرئيس "ودرو ولسون" استفاد من هذا التصور في طرح تصوره لعالم يسوده السلام وذلك في نهاية الحرب العالمية الأولى، عندما قام بطرح فكرة إنشاء عصبة الأمم المتحدة لتعزيز السلام في العالم.

وبناء على ذلك فان الفرق القائم بين النظرية الواقعية والليبرالية، قد يكون بان النظرية الواقعية تنطلق بالأساس من فكرة ضرورة تعزيز قدرة الدولة العسكرية وزيادة

[1] Kegly, Charls.1995. **Controversies in international relation theory: realism and neoleberal challenge**. New York: St. Martin's press. P 83.

مقدرتها الاستراتيجية، أما النظرية الليبرالية فتهدف إلى الحفاظ على أمنها القومي الجماعي وذلك ليس بهدف تعزيز أمنها العسكري فحسب بل الاقتصادي والثقافي أيضا.[2]

إذا الفكرة العامة في النظرية الليبرالية هي الأمن القومي الجماعي وتشكيل التحالفات التي تضم معظم الدول الفاعلة في النظام الدولي وذلك لمواجهة أي فاعل معتدي آخر.

وفقا للنظرية الليبرالية، فان الأمن الجماعي لا بد أن يؤدي إلى ضرورة الرد على أي عدوان قد يهدد السلام ما بين الدول حيث يتم إشراك كل الدول الأعضاء وليس ما يكفي من الأعضاء لصد المعتدي حيث يكون الرد عن طريق تنظيمه، ولا يترك للدولة منفردة تحديد ما تراه من إجراءات مناسبة تخصها وحدها. [1]

هذا بشكل عام يمكن تطبيقه على الوضع الذي ساد النظام الدولي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، فهناك استمرارية لظاهرة غريبة وهي ظاهرة حلف شمال الأطلسي، ذلك الحلف الذي نشا في فترة الحرب الباردة كأحد أدوات الرد على العدوان العسكري المحتمل من العدو الوحيد المتمثل في الاتحاد السوفيتي، وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي ليس هناك من مبرر لاستمرار حلف شمال الأطلسي، وطبقا للنظرية الواقعية فان حلف شمال الأطلسي هو من مخلفات الحرب وبالتالي لا بد من انتهاءه، ولكن ما حصل في الواقع هو غير ذلك فحلف شمال الأطلسي لم يحافظ فقط على بقاءه، بل قام بإحداث تغيرات على أهدافه ومبررات

---

[2] ياميورا، تاكايوكي. مفهوم الأمن في نظرية العلاقات الدولية (http://www.geocities.com/adelzeggagh/secpt.html, (accessed apr 14, 2005

[1] ibid: 2004.

وجوده، هذا بالإضافة إلى توسعه ليشمل معظم دول أوروبا الشرقية التي كانت واقعة تحت السيطرة السوفيتية سابقا.[2]

بهذا ضمنيا قد يكون في بعض جوانبه يطبق النظرية الليبرالية القائمة على ضرورة تشكيل تحالفا كبيرا من اجل الرد على أي عدوان.

وهذا ما قد تكون تهدف إليه الولايات المتحدة الأمريكية بسعيها نحو الحفاظ على حلف شمال الأطلسي، والقيام على إحداث التغيرات اللازمة عليه من اجل ملاءمته للوضع الجديد القائم عليه النظام الدولي، كما يفسر ذلك قيام الولايات المتحدة الأمريكية بقبول أعضاء جدد داخل الحلف من دول أوروبا الشرقية التي سبق لها وان كانت تحت السيطرة السوفيتية أثناء فترة الحرب الباردة وقبل انهيار الاتحاد السوفيتي.

اختلفت طرق التعبير عن تجسيد مفهوم الأمن الجماعي بعد انتهاء الحرب الباردة، ولكن مهما اختلفت التسميات إلا أن هذه التصورات تشترك في نقطة واحدة وهي أن البلدان الديمقراطية لا تلجا إلى الحرب ضد بعضها البعض.

وهذا ما حاولت الولايات المتحدة الأمريكية تجسيده بالحفاظ على حلف الناتو، كتحالف يضم معظم الدول الفاعلة في النظام الدولي من اجل تامين الأمن القومي الجماعي ضد اعتداء أي عدو آخر فاعل في النظام الدولي.

---

[2] يامورا، تاكايوكي. مفهوم الأمن في نظرية العلاقات الدولية
(http://www.geocities.com/adelzeggagh/secpt.html, (accessed apr 14, 2005

وبالتالي نجد هنا أن النظرية الليبرالية قد تنجح في تفسير مجريات الأمور على الساحة الدولية بعد الحرب الباردة، وتفسير كيف أن الولايات المتحدة الأمريكية وانطلاقا من رؤيتها بان مصدر أمنها هو الأمن الأوروبي وقيامها بإنشاء حلف شمال الأطلسي وهو منظمة دفاعية جماعية قامت من اجل احتواء المد الشيوعي، أما بعد انتهاء الحرب الباردة وإصرار أمريكا على الحفاظ على حلف شمال الأطلسي والقيام في تغير أهدافه وآلية عمله، وذلك حتى يناسب التغيرات التي حصلت على الساحة الدولية، حيث أن التوسع الذي يشهده حلف شمال الأطلسي بضم العديد من دول أوروبا الشرقية إليه، وهو الذي يمثل منظمة دفاع مشتركة ضد أي عدو متوقع أو غير متوقع، يشكل تعبيرا عن الرؤية الأمريكية القائمة بملأ الفراغ الاستراتيجي في وسط أوروبا بالإضافة إلى اقتناعها أن الديمقراطيات لا تحارب بعضها البعض. [1]

في النهاية إن المنظور الليبرالي يرى أن توسع الناتو قد يساهم في تعزيز الديمقراطيات الناشئة في أوروبا الشرقية، ويساهم في توسيع نطاق الآليات الأطلسية لإدارة النزاع إلى منطقة تبقى فيها الاضطرابات أمرا ضروريا.

في هذه الأطروحة تم مراجعة العديد من المراجع والدراسات السابقة، حيث تم الاعتماد على العديد من الكتب باللغتين العربية والإنجليزية، وكذلك تم الرجوع إلى العديد من المقالات من خلال دوريات ومجلات من أهمها:

---

[1] يامورا، تاكايوكي. مفهوم الأمن في نظرية العلاقات الدولية (http://www.geocities.com/adelzeggagh/secpt.html, (accessed apr 14, 2005

والعديد أيضا من المراجع الأخرى بما فيها شبكة الإنترنت.

- **الفصل الأول:**

1. مقدمة.
2. أوروبا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية.
3. الولايات المتحدة الأمريكية عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية.
4. الحرب الباردة.
5. النظام العالمي أثناء الحرب الباردة.
6. نهاية الحرب الباردة.
7. الخاتمة.

• مقدمة:

بانتهاء الحرب العالمية الثانية، انقسم النظام الدولي إلى قطبين عملاقين، هما القطب الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، والقطب الاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفيتي

سابقا، حيث رأى كلا القطبين ضرورة تشكيل أحلاف مع دول أخرى كاستراتيجية جديدة في إدارة الصراع، وفي ضوء هذه الأحداث انقسمت الدول الأوروبية إلى فريقين، فريق تحـــالف مع الولايات المتحدة الأمريكية، و فريق آخر تحالف مع الاتحاد السوفيتي.

بناء على ذلك فقد سعت الدول الأوروبية من الانضمام إلى الأحلاف العسكرية الـــتي نشأت في مرحلة ما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، إلى إعادة بناء مـــا دمرتـــه الحـــرب، بالإضافة لمحاولتها في الحفاظ على ما تبقى لها من نفوذ في مناطق العالم المختلفة، كما سعت إلى بناء نظام إقليمي يساعدها على تجاوز عقدة الأمن والمخاوف وعدم الثقة المتبادلـــة فيمـــا بينها.

هذه الأهداف الأوروبية تلاقت مع تصورات ورؤية الإدارة الأمريكية في ذلك الوقت، والتي تمثلت في أن ترك دول أوروبا تعتمد على نفسها في إعادة البناء يشكل خطرا كبيرا، لأنه قد يؤدي في النهاية إلى سقوطها تحت السيطرة الشيوعية، وبناء على ذلك وكخطوة أولى للتحالف قدمت الولايات المتحدة الأمريكية مشروع مارشال عام (1947م)، والذي هدف إلى عدم ترك دول أوروبا الغربية وحيدة بعد الدمار الذي لحق بها، حيث قامت الولايات المتحدة الأمريكية من خلال هذا المشروع –مارشال– على تقديم منح اقتصادية للعديد من الدول الأوروبية المتضررة خاصة فرنسا وبريطانيا، تصل حوالي إلى (13.3) مليار دولار أمريكي.[1]

[1] الاشول، نجوان. 2004. " العلاقات الأوروبية الأمريكية بين الاستقلال والتبعية"، **السياسة الدولية** 157: 115.

ولكن لا بد من الإشارة هنا إلى أن أمريكا لم تكن معنية بان تتدخل في الشؤون الأوروبية الداخلية في فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، إلا أن تطورات الحرب العالمية الثانية والتي كادت أن تشكل خطرا على أوروبا من قبل النازية، هو ما دفع الولايات المتحدة للتدخل في الشؤون الدولية.[2]

مشروع مارشال شكل أولى الآليات الأمريكية لتدعيم خطوط المواجهة مع الاتحاد السوفيتي ولتنظيم صفوف معسكرها الغربي لمواجهته ، فقد اعتبرته اكبر مصدر لتهديد أمنها.

أما الآلية الثانية التي استخدمتها الولايات المتحدة الأمريكية لمواجهة الاتحاد السوفيتي، تمثلت في تقديم مظلة أمنية لأوروبا الغربية من خلال حلف شمال الأطلسي " NATO" حيث تم إنشاؤه في 4 أبريل 1949، من اجل تدارك الهاجس الأمني للدول الأوروبية، وقد رأت هذه الدول أن تسلم قيادة الحلف إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث في هذا الحلف ضمانا لأمنها واستقرارها خاصة أن معظم هذه الدول لم تكن مستعدة وجاهزة لقبول فكرة تولي منظمة أوروبية مستقلة مسؤولية الأمن والدفاع.[3]

عودة إلى مشروع مارشال، يمكننا أن نرى من خلال مراجعة الدراسات السابقة بان الجنرال مارشال في نظرته إلى الشؤون الاستراتيجية، لا يثق إلا بجيش أوروبي متكامل، وهو يمتلك السلاح الاقتصادي لفرض وجهة نظره، وهذا السلاح يتلازم مع شروط تتيح

---

[2] Braun, Karl Otto, **American policy toward Europe: the faithful Chang** www.ihr.org/jhr/ (accessed apr 14, 2005)

[3] الاشول 2004: 117.

لبرنامج الشفاء الأوروبي الذي اقره الكونغرس الأمريكي، وهو التدخل في الأداء الاقتصادي والاجتماعي لمختلف الحكومات الأوروبية، في حال عدم تطابق هذا الأداء مع ما تأمله الأوساط الاقتصادية الأمريكية، فقد تم تأسيس إدارة مستقلة من وزارة الخارجية في واشنطن عين على رأسها (بول صوفمان)، وتتولى هذه الإدارة دراسة حاجات الدول وإعداد البرامج والعمل على تنفيذها بالإضافة إلى طاقم كامل يحوي مسئولين من اجل القيام بتنفيذ خطة مشروع مارشال على أكمل وجه.[1]

أما بالنسبة لآلية عمل مشروع مارشال، فهي تعتمد على قيام الولايات المتحدة الأمريكية بتسليم الحكومات الأوروبية المعنية مساعدة عينية من المنتجات والمعدات والآليات، فتبيعها الحكومات الأوروبية بالعملة الوطنية إلى المنتجين في السوق، وهكذا تكونت مبالغ نقدية ضخمة واستخدمت نسبة 95% منها في استثمارات محددة بعد موافقة الإدارة الأمريكية.[2]

- أوروبا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية:

عندما انتهت الحرب العالمية الثانية، عقد عددا كبير من الأمريكيين آمالا على إمكانية إعادة تأسيس أوروبا، باعتبارها " قوة ثالثة" في العالم ذات قدرة تكفي لتمكينها من الدفاع عن نفسها ضد الاتحاد السوفيتي، بما يتيح للولايات المتحدة فرصة

[1] ميكال، بيار. 1993. **تاريخ العالم المعاصر 1945-1991**، ترجمة يرسف ضومط، بيروت: دار الجيل، 1993، ص 88.
[2] المرجع السابق: 90.

الرحيل عن أوروبا، فقد اعتقد العديد من المراقبين والمحللين أن بريطانيا العظمى ستحمل عبء الدفاع عن جزء كبير من العالم ضد الاتحاد السوفيتي، وفي أيام ما بعد الحرب العالمية الثانية المبكرة أوضحت الحكومة البريطانية أنها غير قادرة على مواصلة الدعم الاقتصادي والعسكري التي كانت توفره لليونان وتركيا منذ انتهاء الحرب، ومع حلول عام 1947 باتت أوروبا معتمدة على الولايات المتحدة على صعيد أمنها الخاص .[1]

ولكن لا بد من الإشارة هنا إلى أن العلاقات الأمريكية الأوروبية لم تتميز بطابع التوافق التام في يوم من الأيام، فكان هناك دوما مظاهر للاختلاف، خاصة فيما يتعلق بوجهة النظر الأمريكية تجاه أسلوب حفاظها على مصالحها الاقتصادية، والمتمثلة في حماية مناطق النفط في العالم والشرق الأوسط خلال فترة الحرب الباردة، فالموقف الأمريكي تجاه الاتحاد السوفيتي يرى بان الاتحاد السوفيتي في بنيته البيولوجية والعسكرية يشكل خطرا على أمريكا داخليا وخارجيا، وما يترتب على ذلك من ضرورة إتباع أمريكا لكل الوسائل التي تمكنها من الحفاظ على استمراريتها، واستمرارية مصالح العالم الحر من خلال الحد من هذا الخطر عليها.

هذا يفرض نفسه ليس فقط من تمكين أمريكا عسكريا للدفاع عن حدودها، وإنما تمكين أمريكا عسكريا للدفاع عن مصالحها خارج حدودها، فالنفط في دول

[1] كيكن، روبرت. 2004. **عن الفردوس والقوة: أمريكا وأوروبا في النظام العالمي الجديد**، ترجمة فاضل جتكر، بيروت: الحوار الثقافي، ص 26.

الخليج يشكل صلب الحياة الاقتصادية في أمريكا، فهو مصدر رئيسي للحفاظ على استمرارية ونمو الاقتصاد الأمريكي، وبالتالي فان أي سياسة تهدف للسيطرة على نفط دول الخليج في الشرق الأوسط، ومن شانها تهديد المصالح الاقتصادية الأمريكية، فأمريكا ستتبع الحل العسكري.[1]

قد يشكل هذا الرأي الأمريكي أولى بوادر الخلافات الأمريكية الأوربية في فترة الحرب الباردة، فأوروبا تبتعد عن خيار استعمال الحل العسكري وتتجه نحو الخيار الدبلوماسي، وتعميق العلاقات الدبلوماسية بدلا من اللجوء إلى الحل العسكري.

ولكن وبسبب ظروف الحرب الباردة، ومنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية وعلى امتداد الخمسين سنة التالية، بقيت أوروبا في حالة من التبعية الاستراتيجية للولايات المتحدة، ولم تعد الذراع الطويلة ذات البعد العالمي، فرسالة أوروبا الاستراتيجية خلال سنوات الحرب الباردة تمثلت بالصمود والدفاع عن أراضيها ضد أي هجوم سوفيتي إلى حين وصول الأمريكيين.[1]

لقد أثرت الحرب العالمية الثانية بطريقة مباشرة وبصورة قوية على العديد من الأوضاع التي استقرت في مختلف العالم بصفة عامة ودول أوروبا بصفة خاصة، ولا سيما في توزيع القوى، فقد كانت في الثلاثينيات من هذا القرن الدول الكبرى تنحصر في إنجلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا والاتحاد السوفيتي واليابان والولايات المتحدة، ولكن في أعقاب نهاية

[11] **NSC 68: United States objectives and programs for national security**. http:// www. Metholyoke. edu/ acad/ intrel/ ncs- 68/ nsc68-1. htm

[1] كيكن 2004: 27.

الحرب العالمية الثانية تغير النظام الدولي برمته، بما فيه توزيع القوى، حيث لم يبرز علـــى الساحة الدولية سوى قوتين عظمتين هما: الولايات المتحدة الأمريكية والاتحـــاد الســـوفيتي، حيث ترتب على هاتين القوتين إعادة تنظيم القارة الأوروبية والعالم أجمع.[2]

بدأت الأمور تصل بين الدولتين _ الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة_ إلى التباعد والتناقض بعد مؤتمر يالتا(1945)، وذلك بسبب ما أبداه السوفييت من تشدد في موقفهم من بعض المسائل الأوروبية بعد وفاة "روزفلت" على وجه الخصوص، فتدخلوا بشكل علني في شؤون كل من بولونيا ورومانيا، ولم تثمر أي نتائج للاحتجاجات التي أبداها الأمريكيون بخصوص هذا الموضوع.

أما مأخذ السوفييت على الولايات المتحدة الأمريكية، عندما حاول الجنرال الأمريكي (الكسندر) – القائد الأعلى لجيوش الحلفاء في إيطاليا – التفاوض مع الجنرال الألماني (كيسلرنج) بشأن استسلام الجيش الألماني في إيطاليا للولايات المتحدة وحدها.[1]

ترافق هذا الوضع مع استسلام اليابان في 10 أغسطس عام 1945، وبذلك تكون الولايات المتحدة الأمريكية قد بدأت حقبة تاريخية جديدة لا مجال فيها للعزلة أو الانكفاء على الأمور الخاصة والداخلية، فالمسؤوليات التي ألقاها هذا الوضع على عاتق الولايات المتحدة

---

[2] حسين، شريف.2001. **الولايات المتحدة من العزلة والاستقلال إلى سيادة العالم 1783-2001**، القاهرة: الجمعية المصرية للثقافة العالمية، ص 120.

[1] حسين 2001: 121.

الأمريكية تميزت بكونها مسؤوليات كبيرة ولا تقل خطورة عن تلك التي عرفتها أثناء الحرب.

وكونها استطاعت الولايات المتحدة القضاء على النظامين النازي والفاشي في أوروبا، فهذا يعني أنها قد واجهت نظاما آخر قويا تمثل في الاتحاد السوفيتي، والذي أصبح له بحكم احتلال قواته لأجزاء واسعة من أوروبا مصالح حيوية في تلك القارة قد تتعارض دون شك مع مصالح الولايات المتحدة.[2]

لا ينبغي في هذا السياق التركيز على أن الاختلاف في وجهات النظر الأمريكية والسوفيتية لأسباب ومصالح اقتصادية وسياسية فحسب، وإنما أيضا تركز الاختلاف حول المفاهيم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، حيث وجدت الولايات المتحدة نفسها أمام مفهوم مختلف للحياة، كما العالم وجد نفسه أمام مفهومين مختلفين للحياة، فمن الناحية الاقتصادية تزعمت الولايات المتحدة العالم الرأسمالي وظلت مخلصة للنظام الاقتصادي الحر، بينما تبنى الاتحاد السوفيتي نظاما مغايرا تماما، وهو النظام الاقتصادي الشيوعي.[1]

أما إنجلترا وفرنسا نجد أنهما اتبعتا نظام الاقتصاد الموجه، وكانتا في حاجة إلى مساعدة الولايات المتحدة، وبالنسبة لدول أوروبا الوسطى والبلقان فقد انهارت نظمهما، حيث كانت المشكلة الأولى التي واجهت أقطاب الحلفاء هي كيفية إعادة بناء تلك الدول من جديد وموقفها من كلا الكتلتين، إضافة لذلك مشكلة ألمانيا حيث برزت المشكلة الألمانية والاختلاف

[2] المرجع السابق: 122.

[1] حسين 2001: 130.

في وجهات النظر بين الكتلتين حول مصير ألمانيا عندما تقابل الأقطاب في مؤتمر موسكو، فبالرغم من تظاهر كلا الكتلتين بعدم رفضها لفكرة توحيد ألمانيا إلا أن ذلك كان من قبيل المناورات السياسية ولم تكن واحدة منها ترغب حقا في ذلك.[2]

أما الدول الواقعة على نهر "الدانوب"، فإننا نجد أن النفوذ السوفيتي قد توسع فيها إلى حد كبير بعد سنة 1945، وذلك بفضل المعاهدات التي أبرمتها مع تلك الدول، وإذا كانت الولايات المتحدة قد قبلت بتفوق النفوذ السوفيتي في دول شرق أوروبا بحكم الأمر الواقع إلا أنها عارضت جميع المحاولات التي بذلها السوفييت لبسط نفوذهم على اليونان.

كان هذا باختصار الوضع الأوروبي الداخلي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وما أسفرت عنه هذه الحرب من تغيرات على الساحة الدولية والنظام الدولي بأكمله وتحوله من نظام متعدد الأقطاب إلى نظام ثنائي القطبية، تتجاذبه كتلتين رئيسيتين هما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي.

- الولايات المتحدة الأمريكية عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية:

أما إذا تطرقنا إلى الوضع الأمريكي عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية، فإننا نلاحظ أن بداية الارتباط الأمريكي بالوضع الأوروبي كانت منذ احتلال الجيوش الأمريكية ومعها القوات المتحالفة لغرب أوروبا، حيث يشكل ذلك بداية الارتباط الأمريكي بالشؤون الدولية بصورة مغايرة لما كان قبل الحرب العالمية الثانية، كما شكل ذلك نقطة تحول في مفاهيم الاستراتيجية الأمريكية، فمنذ نهاية الحرب العالمية الثانية والولايات المتحدة تعتبر أوروبا

[2] المرجع السابق: 134.

الغربية وبما فيها من موارد وطاقات وموقع، نقطة استراتيجية هامة ينبغي المحافظة عليها وعلى تكتل دولها وعدم السماح للاتحاد السوفيتي أن ينفذ من خلالها، وهذا رغم ما تشكله هذه النقطة من متاعب للولايات المتحدة الأمريكية كما حدث بالنسبة لبعض المواقف الفرنسية تجاه أمريكا.[1]

لقد أدى اعتبار أهمية أوروبا الغربية للولايات المتحدة إلى أن تبذل كافة جهودها من اجل إعادة بناء أوروبا الغربية وربطها بعضها ببعض وبالولايات المتحدة في حلف الأطلسي وكذلك توفير دعمها وتشجيعها للتجمعات الاقتصادية من اجل ازدهارها وقوتها.

وكما أسفرت انتهاء الحرب العالمية الثانية عن ظهور الاتحاد السوفيتي باعتباره قوة كبرى تخضع لسيطرتها دول أوروبا الشرقية، حيث تستمد الأحزاب الشيوعية في دول شرق أوروبا التوجيه السياسي والأيدلوجي منه.

من هنا كان لا بد لأمريكا أن تقوم بالتصدي للمد الشيوعي، وذلك عن طريق إعادة بناء أوروبا اقتصاديا، وتمكينها من استعادة قدرتها الصناعية وتوجيه ذلك كله لمواجهة الأفكار الشيوعية.[1]

فمشروع مارشال (1947)، هدف إلى إعادة بناء ألمانيا الغربية التي تقع على خط المواجهة الأمامي مع الشطر الشيوعي في أوروبا، الأمر الذي أوجب إرسال الأموال والمساعدات الأمريكية الى ألمانيا، وبذلك استطاعت خلال سنوات قليلة أن تصبح من أكثر

[1] حسين 2001: 135.

[1] حسين 2001: 135.

الدول الأوروبية ازدهارا، فقد عبرت الولايات المتحدة الأمريكية عن موقفها لمعاهدة روما سنة(1958) التي أنشأت السوق الأوروبية المشتركة أملا من الولايات المتحدة أن تؤدي هذه الوحدة الاقتصادية إلى وحدة سياسية بين دول أوروبا الغربية، وقد ساهمت رؤوس الأموال الأمريكية في قيام استثمارات ضخمة في أوروبا.[2]

أما من الناحية العسكرية فقد أنشأت الولايات المتحدة حلف شمال الأطلسي، وذلك لمواجهة الاتحاد السوفيتي انبثاقا من اعتقادها أن دول أوروبا الشرقية تمثل التجمع الهام الذي ترتبط به ارتباطا وثيقا في شرقها، وبالرغم من أن الظروف التي ساهمت في قيام حلف شمال الأطلسي قد انتهت، إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تزال تعتقد أن الحلف ضروري لأمنها، وان التطور يمكن أن يدخل عليه في ضوء ما أطلق عليه النظرة الواسعة للتنافس السلمي مع دول أوروبا الغربية، ويبلغ حرص الولايات المتحدة الأمريكية على الحلف إلى درجة اعتقادها انه هو السبب فيما طرأ من إمكانيات جديدة بدأت تتفتح، وانه هو الذي أبقى لألمانيا حريتها، كما يرجع إليه الفضل في إقامة علاقات ودية بين ألمانيا الغربية وجاراتها الدول الشيوعية وغير الشيوعية.[1]

فالسيطرة الأمريكية على القارة الأوروبية، تعني أن نصف اقتصاد نصف العالم تقريبا لن يستطيع معارضة الإدارة الأمريكية.[2]

---

[2] المرجع السابق: 136.

[1] حسين 2001: 137.

[2] اوتكين، اناتولى. 2003. **الاستراتيجية الأمريكية للقرن الحادي والعشرين**، ترجمة أنور إبراهيم، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ص 140

في النهاية فإن خلاصة الموقف بالنسبة للعلاقات الأمريكية_الأوروبية هو أن الولايات المتحدة ترى بان الاستقرار والأمن في أوروبا الغربية يمثل حجر الزاوية في السلام العالمي، وبناء على هذا عملت على تقوية الروابط الأطلسية وزيادة التعاون مع دول أوروبا الغربية عبر عدة طرق وإتباع عدة أساليب تتمثل في المشاركة الحقيقية والمحافظة على قوة الحلفاء، إلى جانب قوة الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك التزام الولايات المتحدة بالمشاركة مع أوروبا الغربية وان لا تتفرد بأمر دون مشورة دولها.[3]

من خلال هذا الوضع نلاحظ أن العلاقة القائمة ما بين أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية قد أخذت شكل المشاركة مع المحافظة على التزام الولايات المتحدة بارتباطها نحو الغرب مع الأخذ بعين الاعتبار لذاتية دول أوروبا واستقلال شخصيتها.

باختصار كانت هذه بعض القواعد الرئيسية التي أرست الولايات المتحدة الأمريكية عليها سياستها بالنسبة لأوروبا الغربية منذ أن انتهت الحرب العالمية الثانية إلى الآن، فقد كان الهدف الرئيسي للولايات المتحدة من هذه السياسة هو بناء أوروبا الغربية وجعلها قوية بحيث تعتمد عليها في مواجهة الاتحاد السوفيتي.

على الرغم من النجاح الذي حققته الولايات المتحدة الأمريكية من خلال إتباعها لهذه السياسة، إلا انه في المقابل ثمة العديد من المشاكل التي قد واجهتها، فيمكن القول بان الطموح الأمريكي وراء سعيها في تحقيق وحدة سياسية بين دول أوروبا الغربية وجعل هذه المجموعة

---

[3] حسين 2001: 125.

قوة ثالثة في الوسط بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية، لم تتحقق حتى الآن بسبب اختلاف وجهات النظر الأمريكية مع وجهات نظر بعض الدول الأوروبية وعلى وجه الخصوص فرنسا.

كذلك الأمر بالنسبة لاعتماد الولايات المتحدة الأمريكية على حلف الناتو، فان هذا الحلف قد تعرض لهزات أضعفت منه في أكثر من مناسبة، وكان أخطر ما تعرض له الحلف هو اقتناع عدد من الدول الأوروبية بتناقص الخطر الشيوعي على أوروبا وخاصة بعد موت ستالين، وكذلك مشكلة السيطرة الأمريكية المنفردة على الأسلحة النووية والتي أدت في النهاية إلى خروج فرنسا من الحلف، ورغبة بعض الدول في تخفيض التزامها تجاه الحلف، وتطلع البعض منها إلى الانفتاح على أوروبا الشرقية وإجراء التبادل التجاري معها.

هكذا تميزت السياسة الأمريكية تجاه القارة الأوروبية وخاصة أوروبا الغربية، حيث تمثلت هذه السياسة بوضع خطط للقارة الأوروبية بشكل عام، ولكن لابد من التطرق إلى بعض القضايا الأوروبية البارزة، وكيف تشكلت السياسة الأمريكية تجاهها، وأولى هذه القضايا الأوروبية هي:

- المشكلة الألمانية:

أدت الحرب العالمية الثانية إلى تقسيم برلين إلى أربعة أقسام، أحدها سوفيتي والأقسام الثلاثة الأخرى تتوزع ما بين أمريكا وبريطانيا وفرنسا، ومنذ ذلك الحين وألمانيا مقسمة، والواقع أن هذا التقسيم سيبقى إذ ليس من المتصور في ذلك الحين أن تنجح أية خطة للتوحيد

سواء كانت خطة سوفيتية أو غربية، وذلك لان المسالة الألمانية تعتمد على إمكانيـــة اتفـــاق الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة على قيامها، وهو الأمر الذي ينطوي على مشاكل كبيرة.[1]

فمن ناحية لا يمكن أن يوافق الاتحاد السوفيتي على قيام وحدة ألمانية تنصهر فيها ألمانيا الديمقراطية ويتم ابتلاعها في كيان ألماني يستمد قوته من الانضمام إلى المعسكر الغربي، أما التصور الأمريكي للمشكلة الألمانية فيمكن القول بأن الولايات المتحدة لا تستطيع إلا أن تؤيد قيام الوحدة الألمانية، لان هذه الوحدة مطلب قومي لألمانيا تستغله السياسة الأمريكية في استمرار ربط ألمانيا بالعالم الغربي على أساس أن هذا الارتباط هو الذي سوف يحقق الوحدة في وقت ما.

كما يمكن القول أن حقائق ميزان القوى في أوروبا تقتضي بقاء ألمانيا مقسمة، ذلـــك أن هذا التقسيم قد بات أمرا راهنا يمثل تغييره اختلالا لموازين القوى بين الشرق والغرب.

والجدير بالذكر كذلك أن ألمانيا الغربية كانت تفتقر إلـــى برنامـــج محـــدد وواضـــح للوحدة، كما كانت سياستها لتطبيق مبدأ الوحدة تفتقر إلى ثمة خطوات مبدئية ينبغي أن تتخذها لطريق الوحدة، كتحسين العلاقات مع دول أوروبا الشرقية وإيجاد حلـــول لمســـائل الحـــدود الحساسة.

[1] حسين 2001: 140.

كان هذا باختصار بالنسبة للسياسة الأمريكية تجاه المشكلة الألمانية، لا بد الآن من التوجه إلى قضية أوروبية أخرى بارزة واجهت السياسة الأمريكية في المنطقة الأوروبية، وهي علاقة أمريكا بفرنسا.[1]

- العلاقات الأمريكية الفرنسية:

تميزت وجهتا النظر الأمريكية والفرنسية بالتعارض بخصوص حلف شمال الأطلسي، ويرجع الخلاف إلى واشنطن التي ترى أن يكون لكل عضو في الحلف دور معين على أساس نظرية تقسيم العمل، بينما رأى "ديغول" أن ذلك من شانه أن يلغي حرية فرنسا في التصرف المنفرد، وقد ترجم هذا الخلاف من الجانب الفرنسي بقيام ديغول عام (1958) بطلب إنشاء هيئة ثلاثية أمريكية بريطانية فرنسية لإدارة الحلف، إلا أن الولايات المتحدة رفضت الفكرة، مما دفع ديغول إلى القيام بخطوة أخرى كرد على قرار الولايات المتحدة، وهي سحب الأسطول الفرنسي من قيادة حلف الناتو عام (1959)، كما قام بسحب القوات الفرنسية من قيادة الناتو وطالب بإزالة القواعد الأمريكية الموجودة على الأراضي الفرنسية.[1]

واجهت أمريكا القرارات الفرنسية بهدوء وعالجت الأمر بطريقة أتاحت فيها عدم حدوث تصدع بين الدول الحليفة، حيث قامت بإشراك فرنسا في الشؤون العسكرية للحلف عن طريق ضباط الاتصال.

---

[1] حسين 2001: 141.

[1] حسين 2001: 143.

أما فيما يتعلق بالوحدة الأوروبية، كان أيضا ثمة اختلاف بين المفهومين الأمريكـــي والفرنسي، فأمريكا ترى أن تتوحد أوروبا في كيان اقتصادي عسكري في إطـــار المشـــاركة الأطلسية وان يكون لهذا الاتحاد الأوروبي سلطات تعلو سلطات الدول الأعضاء، أما فرنســـا فترى أن يكون قيام الوحدة الأوروبية على أساس اتحاد فيدرالي تحتفظ فيه الدول الأعضـــاء بذاتيتها ويكون لفرنسا في هذا دور قيادي، بالإضافة لذلك فان المفهوم الفرنسي كان يتيح قيام وحدة أوروبية بمفهوم أوسع واشمل لا يقتصر على دول الغرب فحسب، بل يتسع ليشمل دول شرق أوروبا.

هذه بعض المشاكل التي واجهت العلاقات الأمريكية الفرنسية، بشكل خاص في فترة ما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، مما لا شك فيه أن هناك الكثير من المشاكل التي برزت ما بين هاتين الدولتين في تلك الحقبة.[1]

- العلاقات الأمريكية البريطانية:

لا بد من التطرق ولو بشكل مختصر إلى السياسة الأمريكية تجاه بريطانيا بشكل خاص، حيث تكونت الشخصية الأساسية للمجتمع والسياسة الأمريكية في ظل تأثير بريطاني قوي خلال القرن السابع عشر، التي وفرت الأمن للولايات المتحدة الأمريكية بحيث أتاحت لها الحياة في ظل سياسة العزلة مما مكنها من التطور والتقدم دون معوقات، ولقد نشأت وتوطدت أكثر من صلة عبر التاريخ بسبب التجارب المشتركة والتحالف في حربين عالميتين، فكانت هذه بمثابة خلفية أرسيت عليها صلات أقوى وأكثر صلابة بعد الحرب

[1] حسين 2001: 143.

العالمية الثانية، وذلك هو منشأ ما أطلق عليه بالعلاقة الخاصة بين الولايات المتحدة وبريطانيا، وتلك العلاقة التي وضعت التحالف الأمريكي البريطاني في مرتبة أعلى بالنسبة للتحالف الأمريكي الغربي بوجه عام.

ولكن هذا التوافق الخاص في العلاقات الأمريكية البريطانية لا ينفي ظهور بعض المشاكل التي أثرت بشكل أو بأخر على هذه العلاقة، كان أهمها أزمة السويس وهي التي أظهرت عجز بريطانيا عن القيام بعمل مستقل، وبمعنى آخر فان هذه الأزمة كانت الدليل على نهاية قدرة بريطانيا على التصرف المنفرد المستقل في الشؤون العالمية.[1]

أما الموقف الأخر الذي اثر على طبيعة العلاقات الأمريكية البريطانية، هو إلغاء برنامج الصواريخ "sky blat" حيث كان ذلك بمثابة القضاء على أمل بريطانيا في الاستقلال العسكري.

أضف لذلك العديد من الأحداث التي أثرت بشكل سلبي على العلاقات الأمريكية البريطانية.

- الولايات المتحدة والسوق الأوروبية المشتركة:

الموضوع الأوروبي الآخر الذي لا بد من التطرق إليه ودراسة السياسة الأمريكية تجاهه بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، هو السوق الأوروبية المشتركة، حيث رحبت الولايات المتحدة بمعاهدة روما التي أنشأت السوق الأوروبية المشتركة على أساس أن قيام تجمعات اقتصادية أوروبية من شأنه تقوية أوروبا الغربية وجعلها قادرة على مواجهة

[1] حسين 2001: 146.

التزامات الغرب في مواجهة الشرق، وعلى أساس أن الوحدة الاقتصادية قد تتحـــول مـــع الزمن إلى وحدة سياسية بحيث تصبح أوروبا الغربية كتلة سياسية اقتصادية عسكرية تعول عليها الولايات المتحدة وتتخذ منها شريكا في مواجهة الاتحاد السوفيتي.[2]

- **الولايات المتحدة والوحدة الأوروبية:**

فيما يخص الوحدة الأوروبية، فان الولايات المتحدة تسعى للعمل على تماســـك دول غرب أوروبا وتجنب الخلافات والمشاكل فيما بينها، لما في ذلك من ضمان للوحدة الغربيـــة وقوتها في مواجهة الاتحاد السوفيتي ودول الكتلة الشرقية، كما تعتبر الولايـــات المتحـــدة أن الوحدة الأوروبية عاملا في تقوية مركز الغرب السياسي في معاملاته مع الجانب الآخر وهو ما يؤكده الرؤساء الأمريكيون دوما، وترى الولايات المتحدة أن أكثر الصور ملائمة وفعاليـــة للتعاون الأطلسي هو قيام شراكة بينها وبين أوروبا الموحدة، وهي ترى أن يكـــون لأوروبـــا الموحدة جهاز يعلو في سلطاته سلطات الدول الأوروبية حتى تكـــون الشـــراكة الأمريكيـــة الأوروبية ذات فعالية مجدية.[1]

هذا المفهوم الأمريكي للوحدة الأوروبية لقي معارضة أوروبية وعلى رأسها فرنسا، كما اعترض فريق من السياسيين الأمريكيين أنفسهم على رأسهم (هنري كيسنجر) مستشار الرئيس الأمريكي (نيكسون) فقد ذهب كيسنجر في كتابه "Troubled partnership" إلى إن الذي

---

[2] المرجع السابق: 148.

[1] حسين 2001: 148.

تراه الولايات المتحدة غير متصور، ذلك أن الطرق والوسائل التي تم بها التداخل الاقتصادي الأوروبي لا يمكن تطبيقها في المجال السياسي وفي شان قيام وحدة سياسية بين الدول الأوروبية.

تلخيصا لما سبق نرى أن الولايات المتحدة تعاملت مع العديد من القضايا الأوروبية الخاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، والذي حكم سياستها تجاه هذه القضايا هو ضرورة إعادة بناء أوروبا الغربية لمقاومة المد الشيوعي.[1]

- الحرب الباردة:

كان لنهاية الحرب العالمية الثانية اكبر التأثير في تغيير النظام العالمي وإفراز حرب أخرى قد تختلف في الشكل ولكنها تحوي نفس المضمون، انتهت الحرب العالمية الثانية

[1] حسين 2001: 149.

وبانتهائها تغير النظام الدولي وتغيرت ملامحه، حيث يقول الكاتب "John Lukas" بأن الحرب الباردة هي نتيجة مباشرة للحرب العالمية الثانية، أكثر من كون الحرب العالمية الثانية نتيجة للحرب العالمية الأولى.[1]

بانتهاء الحرب العالمية الثانية انتهى النظام العالمي متعدد الأقطاب، الذي كان قائما على توازن القوى بين سبع دول أوروبية، حيث خرجت هذه الدول من الحرب العالمية الثانية مثقلة بالخسائر، مما أدى إلى تراجعها للصفوف الخلفية وتقدم قوى أخرى ساهمت في إبراز وإظهار وجه آخر للنظام الدولي، وهي الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفيتي، وتحول النظام الدولي من نظام متعدد الأقطاب إلى نظام ثنائي الأقطاب، يمثل قطبيه المعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، والمعسكر الشرقي بقيادة الاتحاد السوفيتي.

من هنا كانت بداية الحرب الباردة، وهي فترة من العداء ما بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية، وقد استمرت الحرب الباردة أربعة عقود، امتدت من عام 1947 حتى عام 1989، وكانت فترة الذروة لتلك المرحلة ما بين 1947 حتى 1963، فاتسمت هذه المرحلة بغياب مفاوضات جادة بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي، ولم تعقد أي لقاءات قمة منذ عام 1945 وحتى عام 1955 .[1]

[1] ناي، جوزيف. 1997. **المنازعات الدولية: مقدمة نظرية**، ترجمة احمد الجمل، القاهرة: الجمعية المصرية لنشر الثقافة والمعرفة العالمية، ص 147.

[1] ناي 1997: 148.

أما المراحل الأخيرة من الحرب الباردة والتي استمرت من السبعينات وحتى الثمانينات، كانت مختلفة حيث تميزت بوجود اتصالات عديدة بين الأمريكيين والسوفييت، وهذا ما أكد عليه "Micheal Mandelbum" الذي يرى أن الاتحاد السوفيتي في فترة الخمسينيات ونهاية السبعينيات والتي سميت بمرحلة الوفاق، نظر إلى أمريكا على أنها تعاملت مع واقع قوة الاتحاد السوفيتي (العسكرية، والاقتصادية) وتأثيره على أوروبا الشرقية وتراجعها (أمريكا) كقوة عالمية، مما ترتب عليه أخذ الاتحاد السوفيتي كقوة بعين الاعتبار، أما أمريكا فاعتبرت مرحلة الوفاق حول التزام الاتحاد السوفيتي بالقوانين الدولية المتعلقة بالسلوك السياسي الجيد، القوانين الدولية كما حددتها أمريكا، أما نهاية الحرب فقد جاءت بصورة سريعة بسبب التغيير الذي طرا على السياسة السوفيتية بعد تولي (غورباتشوف) الحكم عام 1985، وانهيار الهيمنة السوفيتية على أوروبا الشرقية عام 1989 وتفكك الاتحاد السوفيتي عام 1989. [2]

- أسباب بداية الحرب الباردة:

إننا لا نستطيع أن نفهم بدايات الحرب الباردة في أوروبا من خلال تحليل السياسية الأمريكية أو الاتحاد السوفيتي كل على حدا، وذلك بسبب تأثر أوروبا تحت ما يسمى برد

[2] Mandelbalum, Michael 1995**. Foreign Affairs** 58, "Ending the cold war". P51.

الفعل كما اكد"John Lewis Gaddis" ، حيث أن أفعال طرف معين لم تؤثر على الطرف الآخر فحسب بل أثرت على الطرف الأوروبي كذلك.[1]

وبالتالي يمكننا القول بوجود العديد من الآراء ووجهات النظر التي تحاول بشكل أو بآخر تفسير أسباب نشوب الحرب الباردة، وإذا ما كانت هناك حتمية لوقوع الحرب أم لا.

يرى البعض أن السبب الوحيد لنشوب الحرب الباردة هو الاتحاد السوفيتي و(ستالين)، ففي الحرب العالمية الثانية كانت الدبلوماسية الأمريكية دفاعية، بينما كان الاتحاد السوفيتي عدوانيا وتوسعيا، ولم ينتبه الأمريكيون إلا ببطء للتهديد السوفيتي واهم من يمثل هذا الاتجاه هو (هر برت فيز).

أما بالنسبة لأهم الأدلة التي يتبناها أصحاب هذا الاتجاه لإثبات مسؤولية (ستالين) والاتحاد السوفيتي عن نشوب الحرب الباردة، انه عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى اقتراح نظام عالمي جديد يعتمد على الأمن الجماعي وذلك من خلال الأمم المتحدة، أما الاتحاد السوفيتي بالمقابل لم يأخذ الأمم المتحدة مأخذ الجد بل كان يسعى إلي التوسع وبسط سيطرته على مجال نفوذه في شرق أوروبا، كما قامت الولايات المتحدة بعد الحرب بتسريح جنودها وقواتها، في حين احتفظ الاتحاد السوفيتي بقوات ضخمة من جيشه في أوروبا الشرقية.[1]

---

[1] Gaddis, John Lewis.1997. **We now know: rethinking cold war history**, Oxford: Oxford University Press, p138.

[1] ناي 1997: 150.

وتأكيدا على هذا الاتجاه السوفيتي التوسعي فقد أبطأ الاتحاد السوفيتي في سحب قواته من شمال إيران بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وكذلك قيام الشيوعيون بالاستيلاء على تشيكوسلوفاكيا، وقيام الاتحاد السوفيتي بمحاصرة برلين لإخراج الحكومات الشيوعية منها.

وبناء على هذه الأحداث تنبهت الولايات المتحدة الأمريكية إلى خطر التوسع السوفيتي فبدأت الحرب الباردة.

وهذا ما أكد عليه "Zbigniew Brzezinski" بان توجه القوتين العظمتين تجاه بعضهما البعض خلال الفترة الأولى من الحرب الباردة والتي انتهت عام 1953 مع موت (ستالين)، كان يحكمها الخوف أو الرعب تجاه بعضهما البعض، [2]فيرى "William wholforth" بان الأزمة الأمنية تزداد سوءا عندما تسعى الدولة إلى حلول هجومية لحل الإشكالية الدفاعية. [3]

انتقالا للرأي الآخر في سبب نشوب الحرب الباردة، والذي برز في فترة الستينات والسبعينيات، فيقوم على مبدأ أن سبب الحرب الباردة هو التوسع الأمريكي وليس السوفيتي والدليل على ذلك انه عند نهاية الحرب العالمية الثانية لم يكن هناك في الحقيقة ثنائي الأقطاب، لان السوفييت كانوا اضعف بكثير من الولايات المتحدة التي زادتها الحرب قوة، فقد كانت تملك أسلحة نووية في الوقت الذي لا يملكها الاتحاد السوفيتي، هذا بالإضافة إلى التفوق الأمريكي في كافة الأصعدة على الاتحاد السوفيتي.

[2] Brezezinski, zbigniew 1992. **Foreign Affairs** 71, "The cold war and its aftermath", p87.
[3] Wholforth, William.1993. **The elusive balance: power and perceptions during the cold war**. London: Cornell University Press, p45.

وحسب وجهة نظر (جبري يل كوكلو) إن المشكلة تكمن في طبيعة الرأسمالية الأمريكية، فالاقتصاد الأمريكي كان يتطلب سياسية توسعية وان الولايات المتحدة كانت تخطط لتحويل العالم إلى منطقة آمنة ليس من اجل الديمقراطية ولكن من اجل الرأسمالية، ولم تحتمل الهيمنة الاقتصادية الأمريكية أي دولة تحاول أيجاد منطقة اقتصادية مستقلة.[1]

هذا بالإضافة إلى أن خطة مارشال لتقديم المساعدة لأوروبا، هي طريقة لتوسيع نطاق الاقتصاد الأمريكي، ولقد كان السوفييت على صواب حين رفضوا هذه الخطة فقد رأوا أنها تمثل تهديدا لنطاق نفوذهم في أوروبا الشرقية.

تلك إذا وجهتي نظر مختلفتين حول أسباب نشوب الحرب الباردة، أما وجهة النظر الأخيرة والتي يمثلها (John Lewis Gaddis)، يرى انه لا يوجد شخص يستحق اللوم لبدء الحرب الباردة، فهذه الحرب كانت حتمية وذلك بسبب التركيب ثنائي الأقطاب لتوازن القوى في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية.[2]

ففي عام 1939 كان العالم يسوده نظام تعدد الأقطاب في ظل وجود سبع قوى عظمى، ولكن بعد الانهيار والدمار الذي خلقته الحرب العالمية الثانية، لم يبق سوى قوتين عظمتين هما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، وإذا أخذنا في الاعتبار النظام ثنائي الأقطاب إلى جانب ضعف الدول الأوروبية فسنجد أن النتيجة هي فراغ قوة اجتذب كلا من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، فكان من المحتم أن يدخلا في صراع.

---

[1] ناي 1997: 152.

[2] المرجع السابق: 153.

كانت هذه أهم وجهات النظر التي حاولت تفسير أسباب نشوء الحرب الباردة، ولكن هناك جانب آخر لا بد من التطرق إليه خلال دراسة هذه الظاهرة وهي الأهداف التي سعت كلا من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي من تحقيقها بدخولها إلى الحرب الباردة.[1]

- النظام العالمي أثناء الحرب الباردة:

يرى (جوزيف ناي) أنه من أهم النظريات الدولية التي كانت سائدة في فترة الحرب الباردة، هي ما يطلق عليها بنظرية (توازن الرعب)، وهذه النظرية هي أحد فروع النظرية الواقعية التي تم تبنيها في هذه الدراسة لتفسير العلاقات الدولية في فترة الحرب الباردة، حيث افرز السلاح النووي نوعا غريبا من توازن القوى كان يطلق عليه أحيانا توازن الرعب، فقد

[1] ناي 1997: 154.

أصبحت اختبارات القوة نفسية أكثر منها مادية، واتبع الطرفان سياسة منع تفوق الطرف الآخر، ولكن النتيجة في ظل ذلك كانت مختلفة عن الأنظمة السابقة، فعلى عكس نظام توازن القوى في القرن التاسع عشر، حيث كانت خمس دول عظمى تتداول الأحلاف أصبح توازن القوى في الحرب الباردة يدور في فلك قوتين عظمتين تستطيع كل منها تدمير الأخرى في لحظة.

هذا وقد تطابق توازن الرعب النووي مع قوة ثنائية الأقطاب، ويعرف بعض علمـــاء السياسة مثل (كينيك والثر) ثنائية الأقطاب على أنها الأوضاع التي تمتلك فيها دولتان كبيرتان كل القوة تقريبا، بالرغم من أن هذا النوع من ثنائية الأقطاب هو نادر الحصول فـــي النظـــام الدولي.[1]

كما يتابع (والثر) القول أن ثنائية الأقطاب نوع ثابت من النظم لأنه يبسط الاتصالات والحسابات، ولكنه من ناحية أخرى يفتقد للمرونة ويبالغ في أهمية الصراعات الجانبية كما حصل في حرب فيتنام، وكما هو متعارف عليه سابقا بأن نظام ثنائي الأقطاب إما أن يزول أو ينفجر وذلك بسبب الحذر الذي أفرزته الأسلحة النووية.

أما النظرية الأخرى التي كانت سائدة في فترة الحرب الباردة هي نظرية (الردع النووي) فعلى مر التاريخ كانت الدول تبني الجيوش وتكون التحالفات وتصدر تهديدات لردع دول أخرى عن الهجوم عليها، ولكن في العصر النووي اعتمدت القوى العظمى على الإثناء،

[1] ناي 1997 :147.

من خلال التخويف، ويشجع الردع النووي منطق (إذا هاجمتني ربما لا أستطيع منعك، ولكني سارد بعنف يجعلك لا ترغب في الهجوم أولا) وهكذا صاغت الأسلحة النووية شكلا جديدا لمفهوم قديم.[1]

ولكن هناك بعض الإشكاليات الواضحة في نظرية الردع، يرى (جوزيف ناي) انه من الصعب إثبات فعالية سياسة الردع، فهناك دائما خطر وجود علاقة خاطئة بين السبب والنتيجة، حيث الردع المؤثر يقتضي القدرة على التدمير إلى جانب مصادقية اللجوء إلى السلاح، والمصداقية تعتمد على المصالح المشتركة في النزاع، فعلى سبيل المثال يعتبر تهديد أمريكا بقصف موسكو ردا على هجوم بالأسلحة النووية أمرا محتملا، ولكن ماذا إذا افترضنا أن الولايات المتحدة وجهت نفس التهديد لموسكو عام 1980 إذا لم ينسحب السوفييت من أفغانستان، لا شك أن الولايات المتحدة كان لديها القدرة على ذلك ولكن التهديد لن يكون صادقا لان أمريكا ليس لها مصالح كبيرة في أفغانستان وكان بإمكان السوفييت ببساطة التهديد في قصف واشنطن، وهكذا فالردع لا يرتبط بالقدرة فقط ولكن بمدى مصداقية هذا الردع.[1]

- أهداف الولايات المتحدة و الاتحاد السوفيتي من الدخول في الحرب الباردة:

لطالما كان الاتهام الأكثر التصاقا بالاتحاد السوفيتي هو تبنيه لسياسات توسعية،وسعيه وراء تحقيق أهداف ملموسة مثل الاستيلاء على الأراضي.

[1] ناي 1997: 150.

[1] ناي 1997: 158.

أما في الطرف المقابل فان الأمريكيون كانوا يميلون لتحقيق أهداف مجردة أو غير ملموسة مثل تأسيس الوضع العام للسياسة الدولية.

حيث يمكن أن نلمس هذه التوجهات في مطالب كل من ستالين وتشر شل وروزفلت في مؤتمر يالتا، فقد سعى ستالين للحصول والاستيلاء على بولندا وألمانيا، أما تشرشل فأراد استعادة قوة فرنسا لتساعد على توازن القوى مع السوفييت في حالة انسحاب أمريكا، أما روزفلت فأراد تأسيس الأمم المتحدة وبناء نظام عالمي اقتصادي مفتوح، فكما نلاحظ فان هذه الأهداف تختلف اختلافا كبيرا في كونها ملموسة.[2]

- نهاية الحرب الباردة:

قبل الخوض في أسباب نهاية الحرب الباردة يؤكد " "Jeremi Suriأن الإشكالية تبدأ في قيام العديد من المحللين السياسيين بالتقليل من أهمية التراجع الداخلي الذي شهده الاتحاد السوفيتي على كافة الأصعدة في فترة الثمانينيات، ولكن بالرغم من ذلك هناك بعض النقاد الذين يؤكدون قضية التراجع الداخلي السوفيتي وتأثيره على زعزعة الاستقرار في الإمبراطورية السوفيتية.[1]

فانهيار المعسكر الاشتراكي أدى إلى انتهاء الحرب الباردة، وبداية مرحلة جديدة من النظام الدولي تسمى بمرحلة أحادى القطبية.[2]

---

[2] المرجع السابق: 156.

[1] Suri, Jeremi. 2002. **Journal of cold war**. "Explaining the end of the cold war: a new historical consensus", p60.

[2] Mcwilliam, Wayne.1997. **The world since 1945: a history of international relations**. London: Rienner Publisher. P 594.

بما أن أصول تلك الحرب كانت متصلة بتقسيم أوروبا بين الولايات المتحدة و الاتحاد السوفيتي يمكن أن يؤرخ نهاية الحرب بنهاية هذا التقسيم أي عام 1989.

وذلك عندما لم يلجا الاتحاد السوفيتي للقوة للتأييد الحكومة الشيوعية في ألمانيا الشرقية وباختراق الجموع لسور برلين في نوفمبر عام 1989 يمكن القول أن الحرب قد انتهت.

ولكن لا بد أن هناك أسبابا لعبت دورا أساسيا في انتهاء الحرب الباردة، حيث يرى البعض بأن السبب وراء انتهاء الحرب الباردة هو نجاح سياسة الاحتواء، ولكن هذا الجواب غير كافي، أما التفسير الآخر لذلك هو فرط التوسع الإمبريالي، حيث يقول المؤرخ (بول كيندي) بان أيا من الإمبراطوريات متعددة الجنسيات التي أفرطت في التوسع عبر التاريخ لم تكن لتتراجع إلى قاعدتها العرقية إلا حين تلحق بها الهزيمة أو تضعف بسبب حرب كبرى بين القوى، أما التفسير الآخر فيدعي بأن تبادل القوة العسكرية الأمريكية في الثمانينات دفع الاتحاد السوفيتي للاستسلام في الحرب الباردة، ولكن هذه الأسباب في مجملها غير مقنعة ويمكن دحضها بطريقة أو بأخرى.[1]

من الممكن الحصول على رؤية أوضح لتفسير أسباب انتهاء الحرب الباردة، وذلك بإرجاعها إلى ثلاثة أسباب رئيسية.

[1] ناي 1997: 158.

يتلخص السبب الأول لنهاية الحرب الباردة، بأنه يرجع إلى شخص واحد وهو "ميخائيل غورباتشوف" حيث أراد إدخال إصلاحات على الشيوعية دون استبدالها، غير أن الإصلاح تنامى وتحول إلى ثورة نابعة من أسفل وليست محكومة من أعلى.

أما سياسته الخارجية والتي أطلق عليها الفكر الجديد فقد ساهمت في وضع نهاية للحرب الباردة، لاحتوائها على عنصرين هامين هما مفهوم الأمن الجماعي، وهو مفهوم يدعو إلى توحيد الجهود لتوفير الأمن الجماعي وبذلك تختفي المعضلة الأمنية التقليدية، أما العنصر الثاني من سياسة "غورباتشوف" الخارجية فكان نظرته تجاه السياسية التوسعية التي رأى بأنها عندما توزن، هي سياسة مكلفة أكثر منها مربحة، وهكذا وقبل حلول صيف 1989 بدأت أوروبا الشرقية تحصل على قدر اكبر من الحرية، فسمحت المجر لمواطني ألمانيا الشرقية بالهروب عن طريقها إلى النمسا.

هذا من جانب آما الجانب الآخر فيجب الأخذ بعين الاعتبار الأسباب العميقة، وهي انحدار العقيدة الشيوعية وفشل الاقتصاد السوفيتي.

وبهذا كانت نهاية الحرب الباردة واحدة من أهم حوادث التغيير في هذا القرن مثلها في ذلك مثل الحرب العالمية الثانية في تأثيرها على تركيب النظام الدولي ولكن الحرب الباردة حدثت دون قتال حقيقي.[1]

[1] ناي 1997: 160.

. الخاتمة:

تم تخصيص الجزء الأكبر في هذا الفصل للمعلومات التاريخية الضرورية التي تساعد في سهولة الدخول لصلب هذه الدراسة بالتدريج، حيث تم التطرق بداية إلى أهم المتغيرات التي حصلت على الساحة الدولية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وكيف بدأت العلاقات الأمريكية الأوروبية بالتبلور شيئا فشيء، كذلك تم وصف الوضع الأوروبي الداخلي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، واهم القضايا التي كانت مطروحة في ذلك الوقت، كما تم الحديث عن الولايات المتحدة الأمريكية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بالتركيز على توجهاتها الجديدة نحو القارة الأوروبية، واهم القضايا الأوروبية التي كانت بارزة على السطح، والية الولايات المتحدة الأمريكية في التعامل معها، وبالتالي هناك عرض للعلاقات الأمريكية الأوروبية في تلك المرحلة التاريخية وما كانت تتسم به من انسجام إلى حد ما.

أما الجزء الأخير من هذا الفصل فقد تخصص في بحث ظاهرة الحرب الباردة بشكل مختصر، والنظريات الدولية التي كانت سائدة في تلك الفترة وذلك لقدرتها بتفسير الأحداث الدولية في تلك الحقبة التاريخية، كما تطرقنا أيضا إلى مفهوم وأسباب بدء ونهاية الحرب الباردة.

- الفصل الثاني:

1. مقدمة.
2. التطور التاريخي لحلف شمال الأطلسي.
3. نظرية التحالفات في السياسة الدولية.
4. سياسة التحالف في العلاقات الدولية.
5. اثر الأحلاف الدولية على استقرار الأنساق الدولية.
6. خصائص النظام ثنائي القطبية.
7. حلف شمال الأطلسي.
8. تقييم سياسة التحالفات الأمريكية.
9. الخاتمة.

• المقدمة:

لا شك من أن هذه الأطروحة تقوم على فرضية تتمحور حول أهمية حلف الناتو في السياسة الخارجية الأمريكية تجاه القارة الأوروبية، خاصة بعد انتهاء الحرب الباردة والتي شكلت سببا في قيام وتأسيس حلف الناتو، فانتهاء الحرب الباردة أعطى انطباع لبعض المحللين الليبراليين والواقعيين بان حلف الناتو لم يعد له ذات الأهمية التي اكتسبها في فترة الحرب الباردة عندما كان هناك خطر سوفيتي واضح، إلا أن توقعات هؤلاء المحللين بتراجع الناتو وتراجع أهميته وحتى اندثاره، كانت توقعات سابقة لأوانها وهذا ما أكد عليه الكاتب " Alexander Moens"[1].

فإنه حتى نستطيع أن نفهم سبب استمرارية الناتو بعد انتهاء الحرب الباردة، يرى Robert Macalla""انه لا بد من الرجوع إلى حجج غير الواقعيين، وذلك لأن الواقعية تشدد على التحالف بين الدول، وحتى نستطيع أن نفهم العلاقات بين الدول لا بد من أن نفهم سلوكها كمنظمة، والمصالح المختلفة التي تربط بين أعضائها.[2]

وقد أكد "Paul Cornish " على وجود عدة تفسيرات لعدم انتهاء الناتو بعد عقود من التعاون بين أمريكا وحلفائها الأوروبيين، حيث انه من الصعب جدا انهيار كل البنية المؤسساتية للناتو بطريقة سهلة وهادئة، أما السبب الآخر لعدم انتهاء الناتو هو أن انتهاء

[1] Moens, Alexander. 2003. **NATO and European security alliance politics from the end of the cold war to the age of terrorism**. London: Prager press, p40.
[2] Macalla, Robert 1996. **International organization 44**, "NATO's persistence after the cold war", p445.

الحرب الباردة لم يخلق فترة أو مرحلة جديدة من الاستقرار أو حتى مرحلة تمكن الإنسان من التنبؤ بما يمكن أن يحدث بأوروبا في المستقبل[1]، و الدليل على ذلك ما حدث في يوغسلافيا، فذلك الحدث يبرهن على عدم قدرة أوروبا على حل مشاكلها الأمنية الداخلية بمفردها، فاستمرار الناتو من وجهة النظر الأمريكية يشكل ضمان حي لاستمرار العلاقات الأمريكية الأوروبية، واستمرار الناتو يعكس التأثير السياسي لأمريكا في أوروبا، ويشكل أيضا عقبة أمام أي خطر ممكن أن يأتي من روسيا في المستقبل.[2]

هناك وجهة نظر أخرى، تؤكد على انه بدأت تظهر أهمية الناتو في منتصف التسعينات خاصة فيما يتعلق بقدرته على ردع المشاكل الداخلية في أوروبا، وأيضا برزت أهميته على الصعيد الدولي فيما يتعلق بقدرته على محاربة ما يسمى بالإرهاب، كما يؤكد هذا الرأي على القول بان الحرب الباردة هي السبب الوحيد في النزاع الدولي هو قول غير صحيح، من هذا المنطلق قد تكون هناك أسباب أخرى لاستمرار حلف الناتو وذلك بالرغم من أن الناتو توقف عن مهمته الرئيسية والتي كانت متمثلة في احتواء الخطر السوفيتي، إلا انه أصبح في المقابل يمثل دور القوة الرادعة ذات الأهمية الإنسانية بالإضافة إلى الأهمية العسكرية.[3]

---

[1] Cronish, Paul .1997. **Partnership in crisis the European and rise of NATO**. London: The Royal Institute of International Affairs, p6.
[2] Smith, Wayne.1995, **Foreign affair** 54," What forces for NATO and from whom", p159.
[3] Gordon, Philip.1997. **NATO's transformation: the changing shape of the Atlantic alliance**. New York: Rowman and Little Field Publisher, p5.

هذا من جانب أما من جانب المدافعين عن توسع الناتو، فإنهم يرون بان القيمة الرئيسية لتوسعه، تكمن في قدرته على إعادة طمأنة ليس فقط أعضاء الناتو، ولكن أيضا روسيا والدول الموجودة في المنطقة، حيث انه إذا انصرف الناتو فقط إلى التركيز على المخططات العسكرية وهذا كان اهتمامه الوحيد، فعمليا توسع الناتو يؤدي إلى تراجع في علاقات الأمن الأوروبية.[1]

هكذا يرى حلف الناتو في وقتنا الحالي، ولكن قبل الخوض في وجهات النظر حول استمرار حلف الناتو بعد انتهاء الحرب الباردة لا بد أن يتم تخصيص جزء من هذه الدراسة للإطلاع على حلف الناتو ابتداء من عام 1947م وحتى عام 1989م، وهذا ما سنحاول القيام به في هذا الفصل.

- التطور التاريخي لحلف شمال الأطلسي:

"لا شك أن حلف الناتو أو حلف الأطلسي هو واحد من أطول الأحلاف امتدادا في التاريخ، فعلى مدى 40 عاما اجتازت هذه المنظمة عبر الأطلسية بنجاح المياه المضطرمة لتقسيم أوروبا في فترة الحرب الباردة، وبعد انتهاء الحرب الباردة وبعد انتهاء النزاع ما بين

[1] Ball, Christopher 1998, **Review of international studies** 24, ‘netting NATO negativism? Reasons why expansion maybe good thing”, p46.

الشرق والغرب شرع الحلف في بناء نظام أمنى جديد لأوروبا غير مقسمة، فان الشبكة الواسعة من الشراكة والتعاون على صعيد القارة برمتها وضم أعضاء جدد إلى الحلف والعلاقات الجديدة مع روسيا وأوكرانيا وكذلك الدور الأساسي للناتو في البلقان، تشهد جميعها قدرة الحلف الفريدة في صياغة البيئة الاستراتيجية." (خافيير سولانا)[1]

في 4 نيسان من عام 1949م، تأسس حلف شمال الأطلسي الذي جاء كاستجابة لمواجهة تحديات كبرى برزت على الساحة الأوروبية في أعقاب انتهاء الحرب العالمية الثانية، وقد ارتبط تأسيس حلف شمال الأطلسي بمستوى التفكير والإدراك الأوروبي والأمريكي لمظاهر الخطر الأمني الجديد المتمثل في تحول الاتحاد السوفيتي إلى قوة عظمى ذات قدرات عسكرية هائلة متسلحا بأيدلوجية عالمية متناقضة تماما مع مفاهيم الغرب وقيمه.

من هنا جاء اقتراح أمريكا في التحضيرات النهائية لاتفاقية واشنطن لإنشاء حلف الناتو، بأن يكون أهداف عامة لهذه الاتفاقية، وان يوقع على هذه الأهداف جميع الأعضاء، وقد تمثلت هذه الأهداف بشكل رئيسي بفكرة نبذ الحرب ومحاولة حل الخلافات سلميا ما بين الأعضاء الموقعة على الاتفاقية.[1]

لقد تركز الاهتمام الرئيسي لمنظمة حلف الناتو التي تضم الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا وثلاث عشرة دولة أوروبية، من بينها بعض الدول البعيدة إلى حد ما عن المحيط الأطلسي مثل اليونان وتركيا في النفوذ العشري لأعضائها.

---

[1] سولانا، خافيير .2000. "حلف الناتو في القرن الحادي والعشرين"، ترجمة هشام الدجاني، **الثقافة العالمية** 99: 71.

[1] Nicholas, Sir.1983**. The Birth of NATO**. Boulder: Westview Press, p50.

وحينما أنشئت في عام 1948م كانت مهمتها الرئيسية هي تنسيق القوات المسلحة لأعضائها بغرض الدفاع عنها ضد أي هجوم سوفيتي محتمل على أوروبا الغربية، وكان جوهرها يكمن في تبادل نوع من الالتزامات والتعهدات العسكرية، حيث تعهدت بحماية حلفائها الأوروبيين، وتقديم التسهيلات من اجل جهود الدفاع المشترك تحت قيادة مشتركة.[2]

لقد اتخذت التحديات التي برزت على الساحة الأوروبية في أعقاب انتهاء الحرب العالمية الثانية عدة مستويات، فقد كان التحدي الشيوعي لقيم الغرب موجودا منذ عهد نجاح الثورة الشيوعية في روسيا عام 1917م، ولكن هذا التناقض لم يشكل خطرا على الأمن الأوروبي بسبب انشغال الاتحاد السوفيتي آنذاك بتدعيم نظامه الداخلي ووضع المرتكزات الأساسية للتحول الاشتراكي، فاتبع على الصعيد الدولي سياسة العزلة وعدم الاهتمام بالشؤون الأوروبية، أما الأوروبيين بالمقابل فقد كانوا منشغلين في كيفية مواجهة النزعات المتطرفة والدكتاتورية التي أخذت تظهر في ألمانيا وإيطاليا، وقد كانت سببا لقيام التحالف الغربي السوفيتي في الحرب العالمية الثانية.

ولكن بإنتهاء الحرب العالمية الثانية والقضاء على النزعات الفاشية والنازية في أوروبا، أصبحت الشيوعية الخطر الأول على الأمن الأوروبي، وذلك بسبب الطريقة التي وظف فيها السوفييت هذه الأيدلوجية لخدمة أغراضهم الإقليمية والعالمية، المتمثلة في استغلال وجودهم العسكري في بلدان وسط وشرق أوروبا، وذلك من اجل إقامة أنظمة حكم شيوعية،

[2] القوزي، محمد علي. 2002. **العلاقات الدولية في التاريخ الحديث والمعاصر**، بيروت: دار النهضة العربية، ص 178.

فقد هدفوا الى إقامة منظمة عازلة تثبت نفوذهم في أوروبا، وتكون بمنزلة قاعدة متقدمة لنشر الشيوعية في أوروبا الغربية، وبهذا العمل أوجد السوفييت أول تقسيم في أوروبا وهو التقسيم الأيديولوجي، لان الدول الغربية لم يكن أمامها لردع النزعات الأيدلوجية التوسعية للاتحاد السوفيتي إلا التفكير في إقامة نظام دفاعي جماعي مع واشنطن التي كانت تحتكر السلاح النووي آنذاك.[1]

أما التحدي الثاني الذي واجه القارة الأوروبية ، هو التحدي على المستوى السياسي، فقد برزت بعد الحرب العالمية الثانية مشكلات سياسية عديدة كان من أهمها تحديد المستقبل السياسي لشكل القارة الأوروبية بشكل عام، بالإضافة لذلك نجد مشكلة التحديد السياسي لمستقبل ألمانيا بعد سقوط النازية، إذ كانت الدول الغربية ترغب في العودة بأوروبا إلى شكلها السياسي قبل الحرب أي دون تقسيمات سياسية للدول الخاسرة، وانسحاب الجيوش من أراضيها حتى تختار نظمها السياسية بشكل ديمقراطي، بالمقابل أصر السوفييت على أن شكل القارة السياسي يتحدد وفق مواقع الجيوش المنتصرة وقد جاء إقدامهم على إقامة منطقة عازلة أيديولوجية في وسط وشرق أوروبا بمنزلة إحباط مسبق لأي تفاوضات سياسية في هذا الموضوع، مما دفع الغرب إلى التمسك بأنظمتهم السياسية الليبرالية.[1]

---

[1] الحيالي، إسماعيل نزار. 2003. **دور حلف شمال الأطلسي بعد انتهاء الحرب الباردة**، أبو ظبي: مركز الإمارات للدارسات والبحوث الاستراتيجية، ص 50.

[1] الحيالي 2003: 53.

أما على صعيد القضية الألمانية، فقد رفض السوفييت أي تغيير في شكل النظام الشيوعي لألمانيا الشرقية واستغلوا وجودهم هناك بفرض حصار على برلين عام 1948م وذلك بهدف إبعاد الغرب عنها وإجبارهم على الاعتراف بسيادتها.

بالنسبة للمستوى الثالث من التحديات تمثل في المستوى الاقتصادي، نلاحظ أن معظم دول غرب أوروبا قد واجهت بعد الحرب معضلات اجتماعية واقتصادية كبرى تمثلت في البطالة وانهيار مستويات الإنتاج وتحطيم بناء التنمية، إضافة إلى التضخم الاقتصادي، بذلك أصبحت فريسة سهلة لمنطق الدعاية الشيوعية، من اجل ذلك جاء مشروع مارشال عام 1947م لإعادة أعمار أوروبا وتحسين مستوى معيشة مواطنيها، حيث بلغت التخصيصات الأمريكية لهذا المشروع" 13.3" مليار دولار أمريكي، وذلك للفترة 1947-1952م، غير أن المشروع كانت له أغراض وأهداف أخرى تمثلت بشكل أساسي بتحويل أوروبا مجتمعة إلى سوق للمنتجات الأمريكية، مما يقوي نفوذ واشنطن على حساب الاتحاد السوفييتي وبخاصة في وسط وشرق أوروبا، وذلك لان المشروع كان يشجع هذه الدول على الانضمام إليه شريطة إجراء تغيرات في نظمها الاقتصادية وجعلها خاضعة للرقابة الأمريكية.[1]

كما مثل مشروع مارشال الأداة غير العسكرية لسياسية الاحتواء المتضمنة إحاطة السوفييت بسلسلة من الأحلاف والقواعد العسكرية لمنع انتشار الشيوعية في أوروبا والمناطق الغربية منها مثل تركيا واليونان والمناطق الضعيفة في العالم الثالث وبخاصة الشرق الأوسط

[1] الحيالي 2003: 58.

وجنوب شرقي آسيا، وذلك بهدف منع الاتحاد السوفيتي من إقامة علاقات اقتصادية وسياسية مع دول هذه المنطقة، قد تكون هذه العلاقات مقدمة لبسط نفوذهم فيها، لهذا اعتبرت موسكو مشروع مارشال تهديدا لنفوذها في وسط وشرق أوروبا، ردت عليه بإنشاء مكتب الاستعلامات الشيوعي (الكوفينورم) فأوجدت بذلك ثالث انقسام في أوروبا وهو الانقسام الاقتصادي.[2]

مستوى التحدي الرابع والأخير جاء على صعيد المستوى الأمني، حيث يعتبر من اخطر التحديات التي واجهت دول أوروبا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية، لأنه جاء في الوقت الذي كانت تعاني فيه أوروبا من تردي لأوضاعها الاقتصادية والاجتماعية وتحطم معظم قواتها العسكرية، في المقابل خرج الاتحاد السوفيتي من الحرب وهو يمتلك ما يقرب " 175" فرقة عسكرية على أهب الاستعداد لبدء الحرب وذات خبرة قتالية عالية، واعتمدت استراتيجيتها العسكرية في تلك الفترة على التهديد بالانتقام من دول أوروبا الغربية إذا ما أقدمت الولايات المتحدة الأمريكية على ضرب الاتحاد السوفيتي لأنه لم يكن قد أنتج السلاح النووي بعد.[1]

إزاء هذا الوهن العسكري لتلك الدول وانكشافها أمام القوات السوفيتية، قامت كل من بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا ولوكسمبورغ بتوقيع اتفاقية بر وكسل للأمن الجماعي في

---

[2] المرجع السابق: 59.

[1] الحيالي 2003: 62.

عام 1948م، والتي شكلت أساس الترتيبات الدفاعية الأوروبية في الحرب لمواجهة القوة السوفيتية.

إلا أن هذه الاتفاقية لم تقم بسبب ضعف القدرات العسكرية للدول الموقعة عليها إزاء القوة السوفيتية فحسب، بل لأنها ضمت دولا يقع معظمها في شمال أوروبا مما يعطي السوفييت فرصة كبيرة للمناورة ومفاجأتها بشن هجوم واسع عليها من وسط أوروبا عبر ألمانيا التي لم تنضم إلى الاتفاقية والوصول به إلى القنال الإنجليزي.

ترتب على ذلك بان تلك الدول أصبحت مقتنعة بان مواجهة القوة السوفيتية تتطلب قوات حليفة كبيرة وذات عقيدة قتال موحدة، فاتجهت أنظارها إلى التحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت الأخرى تسعى لتثبيت نفوذها السياسي والاقتصادي في أوروبا، بما يضمن مصالحها ويسد الفراغ الأمني الناجم عن انكشاف دول أوروبا الغربية أمام القوة السوفيتية، هذا ما دفع واشنطن ودول اتفاقية بر وكسل لتحويلها إلى حلف شمال الأطلسي عام 1949م، وبذلك حصل الانقسام الرابع في أوروبا وهو الانقسام العسكري والأمني.[1]

فيما يتعلق بالتفكير والإدراك الأوروبي والأمريكي لمظاهر الخطر الأمني السوفيتي، فان الأوروبيين كانوا مقتنعين بان هذا الخطر يستهدف القارة الأوروبية، وذلك لان السوفييت كانوا يستهدفون بسط هيمنتهم على وسط وشرق أوروبا وعزلها عن الغرب، حتى وان تطلب ذلك استخدام القوة.

[1] الحيالي 2003: 63.

في المقابل فان الأمريكيين كانوا يتوقعون بروز قوة عظمى بعد الحرب تستطيع فرض سيطرتها على المراكز الحيوية في قارتي أوروبا واسيا، من اجل توجيهها ضد القارة الأمريكية أو توظيفها لعزل الولايات المتحدة سياسيا واقتصاديا، وقد نظروا إلى الاتحاد السوفيتي على انه القوة التي تستطيع تهديد المصالح الأمريكية، وذلك من واقع قدرته على جذب المراكز الصناعية في أوروبا واسيا ودمجها داخل المنظومة السوفيتية.[2]

ومما عمق من هذا الإدراك الأمريكي تجاه السوفييت، هو الفراغ الأمني الواسع في أوراسيا نتيجة هزيمة المحور الألماني الياباني، ومن ثم أصبح هذا الإدراك هو جوهر استراتيجية الاحتواء التي جاء بها السفير الأمريكي (جورج كينان) والتي اعتمدتها إدارة (هاري ترومان) من اجل إقامة أحلافها في أوراسيا، مثل حلف (الناتو) وحلف جنوب شرقي آسيا (السياتو) وحلف بغداد (السنتو)، بعبارة أخرى يمكن القول أن الأمريكيين كانوا ينظرون إلى الاتحاد السوفيتي على انه خطر عالمي وليس أوروبي فحسب، وعقبة أمام مساعيهم لبناء نظام سياسي واقتصادي للعالم الحر يتولون فيه مركز القيادة، وبالتالي فان هدف إستراتيجية الاحتواء لم يكن احتواء الخطر السوفيتي في أوروبا فحسب، وإنما كل ما يهدد من قبل موسكو، لذا نجد أن الصبغة التي غلبت على حلف الناتو هي صبغة أطلسية وليست أوروبية، مما يعكس قوة تأثير الإدراك الأمريكي في الأوروبيين لنشوء الحلف.

[2] المرجع السابق: 64.

هذا أكد عليه الكاتب (جاسر الشاهد)، حيث يرى بأنه بعد نهاية الحرب العالمية الثانية أيقنت الولايات المتحدة مدى أهمية الأمن الأوروبي وارتباطه بأمنها، وظهور الاتحاد السوفيتي كقوة عظمى ذات أيديولوجية وأهداف توسعية تهدد المصالح الأمريكية في أوروبا، من هنا بدأت الولايات المتحدة في التفكير والبحث عن وسائل لمواجهة هذا التهديد السوفيتي.[1]

بالتالي أوجدت الولايات المتحدة حلفا من اجل مساعدتها على التعاون مع أوروبا في العديد من المجالات أهمها مواجهة المد الشيوعي، وكان هذا الحلف هو حلف شمال الأطلسي: North Atlantic Treaty Organization" "(NATO) التي وقعت على معاهدة إنشائه 12 دولة في 4 نيسان 1949م، وقد كانت هذه من المرات القليلة التي تقحم فيها الولايات المتحدة نفسها في تحالف عسكري مع بلاد أوروبية خلال "149" عاما، فكانت هذه الخطوة بمثابة تأكيد أمريكي للصلة بين أمنها والأمن الأوروبي، وتأكيدا على تصميمها لحصار المد الشيوعي، لذلك لم يكن من المستغرب أن تؤكد الإدارة الأمريكية في تقريرها للكونجرس انه لا يمكن الفصل بين الأمنيين الأوروبي والأمريكي.[1]

أما (جون ثيدستروم) فيرى أن التصور الاستراتيجي لحلف الناتو اعتمد على الأمن في القارة الأوروبية، وكما هو في أي مكان يعتمد على اكثر من مجرد القوة العسكرية فالأمن بطبيعة الحال ينبغي أن يشكل أساسا للمجتمعات المستقرة التي تعتمد بدورها على اقتصاد

---

[1] الحيالي 2003: 64.

[1] الشاهد، جاسر. 2005. " تأثير استراتيجيات السياسة الأمريكية على توجهات الناتو"، **السياسة الدولية** 129: 90.

كفء وتنافسي، كما توفر الرفاهية لمواطنيها وهذه الصياغة وثيقة الصلة على نحو خاص بأوروبا اليوم وذلك كما يقره قادة حلف شمال الأطلسي.[2]

هناك من يؤكد على حلف الناتو حلف الناتو بدوره القديم والحديث، ملتقى للسياسات الدفاعية للدول الأعضاء في الدفاع عن دولهم والمنطقة الإقليمية لهم والدفاع عن مصالحهم إقليميا وعالميا، وبالتالي فان استمرار حلف الناتو كعملية دفاعية تطلبت وتتطلب عمليات تقييم وتحديد للأهداف والاستراتيجيات ارتبطت بالتغيرات التي حدثت في البيئة الخارجية والداخلية، وبتتبع تاريخ حلف الناتو نجده يتطور بتطور الظروف المحيطة.[3]

عودة إلى الظروف والحالة الأوروبية والأمريكية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانيـــة، والتي كان لابد من التطرق أليها ولو بشكل مختصر من اجـــل وصـــف الوضـــع الـــداخلي الأوروبي والأمريكي، وذلك حتى يتم التوصل بالتدريج إلى الأوضاع التي ساهمت بشـــكل أو بآخر بنشوء حلف شمال الأطلسي والذي يشكل مركز هذه الدراسة، باعتباره ناظما للعلاقـــات الأمريكية الأوروبية واداة في السياسة الأمريكية تجاه القارة الأوروبية، بناء على ذلـــك فقـــد وفرت هذه المقدمة التاريخية البسيطة بشان الأوضاع التي سبقت وساهمت بشكل فعـــال فـــي تسيير الفكر الأمريكي نحو ضرورة إنشاء منظمة كحلف شمال الأطلســـي للمحافظـــة علـــى تواجدها في القارة الأوروبية، ومن اجل مواجهة المد الشيوعي، ولكن قبـــل الخـــوض فـــي

---

[2] تيدستروم، جون. 1999. " التحديات الاقتصادية لحلف الناتو: التنمية والإصلاح في شرق ووسط أوروبا "، ترجمة شهرت العالم، **الثقافة العالمية** 89: 110.

[3] عودة، جهاد. 2005. " الأسس العسكرية لتوجهات حلف الناتو إزاء الشرق الأوسط"، **السياسية الدولية** 129: 268.

تفاصيل إنشاء حلف شمال الأطلسي لا بد من التطرق إلى نظريـــة التحـــالف فـــي السياســـة الدولية، والتحالفات في السياسة الأمريكية الخارجية حتى يتوفر لدينا الرؤية المكتملـــة حـــول حلف شمال الأطلسي من كافة الجوانب.

- نظرية التحالفات في السياسة الدولية:

لعل (ما يكل دونيلان) عندما قال انه "عندما كان ثمة شخص واحد في العالم عرف السلام، وعندما كان ثمة شخصان عرف الصراع، وعندما كان ثمة ثلاثة أشخاص عرفت التحالفات" كان يعبر عن مدى قدم ظاهرة التحالف التي يرجعها المؤرخون إلى أقدم العصور التاريخية، وتبعا لطبيعة العلاقات الدولية ، فان اللجوء إلى سياسة التحالف يعد في كثير من الأحيان من الضرورات التي تقتضيها طبيعة العلاقات الدولية القائمة على تعدد القوى وتعدد السياسات.

بناء على ذلك لا بد في هذا الفصل من التطرق لبعض الجوانب النظرية اللازمة لإيصال رؤية مكتملة لهذا الفصل، سيتم بداية الحديث عن نظرية الأحلاف والتي تتضمن تعريف الحلف السياسي، وأسباب لجوء الدول إلى سياسة التحالف، وكيف يتم اختيار الحلفاء،

بالإضافة إلي ماهية وظيفة الأحلاف وما هي العوامل المؤثرة على تماسك الحلفاء، والمزيد من الجوانب العديدة والمهمة المتصلة بنظرية التحالف.[1]

- تعريف الحلف السياسي" Alliance ":

بداية يمكن القول بشكل عام، بان الحلف هو التزام رسمي أو غير رسمي في التعاون الأمني بين دولتين أو أكثر، والعنصر الرئيسي في التحالف هو التزام عسكري متبادل بين الدول بحيث إذا تعرضت أي دولة متحالفة للاعتداء تقوم الدولة الأخرى بدعمها والدفاع عنها، وهذا المفهوم يتضمن التحالفات الرسمية وغير الرسمية، أما الهدف من أكثرية التحالفات فهو جمع القدرات العسكرية لأعضاء هذا التحالف بطريقة يستطيع من خلالها تحقيق مصالحه بأفضل طريقة ممكنة، كما يمكن أن يكون الحلف دفاعي أو هجومي.[1]

لقد حظي مفهوم الحلف باهتمام العديد من كتاب ودارسي العلاقات الدولية والقانون الدولي على حد سواء، مما أدى إلى تعدد التعريفات التي قدمت لذلك المفهوم، فنجد إنها تباينت فيما بينها ببعض الجوانب وتشابهت في جوانب أخرى.

وبالتالي يمكننا أن نسوق بعضا من هذه التعريفات التي نتخذ منها منطلقا إلى التعرف على ماهية الحلف.

---

[1] منصور، ممدوح محمود. 1997. **سياسات التحالف الدولي: دراسة في أصول نظرية التحالف الدولي ودور الأحلاف في توازن القوى واستمرار الأنساق الدولية**، بيروت: دار الجيل، ص 113.

[1] Walt, Stephen 1997**, Survival** 39," Why alliance endure collapse**",** p159.

يرى" Osgood " بان الحلف هو " اتفاق رسمي يتعهد بموجبه مجموعة من الدول بان تتعاون فيما بينها في مجال الاستخدام المشترك لقدراتها العسكرية ضد دولة أو دول معينة، كما تلتزم بمقتضاه دولة أو أكثر من الدول الموقعة عليه باستخدام القوة أو التشاور بشان استخدامها في ظل ظروف معينة"

أما" Henri Capintant "فيعرف الحلف على انه" معاهدة بين دولتين تتعهد بمقتضاها كل منهما بان تهب لنجدة الأخرى، سواء كان ذلك من خلال القيام بعمل عسكري أو بأية وسيلة أخرى من وسائل العون وذلك حال تعرض أي منهما لخطر الحرب".

ويعرف"Bruce Rusett "الحلف بأنه" اتفاق رسمي بين عدد محدود من الدول يتعلق بالظروف التي في ظلها سلتجأ هذه الدول إلى استخدام القوة العسكرية".

كما يرى" Edwin Fedder "في تعريفه للحلف " بأنه هو تضافر قوى مجموعة من الدول خلال فترة زمنية معينة بهدف زيادة أمن الدول الأعضاء.[1]

وفي نفس الإطار نرى تعريف مشابه للحلف" بأنه اتفاقات رسمية بين الدول لاستخدام وعدم واستخدام القوة العسكرية لأغراض أمنية ضد دول أخرى قد اعتدت على أحد أعضاء التحالف"[2]

بالإضافة لهذه التعريفات نجد هناك الكثير من المحاولات لإيجاد تعريف كامل لمفهوم الحلف السياسي، كذلك نجد بان التعريفات السابقة قد اتسمت بطابع التحديد إلى حد كبير، في

[1] منصور 1997: 116.

[2] Rothstein, Robert.1991. **The evolution theory in international relations**. South Carolina: University of South Carolina press. p 85.

المقابل هناك ثمة تعريفات قد ألبست مفهوم الحلف ثوبا فضفاضا، اتسع وفي بعض الأحيان ليشمل أشكالا أخرى من صور السلوك التعاوني فيما بين الدول، بحيث لا ينطبق عليها وصف الحلف بمدلوله الدقيق، لذا لا بد من التفريق ما بين مفهوم الحلف ونظام الحماية، والحلف والاتحاد الفيدرالي وكذلك مفهوم الحلف يختلف عن مفهوم منظمة الأمن الجماعي، والعديد أيضا من الأشكال الأخرى للتعاون بين الدول التي تختلف في مضمونها عن مفهوم الحلف العسكري.

يمكن تلخيص ما سبق "أي فيما يتعلق بمفهوم الحلف":

الحلف: "هو علاقة تعاقدية موثقة تتعهد بمقتضاها وحدتان سياسيتان كاملتا السيادة أو أكثر بتقديم المساعدة العسكرية المتبادلة كل منهما للأخرى بهدف زيادة قواهما الفردية أو الجماعية في مواجهة عدو مشترك أو بهدف التصدي المشترك له في حالة الحرب".[1]

بعد التطرق للعديد من التعريفات المتعلقة بالحلف، هناك جانب آخر وهو ما المقصود بسياسة التحالف، حيث أن الحلف يقع ضمن سياسة التحالف، ولكن عندما تلجا الدولة في علاقاتها لإتباع سياسة التحالف، ما هي الدوافع وراء ذلك؟

- سياسة التحالف في العلاقات الدولية:

المقصود بسياسة التحالف حسب ما ورد في كتاب "سياسات التحالف الدولية 1997" بأنها: " تجمع دولتين أو أكثر في حلف لمواجهة قوة أخرى، وذلك تحقيقا للتوازن فيما بينها"،

[1] منصور 1997: 120.

أو بعبارة أخرى فان سياسة التحالف قد تعني، الاعتماد على الأحلاف بالمدلول الذي خلصنا أليه آنفا كأداة من أدوات السياسة الخارجية للدول، وذلك بهدف حماية الأمن القومي والدفاع عن المصالح الوطنية وتحقيق الأهداف القومية الخارجية للدولة.

وقد تلجا الدول إلى سياسة التحالف استجابة إلى بعض المقتضيات أو الضرورات التي تدفعها إلى تبني هذه السياسة، بالمقابل فان الأحلاف العسكرية بين الدول لا تنشا استجابة لمبادئ أو قيم الصداقة الدولية، وإنما هي تنشا كنتيجة لمبررات أو دوافع تقتضي قيامها ومن ثم فان نشأتها وبقائها وانقضائها مرهون بهذه الدوافع والاعتبارات أو المقتضيات وجودا أو عدما.[1]

وهذا ما نستنتجه مما قاله رئيس الوزراء البريطاني 1940 (تشر شل) في ذروة معارك الحرب العالمية الثانية، " إن ثمة شيئا واحدا فقط أسوء من القتال إلى جانب الحلفاء، ألا وهو القتال من دونهم"، ويتضح من ذلك أن لجوء بريطانيا إلى سياسة التحالف كان من قبيل الضرورات التي لا مناص منه.

بالتالي يمكننا التوصل إلى أهمية سياسة التحالف، وذلك باعتبارها أكثر خيارات السياسات الخارجية واقعية والتقاء مع طبيعة العلاقات السياسية الدولية، وكان من العوامل التي ساعدت على إبراز وزيادة أهمية سياسة التحالف، فشل المنظمات العالمية للسلام (عصبة الأمم ومن بعدها الأمم المتحدة)، في تطبيق فكرة الأمن الجماعي بسبب مثاليتها

[1] منصور 1997: 138.

وعدم ملاءمتها لطبيعة البيئة الدولية، مما دفع بالدول مرة أخرى إلى تبني سياسة التحالف وذلك حماية لمصالحها وكأداة ردع لبعض الأعداء المتوقعين، فعلى سبيل المثال فقد رأينا كيف بادرت فرنسا في أعقاب الحرب العالمية الأولى إلى إقامة سلسة من المحالفات ردعا للخطر الألماني المتوقع.[2]

وبالتالي فقد شهدت سياسة التحالفات ارتفاعا متزايدا رغم كل الانتقادات التي وجهت إلى هذه السياسة من قبل عصبة الأمم.

- أسباب ودوافع اللجوء إلى سياسة التحالف:

لا شك أن هناك العديد من الدوافع وراء لجوء الدول إلى سياسة التحالف حيث تتعدد وتتباين هذه الدوافع وفيما يلي بعضها وأهمها:

يمثل دافع ردع العدو أقدم واهم دوافع إنشاء التحالفات، حيث إن الخوف من التعرض للعدوان والسعي وراء ردع هذا الخطر، هو الدافع التقليدي وراء انتهاج الدولة لسياسة التحالف، وبالتالي يمكننا أن نخلص إلى انه طالما ظلت العلاقات الدولية قائمة على التعدد بين دول ذات سيادة، فستظل سياسة التحالف باقية.

الدافع الثاني هو سعي الدولة إلى زيادة القوة، وفي سبيل ذلك، قد تلجا الدولة إلى سياسة التحالف كبديل لسياسة التسلح التي قد تستنزف جانبا كبيرا من مواردها الاقتصادية، فضلا عن حاجة سياسة التسلح إلى فترة زمنية أطول نسبيا وذلك حتى تؤتي النتائج المرجوة،

[2] المرجع السابق: 143.

من هنا قد يلجا متخذو القرار السياسي الخارجي بالمفاضلة بين سياستي التحالف والتسلح على اعتبار أن سياسة التحالف قد تؤدي إلى نفس النتيجة، وهي زيادة قوة الدولة ولكن بتكلفة اقل.[1]

أما السبب الثالث فقد تمثل في اعتبارات حول توازن القوى، حيث انطلاقا من كون الردع يمثل أحد أركان سياسة توازن القوى، يمكن النظر إلى الأحلاف باعتبارها إحدى أدوات تحقيق توازن القوى في إطار الأنساق الدولية، وبالتالي إحدى أدوات استعادة الاتزان حال تعرضه للاحتلال، من خلال قيام المحالفات والمحالفات المضادة على النحو الذي يكفل تحقيق استقرار الأنساق الدولية سواء على المستوى الإقليمي أو المستوى العالمي.[1]

أما السبب الاخر الذي يدفع الدول إلى اللجوء لسياسة التحالفات، هي رغبة هذه الدول منفردة أو مجتمعة في فرض الهيمنة والسيطرة على المتحالفين، فقد يكون من بين الوظائف الداخلية للحلف تقيد السلوك الدولي لبعض الدول الحليفة أو بسط الهيمنة عليها من جانب الدولة زعيمة الحلف أو منع بعض الحلفاء من الإضرار بمصالح باقي أعضاء الحلف، ويمكننا أن نورد مثالا على هذا النوع من الأحلاف، كل من حلفي شمال الأطلسي ووارسو، إذ يرى البعض أن الحلفين قد استخدما من جانب كل من الدولتين القطبيتين كأداة للسيطرة على سلوك الحلفاء الأوروبيين، ولا سيما سلوك كل من شطري ألمانيا.

قد تلجا الدول إلى سياسة التحالف تبعا لاعتبارات متعلقة بالسياسات الداخلية في الدول المتحالفة، فقد تعاني نظم الحكم في بعض الدول ولا سيما دول العالم الثالث من افتقارها إلى

---

[1] الحيالي 1997: 146.

[1] الحيالي 2003: 150.

الشرعية السياسة الداخلية ومن ثم فقد تلجأ هذه النظم إلى التحالف مع الدول الكبرى الداعمة لها، بهدف منحها إطارا قانونيا مشروعا للتدخل لمساندتها إذا ما دعت الحاجة لذلك.[2]

بعد الإطلاع، نرى انه هناك العديد من المبررات والدوافع التي قد تلجا الدول بسببها إلى تبني سياسة التحالفات، والتي تعتبر من السياسات المهمة المتبعة من قبل الدول في العلاقات الدولية.

هناك جوانب كثيرة يمكن الإطلاع عليها ودراستها، وهذه الجوانب تتعلق بالأحلاف وسياسات التحالف، ولكن لا مجال للتطرق أليها في هذه الأطروحة بسبب الرغبة في التطرق فقط إلى الجوانب الرئيسية التي تدخل في صلب موضوع هذا الفصل.

قبل الانتهاء من الإطار النظري للأحلاف وسياسة التحالفات في العلاقات الدولية لا بد من التطرق إلى اثر الأحلاف على استقرار الأنساق الدولية، أو بعبارة أخرى التعرف على ما إذا كانت الأحلاف تعد من العوامل المهيأة لاستقرار الأنساق الدولية، أم من العوامل التي تؤثر بصورة سلبية على استقرارها.

[2] المرجع السابق: 150.

- اثر الأحلاف الدولية على استقرار الأنساق الدولية:

تعددت الآراء في هذا الصدد، حيث برز اتجاهان رئيسيان:

الاتجاه الأول يرى أنصاره إن الأحلاف تساهم في استقرار الأنساق الدولية باعتبار أن قيام التحالفات المضادة من شانه أن يردع أية محاولات تستهدف الإخلال بالتوازن الدولي ويحول دون تطلع أي من القوى أو المحاور المتصارعة إلى الهيمنة أو السيطرة العالمية.[1]

أما الاتجاه الثاني فيرى أنصاره، أن الأحلاف تعد من ابرز مسببات عدم الاستقرار الدولي وذلك لأنها تزيد من حدة الشعور بالخطر وعدم الأمن بمجرد قيامها، كما أنها تؤدي إلى زيادة حدة التوتر الدولي في أوقات السلم فضلا عن تسببها في أتساع نطاق الصراعات المسلحة في أوقات الحرب، كما يرى أنصار هذا الاتجاه أن الأحلاف قد ساهمت في زيادة حدة الاستقطاب الدولي في ظل النسق ثنائي القطبية، بالإضافة لذلك أن لروابط التحالف مقتضياتها الخاصة التي تنعكس على السياسات الخارجية للدول، ومن ثم فهي تدفع الدول الأعضاء فيها أحيانا إلى تبني مواقف أو سياسات متشددة اعتمادا على دعم ومساندة حلفائها.[2]

في النهاية يمكن القول انه ليس من السهل التوصل إلى علاقة واضحة بين الأحلاف وبين الصراعات الدولية، حيث يرى Liska"" أن الأحلاف لا تساهم في زيادة احتمالات

[1] منصور 1997: 155.

[2] المرجع السابق: 157.

الصراع أو الحد منها إلا بقدر كونها سببا للصراع أو عاملا من العوامل المساعدة على تجنبه.

تم في الجزء السابق من هذا الفصل التطرق إلى مقدمة نظرية بسيطة حول الحلف السياسي وسياسة التحالفات في العلاقات الدولية، أما الجزء آلاتي سوف يختص بالحديث عن سياسة التحالفات في إطار نظام دولي ثنائي القطبية.

قبل الخوض في دراسة تأثير التحالفات في ظل نظام ثنائي القطبية، لا بد أولا من الحديث ولو بشكل مختصر عن خصائص النظام ثنائي القطبية.

- خصائص النظام ثنائي القطبية:

تم التأكيد في أكثر من مرة في هذه الأطروحة على أن الحرب العالمية الثانية (1939-1945) قد أسفرت عن صورة جديدة لتوزيع القوة في المجال الدولي، بحيث خرجت الدول الكبرى، أقطاب النسق المتعدد من الحرب منهكة عسكريا واقتصاديا، ومن ثم تراجعت

مواقعها على سلم تدرج القوة الدولي، بينما ظهر قطبان عالميان جديدان من خارج القارة الأوروبية، وهما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، بحيث أصبح هاذين القطبين هما القادرين على تقرير صورة النسق العالمي من حيث توازنه ونمط التفاعلات السائدة في إطاره.

من هنا يمكننا تلخيص أهم خصائص النظام ثنائي القطبية، بأن هذا النظام يقوم على مركزين متفوقين من مراكز القوة يحيط بكل مركز منهما عدد من الدول التابعة والأقل كثيرا من حيث إمكانيات القوة والقدرة، وبالتالي فان التوجيه ورسم السياسات والاستراتيجيات العامة واتخاذ القرارات الهامة قاصرا على هاذين المركزين.

نجد كذلك انه لم تعد عضوية النسق قاصرة على الدول الأوروبية وحدها، وإنما راح نطاق العضوية يمتد جغرافيا ليشمل كافة دول العالم، بل أن هاذين القطبين لا يقعان داخل القارة الأوروبية، فأحدهما في أوراسيا والآخر في أمريكا الشمالية.[1]

كما يمتاز النظام ثنائي القطبية بعدم التجانس، فهو يقوم على مجموعة من الدول التي تنتمي إلى قيم وأيديولوجيات متباينة، وبالتالي فهو يفتقر إلى عنصر التوافق أو الاجتماع فيما يتعلق بالقيم التي يعتنقها أعضاؤه.

بالإضافة لذلك نرى أن أعضاء النسق ثنائي القطبية يحكمهم التدرج من حيث عوامل القوة والقدرة المتاحة لهم، إذ أن هناك ثمة قطبين مسيطرين على النسق وقادرين بحكم تفوق

[1] منصور 1997 : 172.

قواهما على تقدير صورة توزيع القوة على المستوى العالمي ككل، وبالتالي فان اهتماماتهما تكون ذات طابع عالمي أو كوني، أما في المرتبة الثانية هناك مجموعة من القوى الكبرى ولكنها ليست قطبية، فهي لا تملك أكثر من مجرد العمل على تحقيق ذاتها وحماية بقائها وأمنها، ثم يجيء العالم الثالث الذي يضم بقية دول العالم حديثة الاستقلال ذات الإمكانيات والقدرات المتواضعة والتي لا تملك بحكم تواضع قواها أن تؤثر على نحو ملموس في علاقات القوة في إطار النسق.

ويمتاز نسق ثنائي القطبية كذلك بتعدد وتنوع وسائل التأثير الدولي، بحيث لم تعد أدوات السياسة الخارجية للدول قاصرة على الدبلوماسية التقليدية أو الاستراتيجية فحسب، بل ظهرت أدوات جديدة كالأداة الاقتصادية والدعائية وغيرها، كذلك لم يعد من اليسير التميز بين حالتي الحرب والسلام في العلاقات الدولية حيث ظهرت مفاهيم جديدة كالحرب الباردة، كما أصبح من العسير الاتفاق على تعريف محدد وقاطع للعدوان.[1]

بالإضافة إلى تميز نسق ثنائي القطبية باتساع نطاق العلاقات الدولية بحيث لم يعد قاصرا على العلاقات الدبلوماسية أو الاستراتيجية فقط، وإنما امتد ليشمل كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها، وقد ساعد على ذلك، النمو الهائل في وسائل الاتصال والمواصلات بين الدول، وبالتالي أصبح من المتعذر على أية دولة أن تعيش بمعزل عن بقية التفاعلات الدولية.

[1] منصور 1997: 177.

بهذا نكون قد تطرقنا لأهم سمات النسق ثنائي القطبية، حتى نستطيع بالمقابل الحديث بدقة عن تأثير الأحلاف العسكرية وسياسة التحالفات في هذا النسق من العلاقات الدولية.

ما أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، حتى بدأت الخلافات بين قطبي النسق العالمي الجديد في الظهور مرة أخرى بعد أن زال الخطر المشترك الذي كان يتهددها، والذي كان دافعا وراء تحالفهما خلال فترة الحرب، والمتمثل في خطر النظامين النازي والفاشي في أوروبا فقد وجدت الولايات المتحدة مع نهاية الحرب العالمية الثانية أن الجيوش السوفيتية قد أصبحت مهيمنة على معظم مناطق أوروبا الشرقية، كذلك بدا السوفييت يعملون على إقامة نظم حكم شيوعية موالية لهم في بولندا والمجر وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا وألبانيا، كما بدؤوا يتطلعون إلى بسط نفوذهم على كل من تركيا واليونان، فضلا عن تلكؤهم في سحب قواتهم من إيران.[1]

من ناحية أخرى فقد أدى تردي الأوضاع الاقتصادية والعسكرية والسياسية في دول أوروبا الغربية إلى انتشار بعض الأفكار الشيوعية، كما أخذت بعض الأحزاب الشيوعية في دول غرب أوروبا في التزايد، وقد مثلت كل هذه التطورات مؤشرات على تصاعد خطر التهديد الشيوعي في أوروبا.[1]

بالمقابل وبسبب تدهور الأوضاع الاقتصادية والعسكرية والسياسية في دول أوروبا الغربية، وعدم تمكنها من التصدي لخطر المد الشيوعي بمفردها، فقد قدرت الولايات المتحدة

[1] الحيالي 2003: 334.

[1] الحيالي 2003: 334.

أن الوقت قد حان لخروجها من سياسة العزلة التقليدية التي ارتبطت بها منذ قيامها، وذلك لكي تتولى بنفسها مسؤولية الدفاع عن العالم الغربي وقيمه الليبرالية الديمقراطية في مواجهة التطلعات السوفيتية.

هذا التحول في الاستراتيجية الأمريكية، تمثلت ملامحه في تبنيها لما عرف بسياسة "الاحتواء" التي صاغ ملامحها الأولى الجنرال الأمريكي الديبلوماسي (جورج كينان) 1947م، وقد استهدفت هذه السياسية حصر نطاق المد الشيوعي داخل مناطق نفوذه وذلك بهدف الحيلولة دون اتساعه أو امتداده إلي مناطق أخرى من العالم، وقد كان من بين العوامل المشجعة على تبني الولايات المتحدة لهذه السياسية آنذاك، ما كانت تتمتع به من تفوق في قدراتها عامة ولاسيما قدراتها الذرية على وجه الخصوص، وقد كان ابرز الأساليب التي لجأت إليها الولايات المتحدة في إطار تبنيها لسياسة الاحتواء، أسلوب التحالف، إذ عمدت إلى تطويق الاتحاد السوفيتي بجدار سميك وعازل من الأحلاف العسكرية.[1]

تلخيصا لما سبق فقد تم التوصل في هذا الجزء من الفصل الثاني، إلى رؤية واضحة حول مفهوم الحلف السياسي وسياسة التحالفات، بالإضافة إلى النظام أو النسق ثنائي القطبية التي برزت خلاله سياسة التحالفات بشكل قوي ومؤثر، انطلاقا من هنا سيتم في الجزء التالي التطرق لدراسة تفاصيل إنشاء خلف شمال الأطلسي والأهداف التي رافقت تكوين هذا الحلف، بالإضافة إلى التغيرات التي رافقت تطور هذا الحلف بسبب التغيرات التي حصلت على

[1] الحيالي 2003: 334.

النظام الدولي، خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وانتهاء ما كان يسمى بالحرب الباردة، وبروز نظام عالمي جديد قائم على قطب واحد هو الولايات المتحدة الأمريكية.

- حلف شمال الأطلسي:

لقد اعتبر التحالف الغربي الأوسع والأكثر دواما خلال الحرب الباردة، هو حلف شمال الأطلسي"NATO"، وهو اتفاق أمن جماعي وقع عام 1949م، ويضم عشر دول أوروبية، بالإضافة إلى كندا والولايات المتحدة، فقد شكل الحلف خلال أربعة عقود من الأوضاع الصعبة مع الاتحاد السوفيتي خطا فاصلا فعالا بين أوروبا الشرقية وأوروبا الغربية موازيا لخط الستار الحديدي، بالرغم من أن قوى الحلف الأطلسي لم تتبادل طلقة واحدة مع جيوش حلف وارسو، فان مجرد تكثيف الوجود العسكري الغربي الضخم حافظ بفعالية على الوضع الراهن.[1]

كما ذكرنا فقد أسهمت كل تحديات الوضع الأوروبي الراهن بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، في ولادة الحلف (الناتو) حيث توالت التواريخ وتوالت أيضا الدول المنضمة

[1] غايات، نيكولاس. 2003. **قرن أمريكي آخر**، ترجمة رياض حسن، بيروت: دار الفارابي، ص 154.

إلى الحلف، وصولا إلى عام 1971 عندما انضمت أسبانيا وبذلك فقد بلغ عدد أعضائه 16 عضوا.[2]

لقد شكل الهاجس الأمني هدف تاسيس حلف شمال الأطلسي، حيث غلب عليه الطابع العسكري وقد تشكل مضمونه على أساس ردع الخطر الشيوعي واحتواءه في أوروبا وأمريكا الشمالية والمناطق الواقعة في شمال الأطلسي إضافة إلى تركيا واليونان، إلا أن معاهدة واشنطن وبيانات وتقارير الحلف اللاحقة لنشوئه لم تحدد الجهة التي يتأتى منها الخطر، فقد يكون الاتحاد السوفيتي أو حلفائه في وسط وشرق أوروبا، إضافة لذلك وحسب رأي الكاتب " Atarlene Broad Hurts" أن الناتو في فترة ما بين تأسيسه والثمانينات استطاع أن يأقلم نفسه مع المتغيرات الجديدة، ففي بداية تشكله كانت الأسلحة النووية غير منتشرة بشكل كبير في أمريكا والاتحاد السوفيتي من هنا فالناتو كان مبني على العسكرية التقليدية، بهذا نثبت أكثر بان الناتو قادر على أن يأقلم نفسه مع كافة المتغيرات التي قد تحصل على النظام الدولي والساحة الدولية.[1]

من جانب آخر، نرى انه بالرغم من أن حلف الناتو يعد حلفا عسكريا شانه في ذلك شان الأحلاف العسكرية الأخرى، إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية قد أضفت عليه تفسيرا أيديولوجيا، حينما اعتبرته محالفة للأمن الجماعي، وليس حلفا عسكريا.

---

[2] الحيالي 2003: 33.

[1] Broadhurst, Arlen. 1982. **The Future of European alliance system NATO and the Warsaw pact**. Boulder: Westview Press. 1982, p115

بالتالي يمكننا القول بان استراتيجية الناتو تتمحور حول درء الخطر الذي من الممكن أن تتعرض له أوروبا، وهذه كانت الإستراتيجية التي تشكل من اجلها الناتو في الأربعينيات.[2]

بناء على ذلك يمكن القول أن الولايات المتحدة تزن الأحلاف العسكرية بمعيارين مختلفين، فإذا كانت تتماشى مع أهدافها ، وصفتها بأنها جزء من نظام الأمن الجماعي، أما إذا تعارضت تلك الأحلاف مع سياستها، أو لم تجد فائدة من الانضمام أليها، نبذتها واعتبرتها مجرد أحلاف عسكرية.

أما بشان رد الفعل لدى الاتحاد السوفيتي، فقد هاجم مشروع ميثاق حلف شمال الأطلسي بشدة، وكذلك فعلت كل المنظمات الشيوعية حيث اعتبرت إن ميثاق الأطلسي ميثاق عدواني موجه ضد الاتحاد السوفيتي، كما أن الميثاق يتناقض تناقضا بينا مع ميثاق الأمم المتحدة، ومع معاهدة العون والصداقة التي أبرمها الاتحاد السوفيتي مع بريطانيا عام 1942م، بالتأكيد لم تحل بطبيعة الحال معارضة الاتحاد السوفيتي دون توقيع الدول الإثنتي عشر على الميثاق في 4 إبريل من عام 1949م، وقد راعت الولايات المتحدة على ألا يكون العون العسكري للدول الموقعة على الميثاق على حساب العون الاقتصادي بمقتضى مشروع مارشال، بل على العكس من ذلك فالاهتمام بالناحيتين الاقتصادية والعسكرية واجب، فهما الدعامتان اللتان قامت عليهما سياسية الولايات المتحدة إزاء أوروبا بصفة عامة والاتحاد

[2] Owen, Henry1995, **Foreign affair** 56, "*NATO strategy: what is past is prologue"*, p110.

السوفيتي بصفة خاصة، ولاسيما وان نهوض تلك الدول اقتصاديا سيعمل دون شك على إضعاف الأحزاب الشيوعية القومية وهو ما تهدف إليه السياسة الأمريكية.[1]

وضعت المعاهدة المنشئة لحلف شمال الأطلسي ثلاث وظائف رئيسية ينبغي على الحلف القيام بها، وذلك لمواجهة الخطر الشيوعي في تلك الفترة.

كانت الوظيفة العسكرية أولى هذه الوظائف، فقد تحددت الوظيفة العسكرية للحلف بضرورة قيامه بتدعيم وتطوير القدرات العسكرية الفردية والجماعية للدول الأعضاء، وتقوية نزعة المقاومة لديها ضد أي عدوان عسكري خارجي محتمل، وقد أشارت بعض فقرات المعاهدة المنشئة للحلف بان أي عدوان مسلح على دولة من دول الحلف يعتبر عدوانا ضد كل الدول المتحالفة، وبالتالي يتعين على هذه الدول اتخاذ ما تراه من تدابير جماعية لمقاومة العدوان بما في ذلك استخدام القوة المسلحة.[1]

من هنا نستنتج أن الوظيفة العسكرية للحلف تقوم على ركيزتين ، الركيزة الأولى هي تكوين مبدأ قتال موحد للحلف، وذلك أن تدعيم وتطوير القدرات العسكرية الفردية والجماعية لأعضائه لا يعني مجرد تزويدهم بالأسلحة المتطورة ومساعدتهم على بناء صناعاتهم الحربية، وإنما يعني ذلك أيضا كيفية استخدامهم للقوات في أوضاع الهجوم والدفاع والردع، أما الركيزة الثانية، هي توظيف مبدأ القتال الموحد للحلف لخدمة مبدأ الدفاع الجماعي ضد عدوان محتمل، هذا وبسبب نشوء الحلف بالمدركات التي قامت عليها سياسة وإستراتيجية

[1] حسين :2001106.

[1] الحيالي 2003: 34.

الاحتواء قد أعطى له وظائف عسكرية خارج المواد التي حددت في الاتفاقية، مثل تحقيق التوازن العسكري مع الوجود العسكري السوفيتي في شرق ووسط أوروبا، ومواجهة الهيمنة السوفيتية وذلك بواسطة أحلاف عسكرية لها علاقات قوية بالناتو، ويمكن أن نضيف أيضا فيما يتعلق بهذه النقطة، أن قوة الناتو تكمن في قوة أمريكا العسكرية، وانه هناك علاقة وثيقة ما بين قدرة الناتو على الاستمرار وتحقيق الهدف الذي أوجد من اجله، فهي قدرة مرتبطة مع قدرة أمريكا على أن تكون مسيطرة عسكريا ومتنفذة.[2]

الوظيفة الثانية كانت الوظيفة السياسية، لقد رأينا أن الوظيفة العسكرية للناتو تلخصت في ضرورة الدفاع المشترك ضد أي عدوان عسكري تتعرض له أحد الدول الأعضاء للحلف، أما الوظيفة السياسية فمما لا شك فيه أن معاهدة واشنطن هي تحالف بين دول ذات سيادة كاملة، مهمتها الدفاع عنها وحماية استقلالها ضد أي عدوان خارجي، أي أن الحلف لم ينهي دور الدولة وما تملكه من مؤسسات سياسية واقتصادية وحرية في إقامة علاقاتها السياسية والاقتصادية مع دول خارج الحلف، وبما أن الحلف يقر بوجود الدولة فان مسالة نشوب الخلافات والنزاعات بينها على المصالح وغيرها تصبح من الأمور الواردة جدا، ومثال على ذلك النزاع التركي اليوناني على قبرص، والخلافات البريطانية والفرنسية حول السوق الأوروبية المشتركة.[1]

[2] Knorr, Klaus.1959. **NATO and American security**. New Jersey: Princeton University Press, p37.

[1] الحيالي 2003: 35.

من اجل احتواء هذه النزاعات والاختلافات أشارت بغض مواد المعاهدة إلى ضرورة التزام دول الحلف بالامتناع عن استخدام القوة أو التهديد باستخدامها فيما بينها، و التعهد بتسوية الخلافات والنزاعات فيما بينها بطرق سلمية، نجد أيضا مبدأ التشاور الجماعي بين أعضاء الحلف وذلك في الحالات التي يعتقد معها وجود تهديد للكيان الإقليمي، أو الاستقلال السياسي، أو لأمنها، فالحلف هنا بمنزلة المنبر السياسي الذي ينبغي أن ترجع إليه الأعضاء لحل خلافاتها ونزاعاتها سلميا، أو للتشاور الجماعي الذي يسبق استخدام القوة في حالات وقوع العدوان الخارجي على أحدها.[1]

أما الوظيفة الأخيرة، فهي الوظيفة الاقتصادية حيث لم تقتصر وظائف الحلف على المجالات العسكرية والسياسية بل أشارت بعض مواد معاهدة واشنطن إلى ضرورة قيام أعضاء الحلف بإزالة الصراع والتنافس في سياستهم الاقتصادية، وتشجيع التعاون والاندماج الاقتصادي فيما بينهم من اجل تحقيق أهداف الحلف في المجال الاقتصادي، إذ يضم دولا ينتمي معظمها أو كلها إلى العالم الرأسمالي الذي تعتبر فيه المنافسة الاقتصادية أهم قوانينه في التطور، وبهدف ضبط هذه المنافسة عند مستويات معينة وضمان عدم تصاعدها إلى صراع اقتصادي قد يكون سببا للحرب فان الوظيفة الاقتصادية للحلف تتمثل هنا في دفع أعضائه إلى بناء سياسة اقتصادية قائمة على التعاون والاندماج الاقتصادي بينهم، ذلك لان هذه السياسية تحقق لهم العديد من المزايا، كضمان وحدة الحلف وعدم تعرضه للانقسام،

[1] الحيالي 2003: 35.

وسهولة السيطرة على موارد الطاقة والمواد الخام في العالم الثالث، وكذلك انفتاح الأسواق أمام منتجات الدول الأعضاء سواء داخل أوروبا أو خارجها، كما ستعزز هذه السياسة الدور الدفاعي والعسكري للحلف، لأنها ستؤدي إلى نشوء مجموعة اقتصادية وسياسية أوروبية أطلسية قوية ومتماسكة، وقادرة على دعم الوظيفة العسكرية للحلف عن طريق تقسيم أعباء الدفاع الجماعي بحيث تتولى واشنطن تزويد الحلف بما يحتاجه من قوة عسكرية تقليدية ونووية، وتتولى أوروبا دعم هذه القوة اقتصاديا وماليا.[1]

بهذا نستنتج أن الوظائف السياسية والاقتصادية لم تجرد الحلف من طابعه العسكري بقدر ما جاءت لتدعم هذا الطابع، وذلك لان مكانة الدفاع الجماعي لا تعتمد على القدرات العسكرية وما يرتبط بها من مبدأ القتال الموحد فحسب، وإنما تحتاج أيضا إلى تضامن سياسي وتعاون اقتصادي بين أعضاء الحلف، وكان ذلك سببا في عدم اعتبار الحلف طوال مسيرته التاريخية منظمة للتعاون الإقليمي أو الدولي، وذلك لان سياسته ارتبطت بالمفاهيم العسكرية المتداولة في الحرب الباردة كالردع والاحتواء والدفاع والحرب المحدودة والحرب الشاملة.

انطلاقا من هنا يكتسب حلف الأطلسي أهمية بالنسبة للولايات المتحدة في انه يمثل إضافة ملموسة لقوة المعسكر الذي تتزعمه، إذ أن دول أوروبا الغربية المتقدمة اقتصاديا وتكنولوجيا والغنية بالموارد الطبيعية وثرواتها البشرية، فضلا عن الأهمية الجيوبولوتوكية

[1] الحيالي 2003: 36.

الحيوية لموقعها التي تكفل تامين خطوط المواصلات عبر الأطلسي من شانها أن تمثل خط دفاع أول للولايات المتحدة في مواجهة التهديدات السوفيتية، ذلك فضلا عن أن وقوع أوروبا الغربية بقوتها تحت السيطرة الشيوعية، كان من شانه أن يقلب ميزان القوة لصالح الاتحاد السوفيتي لذا فقد أصرت الولايات المتحدة على تكتيل مجموعة الدول الأوروبية الغربية إلى جانبها، وتأكيدا على هذه الأهمية فقد أعلن الرئيس (ايزنهاور) " أن حلف الأطلسي يمثل عنصرا أساسيا لا غنى عنه في شبكة المحالفات الدفاعية الأمريكية في مواجهة التهديد الشيوعي المستمر للسلام والأمن الدوليين".[1]

مما سبق يتضح أن حلف الأطلسي لعب دورا هاما في مجال زيادة فعالية الردع الغربي في مواجهة الاتحاد السوفيتي، إذ أنه بمجرد إبرام معاهدة التحالف بين الولايات المتحدة ودول غرب أوروبا، يقطع بان أوروبا الغربية قد باتت تمثل الدائرة الحيوية للنفوذ الأمريكي خارج الولايات المتحدة، ومن ثم فان أي مساس بهذه الدائرة سوف يؤدي إلى مواجهة عسكرية لا تحمد عواقبها مع الولايات المتحدة، وهو أمر لم يكن السوفييت على استعداد لتقبله في أي وقت من الأوقات.

وهذا ما تسعى للتأكيد عليه هذه الأطروحة، بحيث أن الفرضية الأساسية لها تمثلت في أن سياسة أمريكا تجاه أوروبا هي سياسة تخضع للرؤية الاستراتيجية الأمريكية للقارة الأوروبية، وهي أن الاستقرار الأمريكي مرتبط بالاستقرار والاتزان في القارة الأوروبية، من

[1] منصور 1997: 337.

هنا جاء حلف شمال الأطلسي كناظم للعلاقات الأمريكية الأوروبية، وكأداة في السياسة الأمريكية تجاه القارة الأوروبية.

عودة إلى دور حلف شمال الأطلسي في مجال زيادة فعالية الردع الغربي في مواجهة الاتحاد السوفيتي، فأن هذا ما يؤكد عليه (هنري كيسنجر) بان عنصر تشابك المصالح والذي يعد حجر الزاوية في فعالية أي حلف من الأحلاف متوافر بالنسبة لحلف شمال الأطلسي، ويرى كيسنجر أن هذا التشابك في المصالح مرده إلى اعتبارات أهمها بأنه ليس من دولة أوروبية قادرة بمفردها للتصدي للتهديدات السوفيتية، وبان التهديد بحرب شاملة قد فقد مصداقيته ومعناه الاستراتيجي، أضف لذلك أن الدفاع عن أوروبا لا يمكن إدارته من أمريكا الشمالية وحدها لان المعتدي قد يخلق تهديدات لا يبدو أنها تبرر الانتقام الشامل، ويؤكد كيسنجر انه ليس ثمة محالفة من المحالفات التي إقامتها الولايات المتحدة الأمريكية تتهيأ لها الشراكة اللازمة للنجاح وفعالية الحلف أكثر من حلف شمال الأطلسي.[1]

وبالتالي فان حلف شمال الأطلسي يعد من المحالفات التي قامت في إطار خدمة الأهداف الاستراتيجية الأمريكية (المتمثلة في سياسة الاحتواء)، إلا انه على الرغم من كون التحالف الأطلسي يمثل عصبة عسكرية ترتبط برباط أيدلوجي، إذ انه يجمع بين مجموعة من الدول التي تتمثل للقيم الليبرالية الديمقراطية، وتدافع عنها في مواجهة التهديدات التي تمثلها الشيوعية السوفيتية بقيمها ذات الطبيعة الشمولية، فان ذلك لم يحل دون انضمام دولة ذات

[1] ج، وارن ناثر. 1976. **مخطط كيسنجر**، ترجمة جهاد الخازن، بيروت: دار القضايا، ص 171.

نظام سلطوي كالبرتغال في عهد (لازار) إلى عضوية حلف الأطلسي، وهو ما يدل على إن الغلبة للاعتبارات الاستراتيجية على اعتبارات التجانس المذهبي.[2]

وهذا ما يؤكد عليه (بريجنسكي) باستمرار، حيث أكد بان الدرس المستخلص من الخمسين سنة الماضية هو: أن أمن أوروبا هو أساس الوفاق فيها، ومن دون حلف شمال الأطلسي لما شعرت فرنسا بما يكفي من الآمان الذي يجعلها تقيم وفاقا مع ألمانيا، ولعارضت بريطانيا وفرنسا معارضة أكثر نشاطا لإعادة توحيد ألمانيا.[1]

ليس هذا فحسب بل إن Josef Jaffe"" يؤكد على انه وجود دلائل تاريخية تشير بان أوروبا لا تستطيع إن تحافظ على سلامتها وأمنها دون الدور الأمريكي، الذي اثبت بقدرة أمريكا على المحافظة على هذا السلام والأمن في أوروبا، وفي هذا الإطار تكمن ضرورة استمرارية الناتو، وضرورة أن تكون أمريكا الجزء الرئيسي من هذا التحالف عندما يعيش الأوروبيين ضمانة الأمن الأمريكي فيتكون لديهم منفعة عامة، هم أنفسهم غير قادرين على بنائها.

هذا ومن ناحية أخري يساهم حلف الأطلسي في زيادة مصداقية الردع الأمريكي والغربي عموما في مواجهة السوفييت، وذلك من خلال قيام الولايات المتحدة بنشر العديد من القواعد العسكرية والقواعد التابعة لها في أراضى الدول الأوروبية، ذلك فضلا عن نشر

---

[2] منصور 1997: 339.

[1] بريجنسكي، زيعينيو. 1999. " حلف شمال الأطلسي وخيارات التوسع "، **شؤون الأوسط** 84: 9.

الصواريخ النووية متوسطة المدى في أوروبا، وليس من شك في أن ذلك كله من شانه زيادة فعالية الردع.[2]

في بادئ الأمر رحبت الدول الأوربية الغربية بهذا الوجود العسكري الأمريكي في أراضيها، غير انه مع تراجع خطر التهديد السوفيتي خلال مرحلتي التعايش السلمي ثم الوفاق اللتين مرت بهما العلاقات الأمريكية السوفيتية، بدأت بعض الدول الأوروبية تستشعر وطأة الهيمنة الاميكية ولا سيما مع تزايد قوة التيارات السياسية الداخلية المعارضة للوجود الأمريكي في أوروبا الغربية، ذلك فضلا عن بداية تشكك بعض الدول الأوروبية في مصداقية المظلة النووية الأمريكية لأوروبا الغربية، على اعتبار انه ليس ثمة دولة ومهما كانت قوة الروابط التي تربطها بحلفائها على استعداد للتضحية في سبيل الدفاع عن ارض أجنبية.[1]

في هذا الإطار بادرت فرنسا في عهد (ديغول) في الانسحاب من الجناح العسكري لحلف شمال الأطلسي عام 1966م، كما أعلنت فرنسا عن اعتزامها بناء قوة نووية ضاربة فرنسية مستقلة.

على الرغم من محاولة العديد من المحللين الغربيين لإظهار طابع العلاقات الداخلية في إطار التحالف الأطلسي، باعتبارها علاقات يغلب عليها طابع التكافؤ، فان الملاحظة تشير إلى سعي الولايات المتحدة على إبقاء دول أوروبا الغربية في حالة من التبعية العسكرية، وذلك بما يكفل الهيمنة الأمريكية على الحلفاء الأوروبيين، وهناك العديد من الأمثلة الدالة على

[2] Jaffe, Josef 1984, **Foreign policy** 54," European's American pacifier", p64.

[1] منصور 1997: 339.

ذلك، كمعارضة الولايات المتحدة برامج التسلح النووي القومية في دول أوروبا الغربية، بالإضافة للمعارضة الأمريكية للمحاولات التي قامت بها بعض دول الحلف لتحسين العلاقات مع الاتحاد السوفيتي كفرنسا في عهد (ديغول)، وألمانيا في عهد المستشار (فيلي براندت) الذي دعا إلى سياسة الانفتاح على الشرق.[2]

هكذا تاسس حلف شمال الأطلسي، أو ما اصطلح على تسميته بحلف الناتو، وبالطريقة نفسها تحددت أهدافه في ظل نظام دولي ثنائي الأقطاب، وفي ظل حرب باردة سيطرت على العلاقات الخارجية ما بين قطبي النظام الدولي، بالتالي لم يكن من الصعب تبرير أسباب وجود واستمرار الحلف، ولكن الإشكالية أصبحت بعد التغيرات التي حصلت على النظام الدولي، بتحوله من نظام ثنائي الأقطاب إلى نظام أحادي القطبية، وكذلك بانتهاء الحرب الباردة التي تعتبر السبب في تاسيس حلف شمال الأطلسي، نستطيع القول انه من هنا بدأت إشكالية الوجود والاستمرارية للحلف تطفو على السطح وتفرض نفسها بقوة، فظهرت الأسئلة حول جدوى وجود واستمرار الحلف بعد انتهاء أسباب تشكيله، وهو الاتحاد السوفيتي والنظام الدولي المحكوم بالحرب الباردة آنذاك.[1]

هذا ما تحاول هذه الأطروحة بفصولها الإجابة عليه، فهدف هذه الدراسة هو محاولة إيضاح للأسباب التي تدفع الولايات المتحدة الأمريكية للإبقاء على حلف الناتو بعد انتهاء

---

[2] المرجع السابق: 339.

[1] منصور 1997: 340.

أسباب وجوده، والمبررات التي تعتمدها الولايات المتحدة للدفاع عن بقاء الحلف واستمراريته، وحتى توسعه بعد انتهاء الحرب الباردة.

ولكن قبل الدخول في تفاصيل النظام الدولي الجديد بعد انتهاء الحرب الباردة، وانهيار أحد قطبي هذا النظام، من الضروري التطرق ولو بشكل مختصر إلى محاولة لعرض تقييم لسياسة الأحلاف الأمريكية، ومن ثم التطرق إلى انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتي والمستجدات السياسية الجديدة التي فرضت نفسها على النظام الدولي حيث سيتم التركيز على حلف الناتو بوصفه مركز الدراسة في هذا الفصل من الأطروحة.

- تقييم سياسة التحالفات الأمريكية:

نرى انه خلال إدارتي(ترومان وايزنهاور) بان الولايات المتحدة الأمريكية دخلت في ثلاث أحلاف عسكرية، رسمت سياستها العامة واضطلعت بكل مهامها السياسية والعسكرية،

لقد برزت أهمية الأحلاف العسكرية خلال إدارة ترومان الذي تبنى حلف الأطلسي فقط، ثم جاءت إدارة ايزنهاور فشهدت تاسيس حلفي بغداد وجنوب شرق آسيا، أما الإدارات اللاحقة فإنها وجدت أمامها مجموعة من الأحلاف العسكرية، بتعبير آخر فان الأحلاف لم تخضع لرؤية سياسية واضحة، بل إنها خضعت لرؤى سياسية متعددة تبعا لكل رئيس أمريكي جديد، وتعامل هؤلاء الرؤساء معها انطلاقا من تقيمهم لسياسة الأحلاف، ونظرتهم تجاه مستجدات الساحة الدولية، وبذلك تعرضت هذه الأحلاف إلى تعديلات في سياستها الخاصة، فما كان يعتمده الرئيس السابق مع أحد هذه الأحلاف لم يكمله خلفه وربما غير طريقة تعامله، الأمر الذي يعني أن الأسس التي أنشئ من اجلها الحلف لم تبق ثابتة لا سيما تلك التي لها دور مهم في توجيه وتحديد مهامه.[1]

بالإضافة لذلك، فقد لجأت الإدارة الأمريكية إلى إنشاء الأحلاف العسكرية لأنها تمثل أحد أساليب استراتيجية الحصر أو الاحتواء، ثم استراتيجية الرد الشامل من بعدها، غير أن هذا الأسلوب لم تكتمل عناصره بالنسبة للاستراتيجية الأولى.

نجد أيضا أن الولايات المتحدة تعاملت مع الأحلاف العسكرية بدرجات متفاوتة من حيث الأهمية، مستندة في ذلك على قناعتها وتقيمها لمناطق العالم المختلفة التي قد تتعرض لإعتداء شيوعي، فأعطت اهتمامها الأكبر لحلف الأطلسي، على أساس انه في أكثر المناطق تعرضا للخطر السوفيتي، في حين أن الأحلاف الأخرى كانت تحظى باهتمام أمريكي اقل ولم

---

http://www. Iraq 4all .dk/ book/m-USA/ htm, (accessed apr14, 2005)[11]

تضع الولايات المتحدة الأمريكية في حسبانها أن طريقة تعاملها مع أحلافها قد تدفع الاتحاد السوفيتي أو المعسكر الشيوعي عموما إلى مهاجمة مناطق الأحلاف الأخرى، وهو ما حدث بالفعل فالسوفييت لم يتعرضوا لأوروبا الغربية، في حين أنهم توجهوا نحو شرق آسيا ونجحوا في مد النفوذ الشيوعي هناك.

إن الولايات المتحدة الأمريكية لم تحدد سياسة الأحلاف التي اعتمدتها على أنها عناصر استراتيجيات مواجهة التوسع الشيوعي فقط، بل إنها أناطت بها مهام جديدة وجعلتها أسلوبا من أساليب تحقيق أغراض سياستها الخارجية في تعزيز سيطرتها السياسية على مناطق الأحلاف، وهذا ما جعل إمكانية الأحلاف تضعف في مواجهة التوسع الشيوعي بعد أن تداخلت المهام الموكلة إليها.[1]

نتيجة لذلك فان نظرة الولايات المتحدة في تقييم أعضاء الحلف لم تكن دقيقة ولم تأخذ بالاهتمام بالجوانب العسكرية، بل سيطرت عليها الاعتبارات السياسية، فقد أدخلت بعض الدول في تحالفات عسكرية بالرغم من أن دورها في مواجهة التوسع الشيوعي ضعيف جدا أو معدوم مثل ماليزيا والفلبين، حيث أناطت بهذه الدول مهام عسكرية لا يمكن أن تؤديها بالصورة المطلوبة متناسية أن الدوافع وراء إدخالها في تحالف عسكري إنما كان لتعزيز هيمنتها عليها وليس لمواجهة التوسع الشيوعي.[1]

[1] http:// Iraq 4all .dk/ book/m-USA/ htm, p17, (accessed apr14, 2005)
[1] Ibid: 18.

هناك عامل آخر ساهم في ضعف تركيبة الأحلاف العسكرية الأمريكية، العديد من الدول التي كانت مشغولة بمشاكلها السياسية، ففي حلف جنوب شرق آسيا كان اهتمام تايلاند منصبا تجاه كوريا الشمالية التي تشكل مصدر الخطر عليها، وباكستان التي تشترك في عضوية حلف جنوب شرق آسيا وحلف بغداد كانت مشغولة بنزاعها مع الهند، هذا العامل كان يحول اهتمام تلك الدول نحو مشاكلها الخاصة بعيدا عن اهتمامات الحلف الذي تنضوي تحته.

هذه بصورة عامة بعض نقاط الضعف التي حوتها الأحلاف العسكرية الأمريكية، والتي أثرت سلبا على الهدف الذي رسمته الولايات المتحدة والمتمثل في مواجهة التوسع الشيوعي .

إن عدم النجاح الكامل في سياسة الأحلاف لا يمكن إلقاء تبعاته على ترومان وايزنهاور وحدهما، بل تشترك به الإدارات الأمريكية المتتابعة، وربما كانت حصة ترومان من الأخطاء محدودة على اعتبار انه استطاع أن يحكم السيطرة الأمريكية على حلف الأطلسي وان يجعل منه قوة عسكرية ردعت السوفييت عن التفكير في التقرب من أوروبا الغربية.[1]

[1] http:// Iraq 4all .dk/ book/m-USA/ htm, p20, (accessed apr14, 2005)

هذا باختصار محاولة بسيطة لتقيم سياسة الأحلاف العسكرية الأمريكية، حيث لاحظنا أنها ارتكبت بعض الأخطاء ، التي انعكست فيما بعد بصورة سلبية على مسيرة هذه الأحلاف ومدى قدرتها على الاستمرارية.

- الخاتمة:

تم الحديث في هذا الفصل عن العديد من المواضيع ذات الأهمية التراتبية التي توصلنا بالتدريج إلى صلب موضوعنا في هذه الدراسة، والمتمثل في السياسة الأمريكية تجاه أوروبا من خلال حلف شمال الأطلسي بعد انتهاء الحرب الباردة.

من أهم المواضيع التي تم التطرق إليها في هذا الفصل، الحديث أولا عن مقدمة تاريخية لإنشاء حلف شمال الأطلسي والانتقال بعد ذلك إلى الدوافع الأمريكية والأوربية التي ساهمت في إنشاء هذا الحلف، بالإضافة إلى التطرق للوظائف التي

اوكلت الى الحلف، خلال فترة اتسمت بصراع دائم بين قطبي النظام الدولي الأساسيين في ذلك الوقت.

كان لا بد من الحديث عن بعض الجوانب النظرية حتى لا يكون هناك انتقاص لبعض الأسس العلمية لكتابة بحث في موضوع العلاقات الدولية، حيث تم التطرق إلى نظرية التحالفات الدولية في العلاقات الدولية، وأيضا تم ذكر أهم خصائص نظام ثنائي القطبية وتأثير الأحلاف والتحالفات على هذا النظام الدولي، وأخيرا تم تقييم لسياسة التحالفات الأمريكية بوصفها ابرز ملامح السياسة الخارجية الأمريكية في تلك الفترة التاريخية، أو فترة الحرب الباردة، وذلك حتى يساعدنا على دراسة أهم التغيرات الحاصلة على السياسة الأمريكية بعد التغير الذي حصل على النظام الدولي بحلول عام 1989م، وهذا ما سنحاول معالجته في الفصل التالي والأخير من هذه الدراسة.

- الفصل الثالث:

1. مقدمة.
2. انتهاء الحرب الباردة وتحول النظام الدولي من ثنائي القطبية إلى أحادي القطبية.
3. التحولات في النظام الدولي بعد انتهاء الحرب الباردة.
4. البيئة الأوروبية بعد انتهاء الحرب الباردة.
5. استمرارية وتوسع حلف الناتو.
6. مواقف الدول الغربية من عملية توسع الناتو.
7. وظائف حلف شمال الأطلسي بعد انتهاء الحرب الباردة.
8. العلاقات الأمريكية الأوروبية بعد انتهاء الحرب الباردة.
9. الخاتمة.
10. الاستنتاجات.

- مقدمة:

تم التطرق للعديد من القضايا والعناوين المختلفة في الفصلين الأول والثاني من هـــذه الدراسة، وذلك بهدف تحليل بعض جوانب السياسة الخارجية الأمريكية تجاه أوروبا الغربيـــة بعد انتهاء الحرب الباردة، وخاصة من خلال حلف الناتو، فقد توصـــلنا إلـــى العديـــد مـــن الاستنتاجات المختلفة حول هذا الموضوع.

تناول الفصل الثاني حلف الناتو والعديد من القضايا النظرية المتعلقة بسياسة التحالفات في العلاقات الدولية، ووصولا إلى الفصل الثالث والأخير، سوف يتم أولا دراسة انتهاء الحرب الباردة وتحول النظام الدولي من ثنائي القطبية إلى أحادي القطبية، وكذلك الوضع الأوروبي الداخلي بعد انتهاء الحرب الباردة، ومن ثم التطرق بشكل مفصل إلى حلف الناتو واستمراريته بعد انتهاء الحرب الباردة وكذلك توسع هذا الحلف، بعد ذلك سيتم تخصيص فصل لدراسة التحول في العلاقات الأمريكية الأوروبية بعد انتهاء الحرب الباردة.

أما الفصل الأخير سوف يتخصص بدراسة السيناريوهات المطروحة للعلاقات الأمريكية الأوروبية في ظل انتهاء الحرب الباردة واستمرار وتوسع حلف الناتو.

- انتهاء الحرب الباردة وتحول النظام الدولي من ثنائي الأقطاب إلى أحادي القطبية:

تطرقنا في الفصل الأول من هذه الدراسة إلى الحديث عن الحرب الباردة من جوانب

عديدة، وكذلك أسباب انتهائها لذا لا يمكن أن نكرر ما قد تم ذكره.

ولكن لا بد من التأكيد على أن الحرب الباردة كانت تجمع بين قضيتين أساسيتين: الأولى، أسس النزاع الشديد والتي حملت في طياتها عوامل تشجيع العدوان، الثانية: مسالة التعقيدات العسكرية التي فرضت على كل من الطرفين، أمريكا والاتحاد السوفيتي، وذلك بسبب مخاطر الحرب النووية.

معرفة هذه الخلفية تساهم في فهم التوجهات المختلفة للقيادة الأمريكية في الفترة مـــا بعد الحرب الباردة، إضافة لذلك هذه الخلفية تساعد أمريكا على كيفية التعاطي مـــع النظـــام الدولي المعاصر الذي لا يحمل في معطياته المختلفة لأي أسس لحدوث حرب عالمية ما بين القوى العظمى، ولكن هناك تحدي لا نهاية له من أزمات وحروب ذات طابع محدود.[1]

حيث سيتم في هذا الفصل التركيز فقط على التحولات الحاصلة على النظام الدولي بسبب انتهاء الحرب الباردة، وسقوط أحد قطبي النظام الدولي، وهو الاتحاد السوفيتي.

بسقوط حائط برلين وانتهاء الحرب الباردة وتفكك الاتحاد السوفيتي كأحد القطبين الدوليين، كان من المنطقي حل حلف شمال الأطلسي، وذلك لزوال التهديد الذي أقيم لدرئه في الأساس.

إلا أن الرغبة الأمريكية في ربط الأمن الأوروبي بالأمن الأمريكي، وهذا ما أكد عليه

[1] Cyr, Arther.1997. **After the cold war: American foreign policy Europe and Asia**. London: Macmillan press. p 134.

بعض دارسي العلاقات الدولية بان أمريكا في سياستها الخارجية لا تستطيع أن تكون فاعلة ومؤثرة دون دعم بعض الدول الأوروبية على الأقل،[1] أدت إلى تقرير إبقاء الحلف وإعادة رسم دور جديد له في النظام الدولي العالمي، ففي قمة حلف الأطلنطي التي عقدت في روما بإيطاليا في عام" 1991"م قرر رؤساء الحكومات والدول الأعضاء في الحلف عدم حله وضرورة إبقائه، مع إدخال تغيير على توجيهات وأساليب عمله وأهدافه حيث رأوا ضرورة التركيز على المهمات الداخلية والخارجية، وإدارة الأزمات وعمليات حفظ السلام.[2]

بعبارة أخرى وبحلول التسعينات وجدت الولايات المتحدة نفسها بغتة أنها حققت نجاحا تاما وغير متوقع في سعيها الذي تواصل على مدى "57 " عاما للقضاء على مصادر التهديد الأوروبي للأمن الأمريكي، ومع اكتشاف أمريكا المفاجئ أن قوة وأغراض السوفييت كانت في الواقع سطحية وغير عميقة، حتى من قبل انتهاء الاتحاد السوفيتي بعدة سنوات، فإن أمريكا وجدت نفسها قد تحولت بسرعة إلى القطب العالمي الأوحد.[3]

فمنذ التسعينات استبدلت بنية نظام ثنائي القطبية ببنية النظام أحادى القطبية وذلك لصالح الولايات المتحدة التي تعتبر نفسها حامي النظام العالمي الجديد، وبناء على ذلك تعتبر الولايات المتحدة أن هناك حقوق وامتيازات خاصة بها وبعلاقتها مع حلفائها الأوربيين على سبيل المثال.

---

[1]Hulasman, John. **A conservation nision for U.S policy toward Europe**. http:// www. Heritage.org/ research/ Europe. (accessed apr14, 2005)

[2] الشاهد، جاسر. 1997. " تأثير استراتيجيات السياسة الأمريكية على توجهات الناتو"، **السياسة الدولية** 129: 98.

[3] سوتير، روبرت. 2004. " أوروبا ولعبة السلم والثعبان"، **الثقافة العالمية** 124: 114.

هذا النوع من السيطرة الكونية من وجهة نظر أوروبا منع الاتحاد الأوروبي من أن يعطي وزنا سياسيا لاستراتيجياته الاقتصادية، وما ترتب عليه أن هذا النوع من السيطرة يهمش أوروبا ويجعلها فقط قوة إقليمية بدون أي نوع من التأثير الدولي. [1]

ومن ناحية أخرى فانه بانتهاء الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفيتي، ومعه حلف وارسو شعرت الجماعة الأوروبية بان التهديد الذي كان موجها لأمنها قد انتهى، وبالتالي فان الأسباب التي تدفعها للالتفاف حول الولايات المتحدة قد زالت، بالإضافة إلى أن الأسباب التي كانت وراء قيام حلف شمال الأطلسي قد اختفت، مما يتعين على دول الجماعة الأوروبية إعادة صياغة علاقتها بالولايات المتحدة، وإعادة التفكير حول جدوى استمرار بقاء الحلف،مما دفع الدول الأوروبية في ذلك الوقت إلى المطالبة بضرورة إنهاء وجود الحلف ، بسبب انتهاء أسباب تاسيسه أو على الأقل تغيير مهامه وتحويله إلى أداة لتنظيم الأمن والاستقرار في القارة الأوروبية.

بل أن هناك من تحدث عن ضرورة العمل على خلق كيان دفاعي أوربي مستقل، وبالفعل في عام "1991" خرجت المبادرة "الفرنسية الألمانية " التي دعت إلى تشكيل قوة أوروبية مشتركة بعيدا عن الحلف، حيث رأت كل من فرنسا وألمانيا أن خلق جناح عسكري لدول الاتحاد الأوروبي سوف يدعم من وحدتها واستقلالها، إلا أن بريطانيا رأت أن يظل الاتحاد الأوروبي مؤسسة مدنية فقط، هذه الرؤية البريطانية تلاقت مع رؤية الولايات المتحدة

[1] **U .S – European relation after the end of the east – west conflict.**
File: lla: lu-s- European relation impact on the Mediterranean region.htm. (accessed apr14, 2005)

الأمريكية التي لم ترض هي الأخرى عن أن تتجه الدول الأوروبية في هذا الاتجاه، وأكدت على ضرورة استمرار حلف الناتو كآلية للأمن الجماعي وبدأت بإدخال تعديلات على أهداف الحلف، وذلك لضمان استمراريته وفعاليته، لقد أدركت الولايات المتحدة أن انتهاء حلف الأطلنطي يعني من جهة أخرى انتهاء نفوذها في أوروبا، وعدم قدرتها على التدخل في شؤونها الداخلية.[1]

تأكد الحديث عن سياسة خارجية للاتحاد الأوروبي فيما بعد في معاهدة "ماستريخت" من "1993" حيث ظهر لأول مرة وبشكل واضح مصطلح السياسة الداخلية والدفاع المشترك (common foreign and security policy) وظهر في المعاهدة أيضا تعبير الأمن والدفاع، كما تمت الإشارة إلى منظمة اتحاد أوروبا الغربية باعتبارها الذراع الأمنية للاتحاد الأوروبي.

وبدأت تتبلور الآراء المؤيدة لضرورة الاستقلال عن السياسة الخارجية الأمريكية في فترة ما بعد الحرب الباردة، وكذلك ضرورة الابتعاد عن المظلة الأمنية الأمريكية، فقد بدا واضحا لدول الاتحاد الأوروبي أن الاستجابة للضغوط الأمريكية وزيادة حصتها في الإنفاق العسكري ضمن منظومة حلف شمال الأطلسي لن تلبي لدول الاتحاد رغبتها في الاستقلال بامتلاك قدرات عسكرية قادرة على التعامل مع المشكلات والأزمات التي تمثل تهديد لدول الاتحاد، فكافة القرارات الخاصة باستخدام القدرات العسكرية للحلف تصدر من واشنطن فقط،

[1] الاشول 2004: 116.

وبدا ذلك واضحا حتى بالنسبة للهياكل التي جرى استحداثها داخل الحلف، مثل قوة المهام المشتركة التي أجازها الحلف في "1994" والتي تعطي الدول الأوروبية الأعضاء في الحلف القدرة على التحرك العسكري في مواجهة أزمات محددة عندما لا ترغب واشنطن في التحرك، إلا إن ما حدث بعد ذلك في حالتي البوسنة "1991 –1995 "وثم كوسوفو "1998–1999"، جعل دول الاتحاد الأوروبي مقتنعة بأنها عاجزة عن التحرك المستقل دون التحرك الأمريكي، ففي الوقت الذي كشفت فيه أزمة البوسنة لدول الاتحاد الأوروبي مدى ضعف قدراتها العسكرية مقارنة بالأمريكية، فان أزمة كوسوفو كشفت لدول الاتحاد الأوروبي أنها عاجزة بالفعل في المجال العسكري بل والإقليمي، ما لم تمتلك القدرات العسكرية المستقلة الخاصة بها، والتي يكون قرار تحريكها واستخدامها أوروبيا خالصا.[1]

كان هذا بشكل عام وشامل لكافة المتغيرات الجديدة الحاصلة على مجريات الأمور السياسية بعد انتهاء الحرب الباردة.

- التحولات في النظام الدولي بعد انتهاء الحرب الباردة:

في أعقاب التحولات التي وقعت في شرق ووسط أوروبا بدءا من عام "1989" والتي عبرت عن نفسها في انتهاء أنظمة الحكم الاشتراكية، وتفكك حلف وارسو ومن ثم تفكك الاتحاد السوفيتي في ديسمبر "1991 ".

[1] الاشول 2004: 117.

وبحكم هذه التغيرات، شهد النظام الدولي تحولات عميقة، حيث ذهب بعض المفكرين الأمريكيين، ك " فرنسيس فوكوياما" إلى وصفها بأنها غير مسبوقة وأنها تمثل نهاية التاريخ، على أساس أن المرحلة الجديدة شهدت انتهاء آخر المعارك الكبرى في التاريخ الإنساني في ظل سيادة الأيدلوجية الليبرالية والنظام الرأسمالي.

نرى بأننا في هذه الأطروحة ذكرنا أن النظرية التي قد تكون الأقدر على تفسير عالم ما بعد الحرب الباردة هي النظرية الليبرالية وهنا "فرنسيس فوكوياما" يؤكد على هذا التوجه.

ذهبت الغالبية العظمى من الدارسين للنظام الدولي والعلاقات الدولية إلى وصف تلك التغيرات بأنها تمثل نهاية لنظام عالمي، هو نظام ثنائي القطبية الذي تشكل في أعقاب الحرب العالمية الثانية، على أساس أن أحد قطبي النظام قد انهار، وان ما حدث في عام" 1991 "لا يختلف كثيرا عن السوابق التي شهدها النظام الدولي في نهاية الحروب الكبرى والتي أسفرت عن ظهور تحولات رئيسية في هيكل وتوزيع القوى والقواعد التي تحكم التفاعلات الدولية.[1]

بهذا إن ما يمكن قوله، أن ما حدث منذ أوائل التسعينات كان عبارة عن نهاية نظام دولي، لتبلور ملامح نظام دولي جديد، ويمكن الاستناد إلى العديد من المؤشرات لإثبات هذا الرأي.

[1] جاد، عماد. 1998. " اثر تغير النظام الدولي على حلف الناتو"، **الساسية الدولية** 134: 8.

أولى هذه المؤشرات، التي تثبت بان هناك نهاية لنظام دولي وبداية لنظام آخر في بداية التسعينات، هو انهيار الكتلة السوفيتية، فقد انهارت الكتلة التي كان يهيمن عليها الاتحاد السوفيتي المتمثلة في حلف وارسو، ومجلسي المساعدة الاقتصادية المتبادلة، فقد جرى الانهيار بدون حرب عسكرية وفي فترة قصيرة.

أضف لذلك انتهاء الشيوعية كقوة سياسية، نتيجة سقوط أنظمة الحكم في شرق أوروبا ووسطها، كما أن التحولات في الصين تشير إلى تحركها صوب الرأسمالية إن لم تكن الليبرالية، والدول الشيوعية الأخرى مثل كوبا وكوريا الشمالية وفيتنام غير قادرة على تقديم بديل دولي.

من جانب آخر نشهد تبدل في العلاقات بين القوى العظمى، حيث أدى إلى تفكك حلف وارسو وتحلل الاتحاد السوفيتي إلى انتهاء الصراع الدولي الذي ساد منذ عام" 1945 "كما انتهى سباق التسلح الذي بين واشنطن وموسكو، سواء مباشرة أم من خلال الحلف الذي تقوده.[1]

نرى كذلك التحول إلى التكتلات الاقتصادية الكبرى، حيث لم تعد الدولة القومية قادرة على القيام بفاعلية بوظائفها الاقتصادية التقليدية، كما أن الشركات متعددة الجنسيات وعابرة القوميات لم تعد قادرة إلى حد كبير على التنافس في شكل فردي نظرا لبروز مراكز صناعية وتجارية تتنافس بقوة مع المراكز الصناعية والتجارية الغربية، ومن ثم لجأت الدول القومية

[1] جاد 1998: 9.

إلى الدخول في تجمعات اقتصادية ضخمة كوسيلة لمواجهة المنافسات الفردية من ناحية، كما أنها تمثل استجابة للتحول في النظام الدولي من طابعه السياسي والرمزي إلى طابع أكثر أهمية وذي صبغة ملموسة وهو الطابع الاقتصادي والتجاري.

نرى كذلك تغير في الخارطة السياسية للدول، وهي تفكك الاتحاد السوفيتي إلى خمس عشرة دولة، كما تفككت يوغسلافيا إلى خمس دول، وانشطرت تشيكوسلوفاكيا إلى دولتين وتوحدت ألمانيا التي كان تقسيمها ابرز نتائج الحرب العالمية الثانية، وبين شطريها جرت ممارسة المواجهة في الحرب الباردة.[1]

يرصد دارسو النظام الدولي والعلاقات الدولية ثلاث سوابق لهذه التحولات الكبرى في النظام الدولي، الأولى: هي بعد الحروب "النابليونية" حيث أعاد مؤتمر فينا عام" 1815" تشكيل النظام الدولي وتمكن من حفظ الاستقرار لمدة تقرب من القرن، حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى" 1914"، والثانية بعد الحرب العالمية الأولى حيث أعادت معاهد فرساي عام "1919" تشكيل النظام، إلا أن انسحاب الولايات المتحدة من هيكل النظام فتح المجال أمام سقوطه مرة أخرى بعد نحو عقدين باندلاع الحرب العالمية الثانية عام" 1939 "، والثالثة بعد الحرب العالمية الثانية عندما بادرت الدول المنتصرة في الحرب ببناء عالمي جديد في "يالتا وبوتسدام".

وبالتالي فإنهم يرون أن انتهاء الحرب الباردة والتي يؤرخ له البعض في عام

[1] جاد 1998: 10.

" 1989"عندما ترك الاتحاد السوفيتي الحكومة الشيوعية في بولندا تسقط دون تدخل، حيث مثلت نهاية للنظام العالمي الذي استمر من عام" 1945" وقام على ثنائي القطبية وشهد صراعا أيدلوجيا حادا بين قوتين عظمتين بانتصار التحالف الغربي.

من جانب آخر، نجد بعض الكتاب الذين لم يستطيعوا تحديد ملامح هذا النظام الدولي الجديد، ولكن يرون بان السمة الواضحة للنظام الدولي الجديد، هي التغيير البارز في علاقات القوة بين أمريكا من جهة، والاتحاد السوفيتي من جهة أخرى، فتفكك الاتحاد السوفيتي وتخلي روسيا خليفته الأساسية عن أي دور فاعل في السياسة الدولية، قد أديا إلى انفراد أمريكا عمليا بالهيمنة السياسية والعسكرية.[1]

نرى بان معظم الباحثين اتفقوا على انتهاء النظام العالمي الذي ظهر بعد الحرب العالمية الثانية بفعل اختفاء حلف وارسو ثم تفكك الاتحاد السوفيتي، إلا إنهم اختلفوا في توصيف ماهية النظام الدولي الراهن، فالبعض يرى بان النظام الدولي قد أصبح أحادى القطبية، في حين ذهب آخرون إلى القول بأنه أصبح متعدد الأقطاب تتوازن فيه خمس قوى على الأقل، هي الولايات المتحدة، والاتحاد الأوروبي، واليابان، وروسيا الاتحادية، والصين، وذهب فريق ثالث إلى القول بان النظام الدولي الراهن لا يعدو أن يكون مرحلة انتقالية تفصل ما بين سقوط النظام القديم ثنائي القطبية، وبدون هياكل النظام الجديد الذي لم تتشكل ملامحه بعد وان كانت الأوضاع الراهنة ترجح إلى انه سيكون نظاما متعدد الأقطاب.[1]

---

[1] الأطرش، محمد. 1993. " تطور النظام الدولي "، **المستقبل العربي** 171: 51.

[1] جاد 1998: 11.

هذا الخلاف والتباين في الآراء تجاه المحدد الرئيسي لتوجه التفاعلات الدولية، فالباحثون الذين أعطوا دورا أكبر لهيكل النظام في توجيه التفاعلات الدولية ومن ثم دور القوى في النظام الدولي، اعتقدوا أن الولايات المتحدة يمكن أن تمارس دور القطب الواحد المسيطر على النظام العالمي، ويرى أيضا أنصار هذا الاتجاه بان انهيار الاتحاد السوفيتي واستسلامه في الحرب الباردة، وتوجه روسيا إلى التحالف مع الولايات المتحدة وخروجها ولو مؤقتا من الساحة الدولية وانشغالها بأزماتها الداخلية أدى إلى سقوط أحد قطبي النظام الثنائي، فأصبحت الولايات المتحدة القوة العظمى الوحيدة القادرة على ترتيب الأوضاع العالمية دون معارضة فعالة من قوى أخرى.

ومن ثم فالولايات المتحدة هي الدولة التي تتمتع بالقدرة التي تمكنها من القيام بدور حاسم في أي صراع تختار أن تشارك فيه في أي مكان من العالم، وكما أنها تستطيع إذا أرادات استخدام عناصر قوتها المختلفة وذلك لإرساء قواعد النظام العالمي وتنفيذها.

ويؤكد مؤيدو هذا الاتجاه، أن ما حدث في حرب الخليج الثانية يمثل نموذجا لهذه القدرة، فقد تمكنت الولايات المتحدة من حشد التأييد الدولي في مجلس الأمن ضد الاحتلال العراقي للكويت، وشكلت ائتلافا عسكريا ضخما تحت قيادتها، تولى العمل العسكري ضد العراق، على انه بداية لوضع أسس نظام عالمي جديد، ذلك المصطلح الذي استخدمه الرئيس الأمريكي آنذاك "جورج بوش" أول مرة أمام الاجتماع المشترك لمجلس الكونغرس عام " 1990"، وأخيرا ما حصل في حرب الخليج الأخيرة يمثل تعبيرا على قدرة أمريكا للتفرد في

سياسات النظام الدولي.[1]

بالتالي يمكننا القول أن النظام العالمي الراهن يعتبر نظاما أحادي القطبية، ولكنه لا يخضع لهيمنة دولة منفردة بالمطلق بل يخضع لهيمنة منظومة كاملة هي المنظومة الرأسمالية التي تعبر عنها الولايات المتحدة واليابان والاتحاد الأوروبي والباسفيك وتقودها الولايات المتحدة.

فالدول الرأسمالية وهي متشابهة في توجهاتها السياسية، تمتلك مجتمعة 49.5% من إجمالي الناتج العالمي وتستحوذ الولايات المتحدة على 26.8%، من هذا الناتج كما تحكم المنظومة الرأسمالية شبكة من المنظمات والمؤسسات مثل منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، ووكالة الطاقة الدولية، الجات، البنك والصندوق الدوليين، قمة الدول الصناعية السبع...الخ، ومن ثم فهي هيمنة قطب منظومة تحمل تعددية داخلها ولكنها تعددية محكومة وفق قواعد مستقرة ينتفي فيها استخدام القوة العسكرية أو التهديد باستخدامها في علاقاتها المتبادلة.

هناك من يرى التغيرات الحاصلة في النظام الدولي بطريقته الخاصة، حيث يرى "عبد اللطيف الشواف" أن العواقب والتأثيرات المتعلقة بالوضع الـــدولي والمصـــاحبة لهذه التغيرات أدى إلى نقص الأسس التي بني عليها النظام الدولي الثنائية المتقابلة، وأثار مع الضجيج الإعلامي المصاحب كثيرا من هذه التساؤلات التي وصلت إلى حد الحيرة والقلق من

[1] جاد 1998: 12.

قبل المعلقين والمهتمين بالقرارات السياسية على مستوى العالم كله حول موقف المعسكرين، وموقف أي منهما من مسائل العلاقات الدولية الراهنة، ذلك أن انهيار في أحد محوري النظام القائم أو تغيرا في توازن القوى، التي يقوم عليها هذا المحور، لابد أن يتعدى المحور المنهار أو المتغير وان يصل إلى المحور الآخر ومواقفه وتوازناته، ولا بد آنذاك أن يتشكل بالتدريج نظام متميز عن النظام القديم، وقد يكون نظاما جديدا كليا، أو جديدا في بعض مظاهره. في الآراء السابقة حول النظام الجديد المتشكل بعد الحرب الباردة، رأينا من ينوه تنويها إلى إمكانية اعتبار الولايات المتحدة هي القطب العالمي الأول، ورأينا من يحاول أن يشركها مع بعض الدول للعب دور القطب الأوحد للنظام الدولي.

لكن هناك من يرى انه هناك نظام عالمي جديد بعد التغيرات السياسية والدولية التي وقعت، وخاصة ما حدث منها في القارة الأوروبية من تفكك الاتحاد السوفيتي القديم وانتهاء الحرب الباردة، وانتهاء ما كان يسمى بثنائية الأقطاب، وبروز الولايات المتحدة الأمريكية كقطب منفرد، حيث بدأت تبرز بعض معالم النظام الدولي الجديد، حيث يشير هذا الرأي إلى حتمية اعتبار الولايات المتحدة هي القطب الأوحد للنظام الدولي ما بعد الحرب الباردة.

هذا من جانب، من جانب آخر نرى من بدء بنقد النظام أحادى القطبية وتوجيه الانتقادات لمثل هذا النظام، فالانتقال إلى النسق الأحادي في الساحة الدولية، قد أثر سلبا في جميع مجالات العلاقات الدولية، حيث أن النسق الأحادي هو استثنائي عبر التاريخ وأنه إلى نهاية قريبة، وذلك لأن طبيعة النظام الدولي لا تحتمل وجوده لفترة طويلة، فتميل لإنتاج

أقطاب موازية أو منافسة للقطب الأوحد.[1]

أما "ممدوح محمود مصطفى" في كتابه حول "مفهوم النظام الدولي بين العلمية والنمطية" فيرى بأن التحولات الجذرية التي طرأت على صورة توزيع القوة على مستوى النسق العالمي، قد استلزمت من الولايات المتحدة الأمريكية أن تعيد ترتيب الأوضاع الدولية في عالم ما بعد الحرب الباردة، على مقتضى أهدافها الإستراتيجية ومصالحها الحيوية، وذلك بهدف تكريس سيطرتها على النسق العالمي، إذ لم يعد بمقدور الولايات المتحدة أن تستند إلى القوة العسكرية المجردة وحدها في فرض هيمنتها على العالم أو لضمان استمرارية قيادتها للدول الكبرى في أوروبا الغربية واليابان، ولا سيما بعد زوال الخطر الشيوعي بكل ما كان يمثله ذلك بالنسبة إليها من مسؤوليات دولية جسيمة لا طاقة لها بها.[2]

بناء على ذلك، يوجد عدة عناصر يراها البعض مهمة في التوجه المعاصر للولايات المتحدة في السياسة الدولية، حيث وجهة النظر الأمريكية عن العلاقات الدولية والأساس الجديد بالأهمية التي جاءت مع التعبير في الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة، وأسلوب الاقتراب الذي يأخذ الطابع الواقعي على نحو متزايد إلى البيئة السياسية الدولية، كل هذه العناصر تسهم بقسط خاص في إطار العمل الفكري للسياسة الخارجية الأمريكية.[1]

---

[1] سلامة، غسان. 1992." التحولات في النظام العالمي الجديد "، **السياسة الدولية** 109: 16.

[2] مصطفى، ممدوح مصطفى.1998. **مفهوم النظام الدولي: بين العلمية والعملية**، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ص 44.

[1] السعيد، عبد العزيز وآخرون.1999. **النظام العالمي الجديد الحاضر والمستقبل: عبر مفاهيم السياسة في المنظور العالمي**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص 279.

تأكيدا على ما سبق حول بروز الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب الباردة بصفة المسيطر على النظام الدولي، حيث أن تضررها كقوة عظمى عالمية في المرحلة الراهنة وفي ظل الانهيار البنائي الذي حل بدول الكتلة الاشتراكية دفع بها إلى تصور أن العالم قد دخل مرحلة نظام عالمي جديد، حيث سعت في ضوء ذلك للتأثير على مجرى الأمور والأحداث دوليا، وتحاول صياغة هيكلية عامة لما تسميه بالنظام الجديد تتمشى ومقتضيات خدمة المصالح الأمريكية، المرتكزة على الهيمنة الأمريكية على مجريات الساحة الدولية.[2]

وبالتالي فان البعض يحمل الولايات المتحدة مسؤولية المشاكل المطردة على الساحة الدولية، حيث يرى البعض أنه بهيمنة الولايات المتحدة على النظام الدولي الجديد، دفعت إلى التراجع المطرد في مفهوم السيادة الوطنية واتساع نطاق التدخل الدولي في الشؤون الداخلية للدول، وبخاصة في مجالات الديمقراطية وحقوق الإنسان والبيئة ومكافحة الإرهاب، وإعطاء الأولوية للاعتبارات الاقتصادية والاجتماعية على الاعتبارات السياسية في نطاق التفاعلات الدولية والإقليمية، كما أنه هناك غلبة للطابع الدولي على العديد من القضايا والمشكلات.[1]

كان هذا باختصار محاولة للحديث عن المتغيرات الحاصلة على النظام الدولي بشكل عام، بتحوله من ثنائي القطبية إلى أحادي الأقطاب، وذلك بانهيار الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة.

---

[2] عياد، عبد العزيز. 1993. **العالم ما بعد انتهاء الحرب الباردة: انهيارات بنائية وآفاق تبلور جديد**، القدس: المركز الفلسطيني للدراسات ، ص 70.

[1] خليل، محمود.2001." الأمن القومي العربي والمتغيرات الإقليمية والدولية الجديدة "، **السياسة الدولية** 146: 213.

بما أن المحور الرئيسي لهذه الأطروحة هو حلف الناتو والتغيرات الحاصلة على هذا الحلف، الذي يرى الكثير من المحللين الواقعين بان سبب وجوده هي الحرب الباردة، ويجب بمجرد انتهاء هذه الحرب أن ينتهي الحلف، ولكن نرى بأن الحلف استطاع أن يستمر ويضيف تغيرات وتعديلات على هيكليته ووظائفه، حتى يتمكن من مجاراة المتغيرات على الساحة الدولية، لذلك لا بد أن نتطرق إلى العديد من الجوانب المتعلقة بحلف شمال الأطلسي في عالم أحادي القطبية، ولكن قبل ذلك سيتم الحديث عن البيئة الأوروبية بعد انتهاء الحرب الباردة لنرى المستجدات الجديدة التي فرضت نفسها على الساحة الأوروبية بانتهاء الحرب الباردة والتحول الحاصل على النظام الدولي.

- البيئة الأوروبية بعد انتهاء الحرب الباردة:

في هذا القسم سيتم الحديث عن البيئة الأوروبية الجديدة بعد انتهاء الحرب الباردة، حيث تعتبر أوروبا من المناطق التي تأثرت بالتحولات السياسية والجيواستراتيجية التي شهدها النظام الدولي في أعقاب نهاية الحرب الباردة، وتلك مسألة بديهية على اعتبار أن الحرب اندلعت وانتهت فيها، وان أكثر التحولات قد جرت على أراضيها سواء في جزئها الشرقي ممثلا بالحركات والثورات الديمقراطية، التي نجم عنها انهيار المعسكر الاشتراكي والاتحاد السوفيتي الذي يقع على مشارفها الشرقية، أو في جزئها الغربي ممثلا بالوحدة الألمانية، وما

نجم عنها من انبعاث مشروع الوحدة الأوروبية عام "1992".

هذه التحولات قادت إلى حدوث تبدل مهم في البيئة الأمنية الأوروبية يمكن أن تلمسه من عدة أفواج، أولاها في اختفاء الانقسامات والتناقضات السياسية والأيديولوجية والاقتصادية والعسكرية التي عكرت صفو الأمن الأوروبي، وكانت السبب في ولادة المؤسسات الدفاعية لكل معسكر مثل حلف شمال الأطلسي، وكذلك التحسن الذي طرأ على الوضع الأمني لدول غرب أوروبا بعد اختفاء المواجهة العسكرية التقليدية والنووية مع الشرق في اثر انهيار حلف وارسو وتفكك الاتحاد السوفيتي، فضلا عن أن روسيا الاتحادية لم تعد تشكل بنظر الأوروبيين ذلك التهديد الفعلي الذي كان يمثله الاتحاد السوفيتي للأمن الأوروبي، بسبب تركز اهتماماتها على حل قضاياها الداخلية، مع إمكانية ترويضها كي تكون عنصرا فعالا للأمن الأوروبي وليس منفصلا عنها.

أضف لذلك التبدل الذي حصل في المدركات الأمنية الأوروبية، حيث لم تعد هذه المدركات مقتصرة على الافتراضات التي قامت عليها الاستراتيجيات العسكرية السابقة للحلف، وما تضمنته من مبادئ مثل الردع والدفاع والاحتواء، وإنما أصبحت تقوم على افتراضات سياسية وأخلاقية مثل اللجوء إلى الوسائل السلمية لحل معضلات الأمن الأوروبي، ونبذ سياسات التسلح وتعزيز العلاقات والتعاون بين الشرق والغرب ومعالجة مظاهر عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي في وسط وشرق أوروبا.[1]

[1] الحيالي 2003، 40.

ومما لاشك فيه أن هذه المستجدات في البيئة الأمنية الأوروبية وضعت حلف شمال الأطلسي أمام استحقاقات جديدة، إذ أصبح لزاما عليه أن يقنع الأوروبيين أو يزرع لديهم إدراكا أن قيمته الدفاعية ما زالت قائمة رغم زوال الخطر الشيوعي، أي عليه أن يثبت لهم أخطار جديدة تفرض إبقاءه، وفي حال فشله في ذلك فان وجود قوات أمريكية جديدة في قلب أوروبا يصبح غير ذي جدوى، ويثير حتما استياء الرأي العام الأوروبي، وبل حتى الأمريكي، ونتيجة للتكاليف الباهظة لاستمرارية هذه القوات، فضلا عن ذلك فان التبدل في المدركات الأمنية الأوروبية وضع الحلف أمام معضلة محتواها من يقود أوروبا سياسيا وامنيا بعد الحرب الباردة، هل هم الأوروبيون من خلال ما يملكون من مؤسسات سياسية وأمنية مثل منظمة الأمن والتعاون في أوروبا واتحاد غرب أوروبا، أما الأمريكيون من خلال الناتو، وهذا ما نحاول إيضاحه في هذا الفصل من الأطروحة.

هذه التحديات والمعضلات أثارت جدلا واسعا بين أعضاء التحالف الأطلسي، في بداية التسعينات فانقسموا إلى اتجاهين، أولهما: الاتجاه الذي تزعمته فرنسا وألمانيا، وهو يرى أن معطيات البيئة الأمنية الجديدة وفرت فرصة مناسبة لإحياء فكرة أن يكون لأوروبا سياسة أمن ودفاع مستقلة عن المظلة الأمريكية وحلف الناتو، وبالتالي ينبغي إنهاء الحلف وتفكيكه واستند هذا الفريق إلى العديد من الحجج.[1]

أهمها بان القاعدة العامة في العلاقات الدولية تؤكد أن الأحلاف ذات الطابع العسكري

[1] الحيالي 2003: 41.

تزول بمجرد انتهاء التهديد الذي قامت من اجله والأسباب التي دفعت إليها، وحيث أن الخطر الشيوعي قد اختفى عن غرب أوروبا فان حلف شمال الأطلسي لم يعد له مبرر للبقاء لعدم وجود تهديد تستند إليه، أي انه يمثل حالة شاذة أو خروجا على هذه القاعدة التاريخية، حيث أشار الرئيس الفرنسي السابق "فرا نسو متيران" في أثناء قمة الحلف في روما " 1991" إلى أن الحلف ليس شيئا مقدسا بل هو عرضة للتغير وانه ليس بديلا عن أوروبا.

الشيء الآخر، أن التحديات الذي تواجه الأمن الأوروبي اليوم ليست متأتية من دول كبرى مثل الاتحاد السوفيتي، بحيث تتطلب وجود مؤسسة عسكرية قوية لمواجهتها مثل الناتو، فالتحديات الحالية المتأتية من دول صغيرة وضعيفة، تعاني صراعات داخلية ذات أصول عرقية أو دينية، ومثل هذه التحديات يمكن للأوروبيين حسمها سياسيا ودبلوماسيا بما يمتلكونه من مؤسسات تقليدية دون الحاجة إلى القوات العسكرية للحلف.

من جانب آخر، هو أن واحدة من أهم الفرضيات التي قام عليها الحلف، هي وجود توافق في المصالح والمدركات الأمنية بين أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، وظلت هذه الفرضية مقبولة طوال سنوات الحرب الباردة، ما دام الخطر الشيوعي متواجدا في أوروبا، فضلا عن أنها مكنت واشنطن من قيادة أوروبا سياسيا وعسكريا، استنادا إلى ما تملكه من قدرات عسكرية واقتصادية وإرادة في مواجهة أي تهديد صادر عن موسكو وحلفائها السابقين، بيد أن هذه الفرضية لم تعد مقبولة اليوم وذلك لان العلاقات الأوروبية الأمريكية تشهد تنافسا اقتصاديا متزايدا، وان كل منها بدا ينظر للآخر وكأنه خصم تجاري وليس حليفا،

وبالتالي يتعين على أوروبا أن يكون لديها سياسة موحدة ومستقلة حتى تتمكن من مجاراة واشنطن في هذه المنافسة وتؤدي دورا فعالا ومستقلا في السياسة الدولية، وهكذا وحسب وجهة نظر هذا الاتجاه، فانه لا الحقائق التاريخية لنشوء الأحلاف العسكرية وزوالها، ولا الواقع الراهن لمعضلات الأمن الأوروبي ولا الدور المستقبلي لأوروبا في السياسة الدولية تبرر بقاء الحلف في أوروبا بعد انتهاء الباردة.[1]

كان هذا بالنسبة للاتجاه المؤيد لضرورة إنهاء وجود حلف شمال الأطلسي، أما الاتجاه الثاني الذي تزعمته الولايات المتحدة الأمريكية وناصرتها فيه دول عديدة مثل بريطانيا وهولندا، فانه يدعو إلى الإبقاء على العلاقات الأمنية الدفاعية بين أوروبا وواشنطن من خلال صيغة جديدة، تتمثل بوجود قيادة أمنية وعسكرية أوروبية داخل الحلف نفسه، حيث استندوا إلى العديد من الحجج أهمها.

إن الترابط العضوي بين الأمن الأوروبي والأمن الأمريكي التي تعود جذوره إلى نهاية الحرب العالمية الثانية، وهو ترابط لا يقوم على اعتبارات عسكرية حكمتها طبيعة المواجهة مع السوفييت فحسب، وإنما يقوم أيضا على علاقات سياسية واقتصادية وحضارية جسدها الحلف ونص عليها في المعاهدة المنشئة له، وبالتالي فهو ليس مجرد حلف عسكري يمكن أن يزول بزوال التهديد الذي قام من اجله وإنما هو تحالف اقتصادي وسياسي أيضا، وإذا كان الدور العسكري قد تقلص بسبب اختفاء الخطر الشيوعي، فان دوره السياسي

[1] الحيالي 2003: 42.

والاقتصادي مازال قائما، وهو يتمثل في حفظ الأمن والاستقرار بين جانبي الأطلسي، حتى لا تنساق أوروبا إلى حروب كبرى كما انساقت في الماضي.[1]

كما أن غياب حلف الناتو عن أوروبا وخلوها من إطار أمني معين قد يدفع دولها إلى تطوير قواتها العسكرية الذاتية، ولا يستبعد ذلك حصول سباق تسلح بينها وخاصة أن اعتبارات السيادة الوطنية والقومية ما زالت ماثلة في مدركاتها رغم التطورات التي طرأت على بيئتها الأمنية، وعندئذ ستحدث اختلالات واضحة في توازنات القوى الأوروبية، لان بعض الدول لديها قدرات عسكرية كبيرة تقليدية ونووية مثل بريطانيا وفرنسا، وبعضها الآخر لديها القدرة على التحول السريع إلى قوة كبرى مثل ألمانيا، في حين تعاني بقية الدول ضعف قوتها العسكرية أو انعدامها، مما يشعرها بالتهديد الدائم من القوى الكبرى ويترك آثارا سلبية على معنوياتها، لذلك فان بقاء الحلف ضروري لحفظ التوازن بين القوى الأوروبية مثلما هو ضروري لتهدئة الخواطر الأمنية للدول الضعيفة عسكريا.[1]

كما يرى أنصار هذا الاتجاه أن غياب الناتو يعني غياب الدور القيادي الأمريكي في أوروبا، وهذه مسالة قد تضر الأوروبيين أكثر مما تنفعهم، لأنهم سيخسرون اكبر شريك قاري لهم في العالم، كما إنهم سيفشلون في سد الفراغ الأمني في منطقة وسط وشرق أوروبا، فضلا عن عدم قدرتهم على بناء سياسة أمن ودفاع دون مشاركة مع واشنطن التي تمتلك الخبرة

[1] الحيالي 2003: 43.
[1] الحيالي 2003: 44.

القتالية والوسائل اللازمة لبناء هذه السياسة.[2]

كان هذا بشكل عام عرض سريع للأوضاع الأوروبية بعد انتهاء الحرب الباردة، ووجهات النظر المتعددة والمختلفة حول بقاء أو إنهاء حلف الناتو.

من وجهة نظر "كيسنجر" يرى بان انتهاء الاتحاد السوفييتي يمثل انتصارا للمثل "الولسوني" للنظام الدولي الذي استند إلى الالتزام بالمؤسسات الديمقراطية وحل النزاعات عن طريق المفاوضات بدلا من الحرب، فالحكومات ديمقراطية في أوروبا، وهذا يختلف بشكل عن باقي العالم حيث تستخدم كلمة الديمقراطية لتشريع وجود من في الحكم، وعندما يتم إجراء تغييرات في الحكومة فانه يتم عن طريق انقلاب أو انتهاج خطوات انقلابية، أما في منطقة الأطلسي لم تعد الحرب مقبولة كأداة للسياسة، وفي النصف الأول من القرن الماضي اقتصر استخدام القوة على متطرفي أوروبا وبين المجموعات الأثنية وليس بين الدول والأمم التقليدية.

لهذا السبب فان "كيسنجر" يرى بأنه ولمدة تزيد عن نصف قرن خدمت شركة دول شمال الأطلسي كحجر الزاوية للسياسة الخارجية الأمريكية، وحتى بعد زوال الخطر السوفيتي ظلت الشركة الأطلسية بالنسبة إلى الولايات المتحدة الدعامة الأساسية للنظام الدولي، وبعيدا عن تعريف الدفاع المشترك لتحالف تقليدي طورت دول شمال الأطلسي شبكة استشارات

[2] المرجع السابق: 44.

وعلاقات للتأكيد على مصير سياسي مشترك وتحقيقه.[1]

في أعقاب الحرب العالمية الثانية أنقذت المساعدة الأمريكية الاقتصاد الأوروبي، كما ذكرنا أكثر من مرة في هذه الأطروحة، ولكن عندما أصبح الاتحاد السوفيتي مصدرا للخطر، أنشئت منظمة حلف شمال الأطلسي وكانت ذراعها العسكرية قيادة عسكرية مشتركة وينسق مجلس السفراء الدائم دبلوماسية موحدة.

حيث برزت خلال هذه الفترة العديد من الخلافات بين الجانب الأمريكي والأوروبي، ولكن يوجد الآن فارق هام، حيث انه بانهيار الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة فالأزمات السابقة ضمن التحالف اتخذت طابع خلافات عائلية تتعلق بتفسيرات متباينة لمستلزمات أمن مشترك متفق عليه، أما اليوم فتثار التساؤلات حول تعريف الأمن المشترك والغرض منه، حيث انه لا يوجد انفصال أمريكي عن المصالح الأوروبية، بل يوجد انفصال أوروبي عن السياسة الأمريكية خارج منطقة الناتو، من العقوبات ضد كوبا أو العراق قبل الحرب أو إيران، وفي حين أن أحزاب المعارضة في البلدان الأوروبية غالبا ما كانت تشجب في الماضي قرارات نشر القوات الأمريكية، لم يسبق أن قام رؤساء حكومات الناتو بالهجوم علنا أو جنبا إلى جنب مع رئيس روسي على الأحكام الاستراتيجية لحليف يعتمد أمنهم عليه، ومع ذلك فهذا الذي حدث عندما زار الرئيس "فلاديمير بوتن "باريس في أكتوبر" 2000" فأثناء مؤتمر صحفي مشتركة مع ضيفه هاجم الرئيس "جاك شيراك" متحدثا باسم الاتحاد

[1] كيسنجر، هنري. 2002. **هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية؟ نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين**، بيروت: دار الكتاب العربي، ص 24.

الأوروبي الذي ترأسته فرنسا لمدة ستة اشهر خطة إدارة "كلينتون" لمراجعة معاهدة الصواريخ البالستية، والتحدي الأكبر كان بإرسال فريق مصالحة من الاتحاد الأوروبي لاستكشاف إمكانيات تخفيف التوترات في شبه الجزيرة الكورية بمهمة مناقضة للسياسة الأمريكية التي أعلن عنها الرئيس بوش قبل ذلك بأسبوعين فقط.

أثناء الحرب الباردة كان يقال أن التكامل الأوروبي طريقة لتقوية الشراكة الأطلسية، واليوم يرى العديد من مناصريه انه وسيلة لإنشاء توازن مع الولايات المتحدة، حيث أن العلاقة المميزة للقوة العسكرية للاتحاد الأوروبي هي تأسيس إمكانية للعمل خارج إطار الناتو، وفي السياق ذاته صرح وزير الخارجية الألماني "يوشكا فيشر"انه "من الآن فصاعدا سوف تلعب الأمم المتحدة دورا اكبر في السياسات الخارجية الألمانية وفي بعض الأحيان دورا اكبر من الناتو".[1]

بهذا يمكن تلخيص الوضع الأوروبي بعد انتهاء الحرب الباردة، بأنها حرة من التهديد الروسي، وهذا يعني أن أهم خطر والذي تأسس من أجله حلف الناتو في "1949" قد انتهى وأصبح غير فاعل، فانهيار الشيوعية والاتحاد السوفيتي اثبت انه لم يعد هناك تهديد نظامي من الاتحاد السوفيتي، وان الهدف من الحفاظ على تواجد الناتو كمؤسسة أمنية لأوروبا هو أمر محير للمراقبين، وبالتالي مع نهاية الحرب الباردة تواجه أوروبا عددا من القضايا والمشاكل الجديدة، فالخطر الجديد للسلام والأمن يأتي ليس فقط من العوامل العسكرية، ولكن

[1] كيسنجر 2002: 25.

الخلافات الحدودية وعدم الاستقرار السياسي والاقتصادي والقومية المتشددة ومشاكل التطور الاقتصادي والتلوث البيئي، بالتالي فان هذه التحديات تدعو إلى ترتيبات أمنية مختلفة من التي قامت في السابق والتي صممت لرد العدوان من قبل حلف وارسو.

بهذا نكون قد تطرقنا لتقديم بسيط حول الأوضاع الأوروبية وربما العالمية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وانتهاء حقبة تاريخية تميزت بنشوء حرب باردة بين قطبي النظام الدولي.

سوف نقوم الآن بمحاولة إيضاح أهم أسباب استمرارية حلف الناتو بعد الحرب الباردة، والى ماذا تهدف الولايات المتحدة بحفاظها على استمرارية حلف الناتو، وكذلك الآلية التي قامت بها الولايات المتحدة للحفاظ على حلف الناتو.

- استمرارية وتوسع حلف الناتو:

يرى العديد من المحللين بأن البيئة الأوروبية الجديدة بعد انتهاء الحرب الباردة أفرزت قضايا جديدة، تتسم بحالة من عدم اليقين في انعكاساتها المستقبلية على الأمن الأوروبي وهذه القضايا استدعت بقاء الحلف، فهناك من يرى بان عملية توسيع الناتو تنطوي على عدد من الأفكار الكبرى والإشكاليات السياسة والعسكرية التي تمس صميم الوضع الأمني في أوروبا، وأمن النظم الإقليمية القريبة الصلة بما يجري في القارة القديمة.[1]

أولى هذه القضايا هي قضية الوحدة الألمانية، حيث أنتجت الوحدة الألمانية دولة

[1] أبو طالب، حسين.1997. " توسيع الناتو ومستقبل الأمن الأوروبي "، **السياسة الدولية** 129: 100.

كبرى في قلب أوروبا، تمتلك اكبر كتلة سكانية، كما توسعت قاعدتها الصناعية وبنيتها التحتية على أثر اندماج الجزء الشرقي الغني بالموارد الطبيعية والبشرية، وتستطيع ألمانيا أن تبني لنفسها قوة عسكرية أكبر حجما وتطورا من فرنسا وبريطانيا، وتأتي بالمرتبة الثانية بعد روسيا إذا ما توافرت لها ظروف مناسبة مثل التخلص من القيود التي فرضت عليها بشأن التسلح منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وامتلاكها قيادة سياسية لديها الإدارة والقدرة على اتخاذ قرار سياسي لتحويل ألمانيا إلى قوة عسكرية كبرى.

ولقد كان الطابع العسكري هو السمة المميزة للدور الألماني في الأمن الأوروبي أثناء سنوات الحرب الباردة، والذي تمثل باعتبارها خط الدفاع الأول لمجابهة اعتراض أي هجوم سوفيتي على أوروبا الغربية من جهة الوسط، ولهذا أصبحت أهم حلقات الدفاع في حلف الناتو، لان سقوط الوسط معناه استراتيجيا سقوط الأطراف تحت السيطرة السوفيتية، أما بعد انتهاء الحرب الباردة وزوال الخطر السوفيتي عن أوروبا، فقد أصبح من المتعذر حصر الدور الألماني بحدود عسكرية فقط، بمعنى انه ينبغي أن يكون لها دور سياسي في الأمن الأوروبي يتناسب ومكانتها الاقتصادية، وهذا هو مصدر القلق لدى الأوروبيين الذين يرون أن ألمانيا باقتصادها العملاق وصناعتها المتقدمة وتصاعد نزعتها القومية تستطيع أن تفرض هيمنتها السياسية على أوروبا، خاصة إذا ما اتخذت قيادتها قرارا بتحويلها إلى قوة عسكرية لدعم هذا الدور.[1]

[1] الحيالي 2003: 45.

في هذا الصدد يصبح وجود واستمرار حلف الأطلسي ضرورة من ضرورات الأمن والدفاع على السواء، وذلك لأنه سيمكن الأوروبيين وواشنطن من تقييد حرية السياسة الألمانية في أوروبا، بحيث لا تخرج عن سياسة الحلف، ومنعها من أن تتبنى لنفسها تطلعات تستهدف الهيمنة على القارة فالحلف كما يؤكد "بريجنسكي" لم يكن مجرد رد فعل للتهديد السوفيتي فحسب، بل لان تبقى ألمانيا ضمن الصيغة الأمنية الأطلسية" كما إن ذلك فيه إمكانية لمراقبة أي تطورات تحصل في عناصر القوة العسكرية الألمانية، بحيث تبقى تلك القوة مقيدة بالحدود التي رسمت لها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، ذلك لان خروج ألمانيا من الحلف أو انتهاء الحلف نفسه سيدفع برلين إلى تطوير قدراتها العسكرية وامتلاك أسلحة الدمار الشامل، من اجل دعم دورها السياسي في أوروبا، عندئذ ستتغير طريقة توازنات القوة في القارة لصالحها. وعليه فان وجود الحلف والقوات الأمريكية في أوروبا هو الضمانة لمنع أي اختلالات في توازنات القوة الأوروبية مصدرها ألمانيا.[1]

القضية الأخرى التي استدعت بشكل أو بآخر ضرورة استمرارية حلف الناتو من وجهة النظر الأمريكية، هي الوحدة الأوروبية، حيث تصاعد الاهتمام بقضية الوحدة الأوروبية في أعقاب التحولات التي شهدها المعسكر الاشتراكي عام "1989" من أجل مواجهة الأخطار الناجمة عن تفتت هذا المعسكر وانتقال أعبائه ومشكلاته إلى غرب أوروبا، ثم جاءت الوحدة الألمانية رغم هواجسها الأمنية لتعطي دفعا قويا لهذه النقطة، وأخيرا انعقدت

[1] الحيالي 2003: 46.

منظمة الأمن والتعاون في أوروبا في باريس عام "1990 " لتعلن عبر ميثاقها أن الظروف أصبحت مهيأة لولادة أوروبا جديدة خالية من انقسامات الشرق والغرب ويعملان معا على تعزيز الأمن والاستقرار في أوروبا، وقد شجع على ولادة مشروع الوحدة الأوروبية ضمن معاهدة "ماستريخت 1992"، رغم أنها لم تنص صراحة على إقامة عماد للأمن الأوروبي مستقل عن الإدارة الأمريكية وحلف شمال الأطلسي، تبعا لما تقدم فان الوحدة الأوروبية لا تستدعي وجود واستمرار حلف الناتو ولكن في الحقيقة أن الوحدة الأوروبية هي تعبير عن تطلعات أوروبية حضارية تستهدف نهضة أوروبا وتحويلها إلى قوة مؤثرة في السياسة الدولية، ولكنها كمشروع سياسي، فإنها تتسم بحالة عدم اليقين أي إنها يمكن أن تتعرض للإخفاق وللفشل.

حيث أنه من التوقيع على معاهدة "ماستريخت" والأوروبيون يمرون بأزمة اختيار الطريق لتحقيق الوحدة، وكان أمامهم خياران إما توسيع الوحدة لتشمل دول وسط وشرق أوروبا، وإما تعميقها بمعنى تحقيق أكبر قدر من الاندماج بين أعضائها الأصليين الذين يمثلون دول أوروبا الغربية، وقد تم اختيار طريق التوسع، لان مرحلة ما بعد الحرب الباردة جاءت مثقلة بأعباء ومشكلات أوروبا الشرقية والحرب اليوغسلافية، وتضمن التوسع تطوير بعض المؤسسات الأوروبية التقليدية كي تكون قادرة على تحمل أعباءه.

هذا وفي رحاب التوسع أهملت قضية التعمق، وهذا خطأ كبير لأنه قد يذيب الوحدة ويجعلها أقرب إلى تعاون بين حكومات من الممكن أن يختل لأي تضارب في مصالحها،

وخاصة أن أزمة عدم الثقة التاريخية ما زالت قائمة بين الدول الأوروبية الكبرى، مثل الحذر الفرنسي من أن تؤدي الوحدة إلى هيمنة ألمانيا على القارة، وموقف بريطانيا التي تخشى أن تؤدي الوحدة إلى إضعاف اقتصادها وانعزالها عن أوروبا.[1]

الجانب الآخر هو انه قد لا يجد الأوروبيون صعوبة تذكر في تحقيق تكامل اقتصادي على مستوى القارة كلها، وذلك نظرا إلى خبرتهم الطويلة في هذا المجال من إنشائهم أول اتحاد جمركي مشترك عام "1957" تحول فيما بعد إلى السوق الأوروبية المشتركة، إضافة إلى أنهم عكس الحربين العالميتين الأولى والثانية قد خرجوا من الحرب الباردة وهم في كامل عافيتهم الاقتصادية، مما يجعلهم أكثر قدرة ليكونوا مشروع مارشال أوروبيا لإحياء واعمار منطقة وسط وشرق أوروبا، ولكنهم في المقابل يفتقرون إلى أرضية مشتركة في التكامل الأمني على المستوى الاستراتيجي العام، بمعنى بناء عقيدة عسكرية موحدة للوحدة الأوروبية تكون بديلا من استراتيجية الحلف وتستقطب الاستراتيجيات الخاصة التي تتبناها الدول الأوروبية، وخاصة الكبرى منها بسبب اختلاف تصورات صناع القرار الأوروبيون حول صيغة الدفاع المشترك، كما أن بناء استراتيجية للوحدة يتطلب إجراء تعديلات جوهرية في ميزانيات الدفاع الأوروبية، والانفتاح بين صناعاتها الحربية وأن تتحمل الدول الأوروبية الكبرى من هذه النفقات أكثر من الدول الصغرى، من اجل التعويض عن الغياب العسكري للحلف في أوروبا كذلك ينبغي أن تبدل المؤسسات والشركات المنتجة للسلاح من أهدافها،

[1] الحيالي 2003: 47.

فتقوم بالإنتاج لأغراض الدفاع والأمن بدلا من النمط السائد، وهو الإنتاج لفرض المنافسة في الأسواق التجارية وتحقيق أعلى معدلات الأرباح، والذي تولد نتيجة استرخاء الدول الأوروبية أمنيا، واعتمادها الكامل على الحماية الأمريكية وعلى حلف الناتو طوال سنوات الحرب الباردة، ولذلك ستحدث حتما حالة من الفوضى والإرباك بين القيادات السياسية والعسكرية الأوروبية وصعوبة في الوصول إلى قرار جماعي لبناء استراتيجية عامة، ولذا فان الحلف بما يملكه من استراتيجيات أمنية متكاملة من حيث الأهداف والوسائل وما يفرضه من التزامات متوازنة هو أفضل من بناء تكامل أمنى أوروبي مشكوك فيه.[1]

أما السبب الآخر لضرورة استمرار حلف الناتو، هو رابطة الدول المستقلة حيث تتكون رابطة "كومنولث" الدول المستقلة من أحد عشرة دولة احتلت فيها روسيا الاتحادية موقع المركز، حيث تتفوق روسيا على بقية دول الرابطة في عوامل القوى الاستراتيجية والعسكرية والتقليدية النووية، فضلا عن ما تتمتع به موسكو من قدرة على إدارة العلاقات الاقتصادية في الرابطة رغم ما تعانيه من أزمات اقتصادية.

من جهة أخرى فانه لا يوجد أوجه تشابه للمقارنة بين الاتحاد الأوروبي المنبثق عن معاهدة "ماستريخت" وبين الرابطة، فالأول له جذور تاريخية تعود إلى عام "1957 "، وقام بين دول ذات سيادة تسعى إلى تحقيق وحدتها السياسية والأمنية بعد أن تحققت وحدتها الاقتصادية، بينما قامت الرابطة على أنقاض اتحاد قائم وهو الاتحاد السوفيتي، وبين دول لم

[1] الحيالي 2003: 50.

يكن يجمعها سوى التحرر من الهيمنة الشيوعية والحصول على الاستقلال.[1]

ففي المجال السياسي نجد أن هناك تضاربا وعدم وضوح في أولويات السياسة الخارجية لدول الرابطة، فروسيا نفسها تسعى للانخراط في المؤسسات السياسية والاقتصادية الغربية والأمنية، وتهم دول آسيا الوسطي بإقامة علاقات إقليمية خارج حدود الرابطة مع إيران وتركيا وباكستان، أما على الصعيد الداخلي فان جميع دول الرابطة حديثة العهد في الممارسة السياسية الديمقراطية، مما ولد فيها صراعات فكرية وحزبية بين أنصار التأصيل الوطني وأنصار الانفتاح، وبين قوى الانعزال والمحافظة، وقوى الإصلاح.

وكذلك في المجال الاقتصادي فان الرابطة تفتقر إلى المؤسسات الاقتصادية الإقليمية القادرة على تنفيذ الاتفاقيات التي تعقدها الدول الأعضاء فيما بينها، ويعود السبب في ذلك إلى التحول السريع من الاقتصاد المركزي إلى اقتصاد السوق، وتفكك الروابط الهيكلية التي تكونت تاريخيا بين دول الرابطة قبل انهيار الحكم الشيوعي دون قيام بديل عنها، ولهذا تدهورت الأوضاع الاقتصادية فيها.

وبما أن روسيا هي المسيطرة بشكل أو بأخر على دول الرابطة، فان هذه الهيمنة الروسية قد لا تشكل خطورة واضحة على الأمن الأوروبي إذا ما نظرنا إليها بوصفها قضية داخلية تخص المصالح الروسية، وبالتالي لا توجد علاقة بينها وبين حلف شمال الأطلسي واستمراره، لكن الخطورة تكمن في أن تكون تلك خطوة أولية لتحويل الرابطة الهشة إلى

[1] الحيالي 2003: 52.

حلف عسكري، وخاصة في ضوء إصرار موسكو على الأخذ بصيغة الأمن الجماعي فيها، وعندئذ سيتعذر على الأوروبيين موازنة القوى العسكرية التقليدية والنووية الروسية دون حلف شمال الأطلسي، وسوف تصبح الطرق سالكة أمام موسكو لبسط هيمنتها من جديد على منطقة وسط وشرق أوروبا، وهذا يفسر لنا إصرار دول هذه المنطقة على الانضمام إلى الحلف، فهو قد يجلب لهم عدائية روسيا، ولكنه يعني الضمان في الدفاع، وعليه فان بقاء الحلف هو الضمان لبقاء روسيا الاتحادية ضمن حدود رسمت لها من تفكك الاتحاد السوفيتي سابقا "1991" أي أن تبقى لا تشكل تهديدا كبيرا وإذا ما تحولت إلى دولة إمبراطورية فان مطامعها ينبغي أن تكون محصورة في نطاقها الإقليمي المتمثل في الرابطة، ولا يتعدى منطقة وسط وشرق أوروبا وذلك لا يتحقق إلا بتوسيع الحلف نحو الشرق.[1]

بالإضافة إلى كل ما تقدم فان هناك حقيقة مهمة جدا فرضت بقاء الحلف رغم تبدل معطيات بيئته الأوروبية، وهي اعتقاد الغرب عموما أنهم حققوا نصرا غير مسبوق في الحرب الباردة يعطيهم الحق في فرض هيمنتهم على العالم، وبخاصة في مناطق العالم الثالث من اجل استنزاف خيراتها وثرواتها، كذلك انه لم يعد إمامهم اليوم أي منافس دولي يعوق هذه الهيمنة، فقد تكون روسيا قوة كبرى لكنها في الوقت نفسه قوة مهزومة مثقلة بمشكلات سياسية واقتصادية واجتماعية تعوق حركتها العالمية لعدة سنوات قادمة، كما أن الصين رغم نموها الاقتصادي المذهل وتطور قدراتها العسكرية النووية لا تستطيع أن تقوم بعمليات

[1] الحيالي 2003: 58.

عسكرية تهدد جيرانها أو المصالح الغربية كما أفادت بذلك تجاربها التاريخية السابقة مع تايوان وغيرها.

بهذا فان حلف الناتو سيكون خير وسيلة لدى الدول الغربية لتحقيق هيمنتها العالمية، وتلك مسالة بديهية فهو المؤسسة الدفاعية التي حافظت على أمنها من الخطر الشيوعي لأكثر من أربعين سنة، وهو لا يستطيع أن يضمن تناغم أدوارها في الهيمنة وفقا لمصالحها وتقليص فرص المواجهة بينها، ولكي يقوم الحلف بذلك يجب تقوية مركزه في أوروبا باعتبارها قلب العالم، ولهذا جرت وستجري عمليات توسيعه نحو دول وسط وشرق أوروبا، ثم الانطلاق منها إلى التوسع في مناطق العالم الثالث تحت ذرائع مختلفة، مثل مواجهة خطر ما يسمى بالظاهرة الإسلامية، ونزع أسلحة الدمار الشامل، ومكافحة الإرهاب وما إلى ذلك من تبريرات.[1]

إن عملية توسع الناتو قد أثارت العديد من الآراء المختلفة حول مؤيد ومعارض، فالمؤيدين لتوسع الناتو ساقوا العديد من الحجج لتبرير تايدهم، فهم يرون أن قضية توسيع الناتو هي قضية محورية لأنها تأتي بطلب من دول شرق ووسط أوروبا، وليس من جانب الحلف الذي عليه أن يتجاوب مع هذه الطلبات التي تلح عليها دول عانت من الاتحاد السوفيتي وتخشى المستقبل.

كما أن ضم بعض دول شرق ووسط أوروبا سوف يسد ما ترتب على تحلل حلف

[1] الحيالي 2003: 57.

وارسو من فراغ أمنى يمكن أن يفجر المنطقة، وبالتالي فالضم يأتي لخدمة استقرار غرب أوروبا عبر ترتيب الأوضاع الأمنية لدول شرق ووسط أوروبا.

هذا بالإضافة إلى أن عملية ضم دول من وسط وشرق أوروبا بعد استيفاء الشروط المطلوبة، يساعد في عمليات التحول السياسي والاقتصادي في هذه البلدان على نحو يجعلها تتجاوز مرحلة التحول وصعوباتها، ويساعد على تكريس قيم الديمقراطية واقتصاد السوق وهي مصلحة حيوية للعالم الغربي.[2]

وهناك من يرى بان أمريكا تسعى من خلال توسيع الناتو إلى ضم بعض الدول الآسيوية التي كانت ضمن الاتحاد السوفيتي سابقا، بما يمكنها من الوصول إلى أبواب الصين ومحاصرتها، والحيلولة دون إمكانية نشوء تحالف بين روسيا والصين، ولا سيما بعدما شهدته علاقات البلدين من تحسن ملحوظ، وإبرامهما عددا من اتفاقيات التعاون المشترك.[1]

أما ابرز الآراء المعارضة لتوسيع الناتو، فارتكزت على العديد من المبررات، أهمها انه لا يوجد الآن مبرر لتوسع الحلف شرقا، فلا يوجد تهديد حقيقي يقتضي معه إحداث تغيرات في هياكل الحلف لضم دول جديدة، كما أن الحلف قادر بهياكله الحالية وعقيدته العسكرية الراهنة على مواجهة أي تهديد يطرأ في أوروبا أو غيرها دون ضم دول جديدة.

كما ويرى اصحاب هذا الاتجاه أن لتوسع الناتو مضارا عديدة، أبرزها إعادة إحياء خطوط التقسيم في أوروبا، وإثارة عداء روسيا الاتحادية وإشعارها بالهزيمة والمهانة،

---

[2] جاد، عماد.1997. "الجدل حول توسع الناتو"، **السياسة الدولية** 129: 76.

[1] صالح، عبد الله. " بعد قمة مايو: أهداف حطة توسيع الناتو"، **السياسة الدولية** 129: 84.

بالإضافة إلى أن الإصرار على توسيع الناتو يعتبر ذاته عملا عدائيا، ويظهر الحلف في صورة عدائية.

وأخيرا إن توسع الناتو سوف يكون خطوة على طريق إضعافه وربما حدوث انقسامات عديدة داخله، وذلك عبر عدم مراعاة مواقف بعض الدول الأعضاء الرافضة لتوسيع الناتو، فعملية التوسيع لا تحظى بالإجماع، والضغط على الأعضاء الذين يرفضون توسيع الحلف يمكن أن يدفعهم إلى الخروج أو عرقلة أداء الحلف لمهامه التقليدية.[2]

بهذا نكون قد تطرقنا إلى الحديث عن أهم الأسباب التي تكون قد شكلت دافعا للولايات المتحدة لإبقائها على حلف الناتو وعدم إنهاءه بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة.

حيث يمكن تلخيص ذلك بالحديث عن أهم التحديات التي تطلبت توسيع الناتو، بعد انتهاء الحرب الباردة، فقد ساد حلف الناتو اعتقاد عميق بان هناك فرصة فريدة أمام التحالف الغربي لتحسين البيئة الأمنية في جميع أنحاء المنطقة التي تشمل كل من أوروبا والمحيط الأطلسي، وأمريكا الشمالية أو المنطقة التي يطلق عليها اسم المنطقة (اليورو أمريكية) وذلك بهدف رفع مستوى الاستقرار والأمن بجميع الدول في المنطقة دون أن يكون هناك اضطرار لرسم خطوط تقسيم جديدة، ودون اضطرار لتخوض صراعات من اجل فرض هذا الأمن، وخلال هذا التوجه كانت هناك مجموعة جديدة من التحديات الآتية من الشرق تهدد

[2] جاد 1997: 76.

الأمن الغربي حيث تشمل النزاعات الإقليمية، مثل الحروب الدائرة في أراضي يوغسلافيا سابقا، أو النزاع المتجدد بين القبارصة واليونانيين والأتراك، وهذه النزاعات قد تخرج عن إطار السيطرة الأوروبية، لكي يتم تدويلها، وتشكل خطرا على الأمن الأمريكي الدولي، وهذا ما لا تريده الولايات المتحدة.[1]

أما الأمر الآخر، فهو خطر قيام أنظمة معادية للديمقراطية وحقوق الإنسان تهدد السلام والأمن الأوروبي ونظم الحياة في الغرب، حيث يخشى بعض صانعي القرار في واشنطن وألمانيا من أن يخسر الخيار الديمقراطي الروسي مع ذهاب "يوريس يلتسن" ومن ثم فهم يفضلون أن يحيطوا التجارب الديمقراطية الليبرالية الناشئة في أوروبا الشرقية بضمانات تتجسد في تمديد حلف الأطلسي إلى حدود روسيا الغربية.

أضف لذلك انهيار سلطة موسكو على الأقاليم الروسية، وانتشار الفوضى والجرائم وعدم الاستقرار في ظل ضعف السلطة المركزية الروسية، والتحلل الذي أصاب الجيش الروسي حتى بات عاجزا عن مواجهة ثوار الشيشان، وأيضا تزايد نفوذ ألمانيا الروسية ويثير هذا الاحتمال المخاوف الكبيرة لدول الغرب خاصة وان روسيا لا تزال تملك 70% من القدرات النووية للاتحاد السوفيتي سابقا.[1]

كل هذه التحديات أدت إلى تغيير مصادر التهديد وانخفاض مستوى خطرها، مما يتطلب ضرورة إجراء تعديل وظيفي واستراتيجي في واجهة الناتو، فمصادر التهديد بعد أن

[1] فتحي، ممدوح أنيس.1997. " إجراء عملية توسيع الناتو: المشكلات والحلول المطروحة "، **السياسة الدولية** 129: 79.
[1] فتحي 1997: 78.

كانت محصورة في اتجاه واحد ممثلا بالقوة السوفيتية، تعددت الآراء لتشمل النزاعات والحروب المفاجئة متوسطة الشدة، كحرب الخليج وحرب البلقان، ولتشمل احتمالات تسرب القدرات النووية إلى دول غير مأمونة، مثل ليبيا وإيران في جنوب منطقة الحلف، أو تشتت القوى النووية السوفيتية في بعض الجمهوريات السابقة، وأيضا التهديدات التي تحملها الدول المتطرفة والأصولية، وكل هذه التهديدات رغم تعددها تظل ذات مستوى تهديد اقل بكثير من الاتحاد السوفيتي السابق، وبذلك نجد انه في حين اتسمت فترة الحرب الباردة في إطار الأمن الجماعي الغربي بتهديد كبير يوازنه استقرار نسبي معقول، فان فترة ما بعد الحرب الباردة تتسم بتهديدات متدنية الخطورة، ولكن يوازيها مستويات من عدم الاستقرار مرتفعة للغاية، كما ظهرت المهام الجديدة للحلف فيما يسمى بالتدخل الإنساني، وذلك لإيصال مساعدات غذائية وإغاثة أوروبية لمناطق النزاعات خارج النطاق الجغرافي لمنطقة الحلف، والمشاركة في حفظ وفرض السلم ومواجهة الأزمات الإقليمية في بعض مناطق المصالح الحيوية.[1]

فمن المفروض أن يحدث الناتو توازنا في العديد من القضايا، أهمها أن يكون هناك نوع من الحفاظ على الوحدة الداخلية والفاعلية العسكرية، وانطلاقا من هذا مع توسع الناتو من المفروض أن يكون قادر على المحافظة على فعاليته العسكرية، وكذلك يجب الحفاظ على نوع من الشراكة القابلة للاستمرار مع روسيا، وأخيرا يجب على الناتو أن يحافظ على الإجماع الداخلي لديه.[2]

---

[1] الحيالي 2003: 79.

[2] Larlabee, Stephen 1999, **the international spectator xxxlv**, "NATO enlargement after the first round". P52.

بالنسبة لرأي "لصلاح زرنوقة" في قضية توسيع حلف الناتو بعد الحرب الباردة، يرى بان انتهاء الحرب الباردة وزوال الخطر الشيوعي عن أوروبا الغربية، مدعاة لإثارة التساؤلات حول مستقبل الناتو وقيمته، أو جدواه بعد تغير الظروف الاستراتيجية على هذا النحو، وحيث تشير الخبرة التاريخية للأحلاف إلى أن مصيرها الزوال إذا ما اختفى التهديد الذي أقيمت من اجله، فقد توقع المراقبون أن الناتو قد أنجز مهمته وانه وان كان قد استمر بفضل جدواه فقد آن له بان ينتهي، فلم تعد له جدوى بعد انتهاء الحرب الباردة.

ولكن استجابة الناتو لهذه التغيرات جاءت على غير ما هو متوقع، فقد بقي منظمة حيوية ولم يتقلص أو ينكمش، بل وعمد إلى توسيع أهدافه واستراتيجياته وعضويته أيضا، وأصبح بالتالي إزاء مرحلة جديدة تختلف كثيرا عن مرحلة الحرب الباردة.

أما أهم القضايا الأساسية في تحول الناتو، هي أن الناتو كان قد أقيم على أساس وجود رغبة لربط أوروبا الغربية بأمريكا الشمالية في مواجهة الخطر أو التهديد السوفيتي، ورغم أن الناتو قد أدى العديد من الوظائف فقد بقيت حقيقة ثابتة وهي تركيز الناتو على هذا الخطر أو التهديد السوفيتي، صحيح أن الناتو استطاع التخفيف من القلق الأوروبي إزاء التهديد الألماني المحتمل، واسهم في تعميق الإحساس بوحدة أوروبا الغربية وأمنها، ووفر آلية للولايات المتحدة للمشاركة في إنعاش أوروبا الغربية اقتصاديا وعسكريا، واضطلع في الكثير من المهام غير العسكرية لأعضائه، إلى جانب المهام العسكرية، وصحيح أيضا أن الناتو قد شهد العديد من التطورات في غضون الأربعين سنة التي تلت إنشاؤه، سواء من حيث

العضوية أو المسوؤليات أو الهياكل التنظيمية، ولكنه رغم ذلك بقي في نظر الجميع بمثابة الأداة الوحيدة لمواجهة التهديد السوفيتي، باعتبار هذا التهديد هو السبب في قيام الناتو، وهو المبرر الوحيد لاستمرار وجوده، وعليه فقد كان انهيار الاتحاد السوفيتي وحلف وارسو وما ارتبط به من تغير المناخ السياسي بصفة عامة، كان يعني في المقام الأول انتفاء السبب من وجود الناتو، فقد زال خطر وجوده بزوال الخطر السوفيتي، وأصبح الحديث من جدوى الناتو بعد انتهاء الحرب الباردة.[1]

بالتالي فان جدوى الناتو فيما بعد الحرب الباردة، هو في مقدمة القضايا المطروحة للجدل رغم أن البعض رأى انه لم يعد هناك له قيمة بعد أن اختفت الحكمة من وجوده والتي تمثلت في الدفاع عن أوروبا الغربية ضد التهديد السوفيتي، فقد أصر المدافعون عن الناتو على أهميته بعد انتهاء الحرب الباردة، حيث يرون بأنه هام وذلك لمنع تجدد عدم الاستقرار أو الصراع بين دول أوروبا الغربية، وهذا الصراع الذي كانت نتيجته في الماضي حربين عالميتين، ويرون أيضا أن استمرار الحلف سوف يعني استمرار الدور القيادي الأمريكي على اعتبار أن الحلف الأداة المؤسسية الوحيدة لضمان النفوذ الأمريكي في الشؤون الأوروبية، وان مثل هذا النفوذ مهم للولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا معا، غير أنهم يركزون على أهميته بالنسبة الأولى حيث يرون أن تقاعس الولايات المتحدة الأمريكية عن متابعة قضايا الأمن في أوروبا، ومن ثم في العالم معناه تعريض المصالح السياسية والاقتصادية الأمريكية

[1] زرنوقة، صلاح.1997. " الناتو بين مرحلتين"، **السياسة الدولية** 129: 68.

للخطر.[1]

فمن وجهة نظر الولايات المتحدة، يوجد الآن أخطار مثل الإرهاب، انتشار أسلحة الدمار الشامل، وبناء على ذلك يجب أن يتم التحالف مع الدول التي تشترك مع قيم أمريكا والتي هي على استعداد أن يكون لها نشاط يتوافق مع أهداف هذا التحالف، ومنذ انتهاء الحرب الباردة، الديمقراطيات الجديدة في أوروبا أثبتت قدرتها على أن تكون شريك جيد، وذلك لتحقيق الاستقرار قي البلقان، أو أن تساهم في عملية محاربة الإرهاب في أفغانستان، فتوسيع الناتو يعزز من الفوائد للولايات المتحدة ولحلفائها، ويعمل من الناتو تحالف أقوى بكثير من القدرات المختلفة الفردية لأعضاء هذا التحالف.[1]

الشيء الآخر، هو انصراف الجدل الدائم عن التحديات المهمة إلى الموضوعات الأقل أهمية، فبدلا من مناقشة كيف يمكن للحلف الذي أقيم لأغراض معينة قد انتهت أن يتأقلم مع هذه الوضعية الجديدة، أو كيف له أن يستجيب للظروف الاستراتيجية التي تغيرت بشكل جذري ؟ تمحور الجدل حول كيفية توسيع عضوية الناتو ببعض أو كل دول شرق ووسط أوروبا ؟

القضية الأخيرة هي أن الفرضية الأساسية التي قام عليها الناتو، كانت هي التوافق في المصالح بين الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها في أوروبا الغربية، وان هذه الفرضية

---

[1] زرنوقة 1997: 69.

[1] **The enlargement of NATO**
http: // www.state. gov/ pleur/ rls/ fs/ 1425k htm (accessed apr14, 2005)

كانت مقنعة في غضون الحرب الباردة عندما كانت الديمقراطيات الأوروبية تواجه المد الشيوعي، هذا المد الذي لم يكن من المتصور إزاءه أن تكون هناك منظمة أمنية اقدر على مواجهته من الناتو، أو حتى في مستوى هذا الناتو بحيث يمكن أن تحل محله، اليوم تغير الموقف ومع ظهور بعض المؤسسات وتطور قدراتها مثل مؤتمر الأمة والتعاون الأوروبي والاتحاد الأوروبي، لم يعد هذا الافتراض مقبولا، فهناك من المحللين من يرى انه في غياب تهديد عالمي فان مثل هذه المؤسسات تبدو كافية بل وأكثر ملائمة في أداء المهام المطلوبة ما بعد الحرب الباردة، وذلك قياسا إلى الناتو، ذلك أن كل ما هو مطلوب في حقبة ما بعد الحرب الباردة هو السيطرة على النزاعات المحلية والإقليمية التي تنشا في القارة الأوروبية ومحاولة حسمها.[1]

هناك أيضا قضية بقاء الدور القيادي الأمريكي في الحلف وما يرتبط به من اعتقادهم بعدم إمكانية إحلاله أو تبديله، أن جزءا كبيرا من هذا الاعتقاد يرجع إلى حقيقة أن قوة كبرى هي فقط التي تستطيع تحديد خطر أو تهديد قوة كبرى أخرى، لكن التحديات التي تواجه أوروبا ما بعد الحرب الباردة تأتي من دول صغيرة أو من صراعات محلية قد تنشا بين الجماعات المتباينة في الدول التي تعرف أشكالا من التعددية المجتمعية، وهذا التهديد ليس هو التهديد الذي يفترض وجود خطر السيطرة على القارة، هذا الخطر لا يمكن توقعه إلا مع وجود قوة كبرى تفرض التهديد، ثم انه مع تغيير البنية الجيوبوليتيكية أليس من المنطقي أن

[1] زرنوقة 1997: 69.

يتساءل البعض عن قدرة أوروبا الغربية على إدارة شؤونها الأمنية بعيدا عن إشراف الولايات المتحدة الأمريكية.

وان يكن هذا الرأي يذهب في اتجاه إقامة ناتو بدون الولايات المتحدة أو تبديله بالمؤسسات الأخرى، فان ثمة رأيا آخر يحذر من الغياب الأمريكي، والذي سوف يؤدي بشكل تلقائي إلى تامين دول أوربا الغربية لدفاعاتها وتجدد التنافس والصراع بين هذه الدول، ولكن يقلل من صحة هذا الرأي أن أنماط التعاون السياسي والاقتصادي بين هذه الدول قد استقرت إلى حد كبير، فقد استغرق تطورها ما يقرب من نصف قرن، مما يدعو إلى الثقة في كفاءة الروابط المؤسسية وقدرة المصالح المتشابكة على تعزيز التماسك الإقليمي، وان لم يكن لهذه التطورات القدرة على منع هذه الصراعات فقد يكون بمقدور القيادة الأمريكية أن تفعل ذلك، بعبارة أخرى إذا كان الصراع بين الدول الأوروبية واردا في ظل شروط التعاون الأوروبي التي تحققت، فانه سوف يكون واردا بنفس الدرجة في ظل الوجود الأمريكي.[1]

من جانب آخر فقد تسائل "نيكولاس غايات" عن السبب الذي دعا الولايات المتحدة على إعطاء أهمية كبيرة للحفاظ على حلف الأطلسي بغض النظر عن توسعه، فهو يرى بان هناك تفسيرات كثيرة لذلك والأمر الأكثر وضوحا، هو أن الولايات المتحدة متحمسة للحفاظ على حلف الأطلسي كونه يشكل رابطا قويا بينها وبين أوروبا، مع التقوية المتسارعة للاتحاد الأوروبي في التسعينات ازدادت إمكانية قيام سياسة خارجية أوروبية أكثر استقلالية وقوة،

[1] زرنوقة 1997: 70.

الحلف الأطلسي الذي هو بشكل إجمالي تحت قيادة الولايات المتحدة سيقوم بدور الثقل الموازن لهذه العملية، بعيدا عن الحدود الحالية للاتحاد الأوروبي، استخدمت الولايات المتحدة إمكانية الحصول على عضوية حلف الأطلسي وذلك لإغراء الدول التي كانت في حلف وارسو سابقا، للدخول في دائرة النفوذ الأمريكي، لقد كان التطور الأكثر إرباكا والأقل وضوحا في الانبعاث الأخير لحلف الأطلسي، هو الاقتراح الأمريكي المؤقت الذي يدعو التحالف إلى الموافقة على اعتماد موقف هجومي عوضا عن الموقف الدفاعي، والرد على الأخطار خارج أوروبا بالرغم من أن حلف الأطلسي تأسس كحلف دفاعي، اتفاق أمن جماعي بردع أي غزو سوفيتي، فان إعادة صياغة مهمة الحلف في التسعينات أجازت لقوى الحلف توجيه الضربة الأولى ضد أخطار محتملة أو مصدر عدم استقرار، حيث أن القصف الجوي المحدود في البوسنة عام "1994 "من قبل الحلف الأطلسي قدم نظرة سريعة لهذه السياسة الجديدة، وحملة القصف ضد يوغسلافيا في عام "1999" كانت أول تطبيق هام لها.[1]

هذا التحول في الموقف من حلف دفاعي إلى حلف هجومي، هو تحول مثير للقلق وإذا أخذنا بالاعتبار تلميح "مادلين أولبرايت عام 1998" إلى أن حلف شمال الأطلسي المستقبلي يجب أن يكون جاهزا للتدخل ابعد من حدوده الحالية "، إن رؤية أولبرايت هذه دفعت ميثاق الأمن الجماعي الأوروبي ليكون قوة هجومية تستهدف أعداء الولايات المتحدة الجدد خارج أمريكا الشمالية وأوروبا، وحلف الأطلسي له سيطرة عالمية، وهذا ما تم التأكيد

[1] غايات 2003: 95.

عليه في هذه الأطروحة من خلال تبني النظرية الليبرالية لتفسير استمرارية حلف الناتو.

بخصوص ردة الفعل الأوروبية على حلف أطلسي عالمي، كانت فاترة ولكن احتمال توسيع دائرة عمليات حلف الأطلسي هو أمر لا يكتنفه أي شك، تتأرجح أوروبا الغربية في مواقفها بين توكيد استقلاليتها وانصياعها للمبادرات والصراعات التي تقودها السياسة الخارجية الأمريكية، كقضية البوسنة وفشل الاتحاد الأوروبي بحل هذه الأزمة، لا يزال يحوم فوق وزارات الخارجية الأوروبية، ويجعل الارتباط والاعتماد على الولايات المتحدة الخيار الأسهل.

من جانب آخر فالاستقلال والأمن في أوروبا من خلال عملية متطورة تأخذ بعين الاعتبار التطورات السياسية والأمنية التي تحدث في كل أوروبا، فتوسيع الناتو اعتبر جزء لا يتجزأ من هذه العملية، فهذا التوسع لا يهدف إلى تهديد أحد، ولكنه يساهم في عملية تطوير بناء أمني هندسي أوروبي شامل، أسسه التعاون ما بين جميع المجتمعات الأوروبية وبهذا تتم المساهمة في عملية الاستقرار والأمن في أوروبا.[1]

وفي هذه الأثناء لا يزال لأوروبا الشرقية مصلحة هامة في إتباع الخط الأمريكي، فهي تنظر بتعطش إلى المساعدات العسكرية والاقتصادية، نظرا إلى المقاييس الصارمة للتأهل لدخول الاتحاد الأوروبي، ويمكن لعضوية حلف الأطلسي أن تبدو كجائزة ترضية لمثل هذه الدول كشارة للتماهي مع الغرب، تكون البديل عن التكامل السياسي والاقتصادي التام مع

[1] **study on NATO enlargement**
http:// www. Nato- int/ docu/ basictxt/ enl- 9503.htm (accessed apr14, 2005)

الاتحاد الأوروبي، هذا ما ألقى الظلال على مساعي دول الاتحاد الأوروبي لخلق مؤسسات دفاع مشترك وسياسة واحدة لاستخدام القوة، ما دام حلف شمال الأطلسي أكثر طوقا لانضمام دول أوروبا الشرقية، يبدو انه من غير المحتمل أن تبتعد أوروبا ككل عن منظور الولايات المتحدة وأولوياتها في السياسة الخارجية.[2]

تأكيدا على ما سبق، فان هناك من يرى بأنه بانتهاء الحرب الباردة وتفكك الاتحاد السوفيتي كأحد القطبين العظميين، كان من المتوقع حل حلف الناتو نتيجة لزوال التهديد الذي أنشئ الحلف لإبعاده، إلى أن هناك عوامل متعددة منها الرغبة الأوروبية الأمريكية في ربط الأمن الأوروبي بالأمن الأمريكي أدت إلى الإبقاء على الحلف، وإعادة دور جديد له في النظام العالمي فقرر رؤساء الحكومات والدول الأعضاء في الحلف ضرورة الإبقاء عليه وتطوير توجهاته وأساليب عمله وأهدافه في قمة الحلف التي عقدت عام" 1991".

ورغم التقاء أوروبا وأمريكا على نفس الهدف، إلى أن دوافع كل منهما كانت مختلفة جدا، فبعيدا عن الأهداف المعلنة، سعت الولايات المتحدة من اجل استمرار ارتباطها بأوروبا، لما تحققه من فوائد اقتصادية من مبيعات الأسلحة لدول التحالف بالإضافة إلى استثماراتها داخل القارة الأوروبية، أما الدوافع الأوروبية، فتتلخص في أن وجود الحلف هو الضمان الأكيد لمنع تجدد عدم الاستقرار أو الصراع بين دول أوروبا الغربية الذي نتج عنه في الماضي حربان عالميتان.

---

[2] غايات 2003: 156.

بالتالي فقد هدفت الولايات المتحدة من عقد قمة الأطلنطي في روما عام "1991 " إلى تعريف محددات الأبعاد الأمنية والسياسية لدول حلف الناتو في ضوء ظهور مفهوم أمن أوروبي جديد ويقوم على بحث سبل تأسيس التعاون بين الشرق والغرب في المجالات المتعلقة بالأمن.

من ناحية أخرى هدفت هذه القمة إلى نوع من التوفيق بين رؤيتي الولايات المتحدة والمجموعة الأوروبية حول الدور المستقبلي للمجموعة الأوروبية.[1]

إذا هناك العديد من الآراء والأفكار التي تدافع بقوة عن استمرار حلف شمال الأطلسي حتى بعد زوال السبب الذي أنشئ من اجله، نرى أن هناك مصالح أمريكية وربما لن تتحقق إلا باستمرار حلف شمال الأطلسي في عالم ما بعد الحرب الباردة، وعالم أحادى القطبية.

أما "جون ميرشيمر" فانه يرى بان انسحابا للقوات الأمريكية من أوروبا سينتج عنه تنافس قوى عظمى وألمانيا نووية.

يؤكد على ذلك بقوله بأنه حاليا هناك خمس دول أوروبية تمتلك ما يكفي من الثروة والسكان يؤهل كل واحدة فيها لتكون قوى عظمى، المملكة المتحدة، وفرنسا وألمانيا وإيطالية وروسيا، إلا أن ألمانيا وحدها ما بين هذه الدول هي التي تمتلك العلامات المميزة لمسيطر

[1] عبد العزيز، محمد .2001. " الاستراتيجية الجديدة لحلف الناتو"، **السياسة الدولية** 146: 207.

محتمل، فهي أغنى دولة أوروبية وتمتلك ثاني أكبر تعداد سكاني بعد روسيا ولها أقوى جيش في المنطقة، وعلى الرغم من ذلك فان ألمانيا ليست قوة عظمى في الوقت الحاضر وبعيدة على أن تكون مسيطرا محتملا، لأنها لا تمتلك ترسانتها النووية الخاصة، ولأنها معتمدة على الولايات المتحدة لضمان أمنها.[2]

ولكن إذا انسحبت القوات الأمريكية من أوروبا، وأصبحت ألمانيا مسئولة عن ضمان أمنها القومي، فمن المرجح أنها ستحصل على ترسانتها النووية الخاصة، وتزيد من حجم جيشها محولة نفسها إلى دولة ذات شأن.

على الرغم من التفوق الذي تملكه ألمانيا في كافة الأصعدة على باقي دول القارة الأوروبية، فانه من المرجح أن تصبح ألمانيا مسيطرا محتملا إذا ما احتاجت إلى ضمان أمنها بنفسها، فما زال من المرجح أن تسحب الولايات المتحدة قواتها من أوروبا، وذلك لأنه على الدول الأوروبية الأخرى وعلى الرغم من القوة العسكرية الألمانية الكامنة الكبيرة، فانه عليها أن تكون قادرة على منع ألمانيا من الهيمنة على أوروبا من دون مساعدة الولايات المتحدة.

حيث انه من دون سياسة التهدئة الأمريكية لا شئ يضمن بقاء أوروبا مسالمة، ومن المرجح بالفعل أن ينشئ تنافس بين القوى العظمى لأنه ومع الانسحاب الأمريكي سوف تنتقل أوروبا من ثنائية القطبية السلمية إلى تعددية أقطاب غير متوازنة، مما سيحفز باقي الدول الأوروبية العظمى إلى بناء قواتها العسكرية الخاصة وضمان أمنها الخاص وهذا سيجعل

[2] ميرشيمر، جون. 2002. " مستقبل سياسة التهدئة الأمريكية "، ترجمة شادي بطاح، **الثقافة العالمية** 114: 95.

أوروبا متعددة الأقطاب، ويزيد الاحتمال القائم يوما بان هذه الدول ستحارب بعضها بعضا.

هذا رأي الكاتب "ميرشيمر" بالتطورات التي من المرجح أن تحصل لو انسحبت أمريكا من القارة الأوروبية، والانسحاب الأمريكي لا يمثله سوى انتهاء حلف الناتو فهو (الكاتب) بطريقة أو بأخرى يحاول إيصال فكرة ضرورة استمرارية الوجود الأمريكي في القارة ألأوروبية ممثلا باستمرارية حلف الناتو لحفظ السلام والأمن الأوروبي.[1]

حاولنا في الصفحات السابقة من هذا الفصل طرح الآراء المتعلقة التي تشكلت حول استمرار حلف الناتو بعد انتهاء الحرب الباردة، حيث يعتبره البعض استمرارا لا بد منه، والآخر يرى بعدم وجود مبرر مقنع لاستمرار الناتو، بالإضافة إلى تغير الأوضاع في القارة الأوروبية والتي لم تعد تتقبل بسهولة نتائج استمرار حلف الناتو.

سنحاول الآن الحديث عن المواقف الغربية من الحلف، حيث سنتطرق لكل دولة على حدا، وتحليل أسباب موافقتها (الدول الغربية) على استمرار حلف الناتو، واستمرار التواجد الأمريكي العسكري في القارة الأوروبية بعد انتهاء الحرب الباردة.

- مواقف الدول الغربية من عملية توسيع حلف الناتو:

من الحقائق الرئيسية التي أظهرتها علاقة الحلف بالبيئة الأوروبية الجديدة، هي أنها بقدر ما أكدت أهمية دور الحلف في البناء الأمني الأوروبي لعالم ما بعد الحرب الباردة، فإنها فرضت عليه ضرورة التوسع نحو شرق ووسط أوروبا كخطوة مهمة جدا لإنجاز عملية

[1] ميرشيمر 2002: 95.

البناء، ليس لان الأمن الأوروبي يشكل وحدة متكاملة ما بين الشرق والغرب فحسب، بل لان الحلف بغير التوسع يصبح عاطلا عن العمل وعليه أن يترك مساحة للأوروبيين أنفسهم لبناء الأمن بشكل مستقل عنه وعن الإدارة الأمريكية، وهذه مسالة مشكوك فيها كما يرى بعض المحللين.

قد يكون الأوربيين بارعين في مسائل التكامل الأمني وعليه فان الحلف يجب أن يبقى في أوروبا وان يعمل بفاعلية لبناء الأمن الأوروبي على أساس التوسع نحو الشرق.[1]

فالتوسع مبني على اعتقاد الحلف أن انتهاء الحرب الباردة وفر فرصة فريدة أمام التحالف الغربي لتحسين البنية الأمنية في جميع أنحاء أوروبا بهدف رفع مستوى الاستقرار والأمن لجميع دول القارة دون أن يكون هناك اضطرارا لرسم خطوط تقسيم جديدة، ودون اضطرار إلى خوض صراعات القوى من اجل تحقيق الأمن، كما انه مبني على اعتقاد أن مشكلة الأمن الرئيسية في أوروبا قد حلت بانتهاء التهديد السوفيتي وان الموجود اليوم هو تهديدات ثانوية نابعة من مشكلات عرقية ودينية واجتماعية واقتصادية في وسط وشرق أوروبا، وهي لا تتطلب من الحلف الدفاع المستند إلى القوة، ولكن احتوائها عبر عملية بناء أمنية متكاملة على أساس التوسع.

إذا فكرة التوسع شكلت الفكرة المحورية التي دارت عليها مناقشات الحلف منذ قمة لندن عام "1990" حيث يمكن من خلال هذه الفكرة تحديد المواقف الغربية من الحلف، فهناك

[1] الحيالي 2003: 56.

العديد من الأسباب التي دفعت ببعض الدول الغربية إلى التمسك بحلف الأطلسي حتى بعد زوال الخطر السوفيتي.

بداية سنتحدث عن الموقف الأمريكي، بحيث تعتبر الولايات المتحدة الأمريكية أكثر الأعضاء إصرارا لتوسيع الحلف نحو الشرق، فهي التي طرحت مشروع الشراكة من اجل السلام مع دول وسط وشرق أوروبا كخطوة أولى نحو إعدادها وتأهيلها للانضمام إلى الحلف، وترى واشنطن أن توسع الحلف سيكون له فوائد جمة على عملية بناء الأمن الأوروبي، فهو أولا سيملأ ما ترتب على تحلل حلف وارسو من فراغ أمني، وبالتالي سيأتي بالاستقرار لغرب أوروبا عبر ترتيب الأوضاع الأمنية في الشرق، كما انه سيحول دون عودة روسيا إلى ممارسة سياسية قيصرية تخل بالتوازن والاستقرار في أوروبا كما انه سيساعد على عمليات التحول الديمقراطي والاقتصادي لبلدان وسط وشرق أوروبا على نحو يجعلها تتجاوز مرحلة الشيوعية بكل صعوبتها، وأخيرا فان التوسع وإنشاء بناء متكامل للأمن الأوروبي قد يكون خطوة مهمة لإيجاد تعاون مؤسساتي مع الأمم المتحدة يساعد على القيام بأعباء حفظ السلام العالمي.[1]

مما لا شك فيه أن هذه الفوائد لا تبرر التكاليف الباهظة لعملية التوسع، والتي قدرها الكونغرس الأمريكي بحوالي "125 "مليار دولار.

هذا يعني أن لواشنطن أهدافا أخرى من وراء إصرارها على توسيع الناتو، ففي

[1] الحيالي 2003: 56.

توسيع الناتو هناك إمكانية لتكريس دورها القيادي في شؤون القارة الأوروبية بعد انتهاء الحرب الباردة، بما انه تبرير أيدلوجي لدور الحلف في العماد الأمني الأوروبي الجديد، ويعود ذلك إلى الترابط بين الحلف وواشنطن لنشوئه وهيمنتها على معظم القيادات المهمة فيه سواء كانت عسكرية أو سياسية، الأمر الذي يمنحها دورا مؤثرا في معظم سياساته وقراراته المتعلقة بالتوسع، ومما سيقوى هذه الزعامة فشل الأوروبيين في توسيع الاتحاد الأوروبي نحو الشرق بحكم الخلافات القائمة بين فرنسا التي تريد أن يتخذ توسيع الاتحاد صبغة اقتصادية ونقدية، وألمانيا التي تفضل أن يتخذ صبغة أكثر تطورا بحيث يتحول إلى اندماج سياسي.[1]

هذا الوضع أعطى واشنطن الفرصة لاستغلال هذه الخلافات وإقناع الأوروبيين بان الحلف هو أفضل مؤسسة غربية للقيام بمهمة التوسع، لخبرته الأمنية العميقة وإمكانياته العسكرية والسياسية التي مكنته من حسم معظم الأزمات التي هددت الأمن والمصالح الأوروبية والأطلسية.

حيث أن تكريس زعامة واشنطن على أوروبا عبر عملية توسيع الناتو، سيساعد على إنعاش اقتصادها، ورفع مستوى تبادلها التجاري واستثماراتها داخل القارة، ولكنها لا ترغب في أن تتحمل كل نفقات التوسيع وتبعاته السياسية وغير السياسية، بالتالي فهي تقترح أن يتم التوسع عبر تقاسم الأعباء والمسؤوليات مع حلفائها، فهذا التقاسم بقدر ما سيقنع الأوروبيين

[1] الحيالي 2003: 57.

بان لهم دورا في بناء الأمن الأوروبي ويخفف من حدة النزعات الاستقلالية لديهم، فانه سيدفع عملية التوسع إلى الأمام ويوفر على واشنطن تكاليف باهظة لا تستطيع تحملها بمفردها.

الجانب الآخر من سبب إصرار الولايات المتحدة على استمرارية وجود حلف الأطلسي، هو انه في التوسع هناك إمكانية لتنشيط فاعلية الاستراتيجية العسكرية الأمريكية في القرن الحادي والعشرين، لان من أهم مقومات هذه الاستراتيجية اعتبارها أن التهديدات التي تواجه الأمن والمصالح الأمريكية في الخارج أصبحت أكثر تنوعا بعد انتهاء الحرب الباردة، وتتمثل في انتشار النزاعات العرقية والدينية ذات الحساسية للمصالح الأمريكية، مثل أوروبا والشرق الأوسط وانتشار أسلحة الدمار الشامل في دول إقليمية تعادي هذه المصالح، وتعتبر مصدر الإرهاب الدولي.

بعبارة أخرى، إن استخدام القوات الأمريكية في القرن الحالي سيعتمد على الفعل وليس رد الفعل على الأزمات التي تهدد الأمن والمصالح الأمريكية في الخارج، علما بان حلف الناتو بدا هو الآخر يتبنى فكرة إنشاء مثل هذه القوات لاستخدامها ضد الأزمات التي تهدد الأمن والاستقرار الأوروبي الأطلسي في مناطق العالم الثالث مما يعكس تأثره بالاستراتيجية الأمريكية.

السبب الأخير لإصرار أمريكا لتوسيع واستمرارية الناتو، هو أنه في التوسع هناك إمكانية لحصر واحتواء روسيا ومنعها ممارسة أي دور عالمي أو إقليمي بعد أن تتغلب على مشاكلها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، أو في حالة صعود حكومة متطرفة تشدد على

المصالح القومية، كما كانت تفعل في الماضي، وبالتالي فان الولايات المتحدة لا ترغب بعودة روسيا بأي شكل من الأشكال، وظهورها كقطب عالمي محتمل لها من جديد.[1]

هذه المعلومات قد تبدو للبعض أنها ليست بالجديدة، وخاصة خلال هذه الأطروحة حيث تم ذكرها بطريقة أو ما أكثر من مرة، ولكن لا بد من ذكرها بصورة متماسكة حتى يتمكن القارئ من الحصول على معلومة متسلسلة ومباشرة.

الدولة الغربية الأخرى التي من المهم التطرق لموقفها من استمرار وتوسع حلف الناتو هي فرنسا، فالموقف الفرنسي يمثل جزءا مهما من التطور التاريخي للحلف، حيث النزعة الاستقلالية الفرنسية التي أربكت استراتيجية الناتو لفترة طويلة، وذلك لأنها كانت مبنية على ضرورة امتلاك باريس قوة نووية للدفاع عن نفسها بمعزل عن الحلف، وذلك بعد أن فقد الحلف في الذهنية الفرنسية مصداقية الدفاع عن غرب أوروبا ضد هجوم سوفيتيي محتمل، كما أن وجود قوات نووية وتقليدية أمريكية في القارة سيجعلها مسرحا لأي حرب مقبلة مع السوفييت في الوقت الذي يبقى فيه الحرم الأمريكي سالما.[1]

حاولت باريس في سنوات الحرب الباردة إقناع الأوروبيين بهذا الموقف، وضرورة أن يكون لهم دفاع مستقل داخل الناتو، إلا أنها لاقت ردود فعل سلبية الأمر الذي اضطرها إلى الانسحاب من المنظومة العسكرية للحلف عام" 1966" وإخراج جميع القوات الأطلسية عن أراضيها رغم أنها بقيت عضوا في الهيكل السياسي له.

---

[1] الحيالي 2003: 59.

[1] الحيالي 2003: 60.

هذا الإجراء أتاح لها تحقيق مصالح متعددة في آن واحد، فانسحابها من المنظومة العسكرية للناتو سيتيح لها إمكانية تطوير قواتها النووية بعيدا عن الضغوط الأمريكية، كما أن بقائها في الهياكل السياسية سيجعلها مرتبطة بأوروبا الغربية سياسيا واقتصاديا، ويجعلها تشعر بالأمان في أن حلفائها الأطلسيين سوف ينصرونها في حال تعرضها لعدوان سوفيتي، وهذا ما دفعها عام "1974 "إلى اعتبار الردع النووي الفرنسي جزءا لا يتجزأ من الردع الغربي العام.

بانتهاء الحرب الباردة أتيحت فرصة لفرنسا لتحقيق سياساتها الرامية إلى بناء أمن ودفاع أوروبي مستقل عن الناتو، وبخاصة أن مبررات استمرارية الناتو قد أصبحت ضعيفة وواهية، وذلك بسبب انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتي، فقد كانت فرنسا تعارض فكرة توسع الناتو شرقا وتسوق لذلك عدة حجج، من أهمها انه لا يوجد أي تهديد حقيقي من دول وسط وشرق أوروبا يتطلب توسيع الناتو، كما أن الناتو يتجه الآن نحو تخفيض الميزانية الدفاعية وهذا يتطلب عدم التوسع في الالتزامات الأمنية للحلف بل على العكس يلزم خفضها.[1]

ولكن سرعان ما جاءت معاهدة "ماستريخت" خالية من أي نص يقيم الأمن والدفاع في أوروبا بشكل مستقل عن الناتو، كما برزت مشكلة الحرب في يوغسلافيا السابقة وإخفاق الأوروبيين في احتوائها، لتؤكد لفرنسا أن إقامة سياسة أمن ودفاع مستقلة عن الناتو هي من

[1] سعداوي، عمرو عبد الكريم. 1997. " فرنسا وتوسيع الناتو"، **السياسة الدولية** 129: 106.

المستحيلات بعد أن حسمت الحرب (اليوغسلافية) سياسيا وعسكريا من قبل الحلف نفسه.

نتيجة لما سبق تبدل، الموقف الفرنسي من الدعوة لبناء امن أوروبي مستقل عن الحلف إلى تكوين هوية أمنية أوروبية داخلية، وقد بررت باريس هذا التبدل من اجل تحقيق نوع من الموازنة بين نزعتها الاستقلالية ومصالحها القومية، وبين الاضطلاع بدور مهم في الأمن الأوروبي بعد الحرب الباردة، ومن ثم فهي مجبرة على تغيير استراتيجيتها الدفاعية من خلال الاندماج والتضامن مع حلفائها الأطلسيين، فقد قررت العودة إلى المنظومة العسكرية للحلف في أثناء قمة مجلس الأطلسي عام "1996 "المنعقدة في برلين.[1]

بهذا يتضح لنا أن فرنسا مجبرة على ترتيب موقفها من الحلف باتجاه الارتباط به أكثر فأكثر، وخلال الحرب الباردة كان الخطر الشيوعي في أوروبا وعدم مصداقية الحلف في الدفاع عن غرب أوروبا مبررا لنزعتها الاستقلالية وبناء قوتها النووية الذاتية، أما بعد زوال هذا الخطر فإنها فقدت هذا المبرر، بعبارة أخرى كانت النزعة الاستقلالية في الذهنية الفرنسية الاستراتيجية ضرورة من ضرورات الدفاع عن النفس، أما اليوم فإنها تعني الانعزال عن شؤون القارة وخسارة ما تطمح إلى أن تكون عليه في بناء الأمن الأوروبي الجديد، وهذا ما لا تريده باريس لأنه يضر بمصالحها القومية والعالمية، وبالتالي فما عليها سوى اللحاق بركب الناتو في حلته الجديدة حتى وان تم توسيعه نحو الشرق رغما عنها.

أما الموقف الألماني من استمرارية وتوسع حلف الناتو، فمما لا شك فيه أن العنصر

[1] الحيالي 2003: 60.

الألماني مهم في تحالف الناتو، ليس في جيوش ألمانيا ولكن في أراضي ألمانيا، وذلك بسبب الموقع الجغرافي المميز لألمانيا.[2]

يمكن القول في هذا المجال انه من اغرب المفارقات في نهاية الحرب الباردة استعادة ألمانيا لمجالها الحيوي الطبيعي في وسط وشرق أوروبا عبر عملية توسيع الناتو، لذلك فلا غرابة أن نجدها أكثر الأعضاء الأوربيين تحمسا لفكرة توسيعه نحو الشرق بعد الولايات المتحدة الأمريكية، بما أن ذلك يعطيها ثقلا سياسيا واقتصاديا متميزا في إدارة شؤون القارة، فضلا عن أن توليها لأهم قيادة رئيسية في الناتو بعد القيادة العامة، وهي قيادة منطقة وسط وشرق أوروبا، سيجعلها بمنزلة النائب العسكري الأول لأمريكا على الساحة الأوروبية.

تبعا لذلك تسعى ألمانيا للمحافظة على هذه المكاسب التي ستحققها من عملية التوسع باستخدام سياسة هادئة ومرنة ، من خلال استرضاء جميع القوى الرئيسية في الناتو وخارجه ذات التأثير في مجرى عملية التوسع.

هذا وقد سعت برلين إلى تطبيع العلاقات الأمريكية الفرنسية في إطار الناتو، حتى لا تؤدي الخلافات بينها حول الهوية الدفاعية للأمن الأوروبي إلى عرقلة عملية توسعه نحو الشرق، فكان لها دور متميز في دفع واشنطن إلى الإقرار بهذه الهوية في قمة مجلس تعاون الأطلسي عام "1996" وتشجيع فرنسا للعودة إلى منظومته العسكرية.

وبالتالي فان سياسة ألمانيا المرنة في المحافظة على المكاسب التي تتحقق لها من

[2] kaplan, Morton.1993. **The rational for NATO European collective security past and future**. Washington: Stanford university press P 11.

جراء عملية توسع الحلف نحو الشرق، يوجد بها تشابه إلى حد ما من سياسة المستشار الألماني السابق "بسمارك" في القرن التاسع عشر، حيث سعى للمحافظة على الوحدة الألمانية بعد عام "1870" من تهديدات بعض القوى الأوروبية مثل فرنسا وبريطانيا، ليس بأسلوب إقامة الأحلاف العسكرية مع الدول الأوروبية التي يمكنها أن تتعاون معها فحسب، بل باسترضائها والتقليل من مشاعرها المعادية لألمانيا، وذلك عند اعترافه بمصالح فرنسا الاستعمارية في الجزائر وتونس والمصالح البريطانية في مصر.[1]

بالنسبة للموقف البريطاني، فانه لا يختلف اثنان على أن مواقف بريطانيا في السياسة الدولية هي غالبا ما تكون تابعة للسياسة الأمريكية أو مكملة لها، وبما أن واشنطن تسعى لتثبيت أقدامها في أوروبا بعد انتهاء الحرب الباردة من خلال الناتو وتطوير دوره ومهماته عبر عملية التوسع نحو الشرق، فان لندن تدعم هذا السعي الأمريكي لأسباب عدة أهمها، استمرار النزعة التقليدية المحافظة في العقلية السياسية البريطانية التي تجعلها تولي اهتمامها لعلاقاتها الأطلسية مع الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من علاقاتها الأوروبية، ومما يقوي هذه النزعة شكوكها الراهنة في قدرة الأوروبيين على بناء سياسة أمن ودفاع مستقلة عن الناتو والإدارة الأمريكية.

الجانب الآخر، هو الخبرة البريطانية الطويلة في التعامل مع الشؤون الأوروبية، حيث جعلتها تنظر إلى قاعدة توازن القوى باعتبارها أفضل وسيلة لحماية مصالحها داخل أوروبا

[1] الحيالي 2003: 63.

وخارجها من تحديات القوى الأوروبية الأخرى، وبما أن قدرتها الحالية لا تؤهلها للعب دور العامل المتميز في التوازن الأوروبي، فإنها تعول على وجود الحلف في أوروبا، والقوة الأمريكية كعامل استراتيجي لحفظ هذا التوازن بعد انتهاء الحرب الباردة.[2]

بهذا وبشكل عام نرى أن مواقف الدول الغربية من عملية توسيع الحلف تعكس مدى تأثرها بمصالحها القومية، وان هذه التأثيرات انعكست بدورها على صياغة الاستراتيجية الجديدة التي جاءت جامعة وأخذت في الاعتبار هذه المواقف والمصالح، لان الاهتمامات الأمنية لهذه الاستراتيجية قد تجاوزت الحدود المقررة للحلف أصلا في أوروبا لتشمل مناطق العالم الثالث ذات الحساسية للمصالح الغربية.

وهذا يؤكد ما افترضناه في هذه الأطروحة بان حلف الناتو لم يكن مجرد حلف ضد عدو واحد ومحدد، بل هو حلف قادر على التغيير والاندماج في المتغيرات الجديدة التي تطرح نفسها على الساحة الدولية، وإذا كان العديد يعتبر الحلف مهما للولايات المتحدة الأمريكية بطريقة أو ما، فلا بد أن نذكر أن الأهمية ذاتها بالنسبة للدول الأوروبية الغربية.

باختصار، فان حلف الناتو "الموسع" هو الضمان ضد التهديدات غير المتوقعة التي تحملها رياح القرن المقبل، كما يعتبر كذلك يد أمريكا الطولى التي تصل بها إلى أي مكان تريد، فحلف الأطلسي بعقائده القديمة أو المستحدثة، بات إحدى الأدوات التي تفرض بها

[2] المرجع السابق: 64.

الولايات المتحدة قيادتها للعالم.[1]

- وظائف حلف شمال الأطلسي بعد انتهاء الحرب الباردة:

تعرفنا في الفصول السابقة لهذه الرسالة إلى أهم الوظائف التقليدية التي تأسس من أجلها حلف الناتو، ولكن المتغيرات الجذرية على الساحة الدولية فرضت على الحلف وظائف جديدة إذا أراد أن يستمر ويتوسع، حيث يجب عليه إعادة هيكلة نفسه، وكذلك إدخال بعض التعديلات على وظائفه حتى يستطيع الاستمرارية في عالم ما بعد الحرب الباردة.

والمعروف أن المعاهدة المنشئة للناتو كانت قد وضعت وظائف عسكرية وسياسية واقتصادية من أجل تنشيط وتفعيل استراتيجيته في الدفاع الجماعي ضد تحديات القوة العسكرية للاتحاد السوفيتي وحلف وارسو السابق، لأمن غرب أوروبا ومنطقة الأطلسي، وبقيت تلك الوظائف فاعلة ما دامت تلك القوة موجودة ومؤثرة، أما اليوم وبعد زوال تلك القوة وتفككها، فانه أصبح من الصعب على الناتو حصر وظائفه في حدود دفاعية عسكرية، وذلك لأنه هو نفسه قد فقد صفته الدفاعية المحصنة، الجانب الآخر أن القضية الأساسية التي تستقطب اهتماماته الراهنة والمستقبلية هي التوسع نحو الشرق من اجل حفظ السلام وبناء عماد جديد للأمن الأوروبي والأطلسي، وهذا التنوع في الاهتمامات من شانه أن يعقد وظائفه

[1] اللاوندى، سعيد. 2003. **القرن الحادي والعشرين هل يكون أمريكيا؟ بحث في استراتيجية الصراع من اجل الهيمنة على العالم**، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص 62.

السابقة، ويجعلها أكثر تشعبا وذلك لان حفظ السلام وبناء الأمن ليس مجرد حالة ساكنة أو جامدة كالدفاع.[1]

من هنا يمكننا تفصيل الوظائف الجديدة للحلف، فبداية ومع الوظيفة السياسية، فإنها تتمثل للحلف في دعم وترسيخ عمليات التحول السياسي الديمقراطي لدول وسط وشرق أوروبا، ولكي يقوم الناتو بهذه الوظيفة فقد اشترطت اتفاقيات برنامج الشراكة من اجل السلام هو أن تقوم هذه الدول بحل مشكلاتها العرقية والدينية والاجتماعية بالطرق السلمية، من خلال الاتفاقيات الحرة ومنح شعوبها حق تقرير المصير، وسوف يكون للحلف إشراف على هذه التحولات.

في المقابل فانه ينبغي على أعضاء الناتو الأصليين منح مؤسساتهم السياسية، كالاتحاد الأوروبي، ومنظمة الأمن والتعاون في أوروبا، ومجلس أوروبا، أمام هذه الدول للاستفادة من خبرتها الطويلة في عمليات التحول الديمقراطي.

ومن الوظائف السياسية الأخرى التي وضعتها اتفاقيات الشراكة للحلف، مسالة السيطرة على أسلحة الدمار الشامل، والأسلحة النووية الموجودة لدى بعض الدول المشاركة، فقد تعهدت هذه الدول بان يكون للناتو حق الإشراف على نزع هذه الأسلحة وعدم بيعها أو نقل تقنيتها إلى دول أخرى.[1]

أما الوظيفة الأخيرة وهي مساهمة الحلف والدول الموقعة على اتفاقيات الشراكة في

---

[1] الحيالي 2003: 94.

[1] الحيالي 2003: 95.

فعاليات الأمم المتحدة في حفظ السلام، والتي عرفت باسم "الدبلوماسية الوقائية" والتي تعني تجميع المعلومات السياسية الإخبارية حول بؤر الأزمات الموجودة في أوروبا والعالم مما يتيح للحلف والمنظمة الدولية التدخل فيها واحتواءها سياسيا ودبلوماسيا قبل أن تتحول إلى نزاعات مسلحة وحروب.

هذا فيما يتعلق بالوظائف السياسية الجديدة للحلف، أما الوظيفة الاقتصادية فقد تمثلت منذ نشوئه بالتنسيق بين السياسات الاقتصادية لأعضائه الأصليين والتخفيف من حدة التنافس الاقتصادي بينهم، حتى لا يؤثر ذلك في متانة استراتيجيته الدفاعية ضد تهديدات وتحديات القوة السوفيتية، ومن المرجح أن تزداد أهمية هذه الوظيفة بعد انتهاء الحرب الباردة، من اجل تحقيق الهيمنة التضامنية للعالم الرأسمالي على النظام الدولي، والتقليل من احتمالات الحروب الاقتصادية بين دول العالم، فقد أضافت اتفاقيات الشراكة بين الحلف والدول المشاركة أبعادا جديدة لهذه الوظيفة، تمثلت في إنعاش اقتصاد هذه الدول ومساعدتها على التحول الصحيح نحو اقتصاد السوق، أو تزويدها بالخبرات العلمية التي تمكنها من بناء بنيتها التحتية وتحويل صناعاتها العسكرية الفائضة الحاجة إلى الصناعات المدنية، وفتح الأسواق أمام اقتصادياتها داخل أوروبا وخارجها.[1]

الوظيفة الأخيرة، هي وظيفة عسكرية تتمثل في تهيئته وإعداد الدولة المنظمة إلى برنامج الشراكة من اجل السلام للقيام بعمليات حفظ السلام في أوروبا ومنطقة الأطلسي، لذلك

[1] الحيالي 2003: 98.

تفرض هذه الوظيفة على الناتو العمل على تغير هياكل وأنماط استخدام القوة العسكرية، سواء من حيث الحجم أو النوع والتفكير الاستراتيجي، بحيث تكون قادرة على استيعاب التغيرات التي طرأت على إستراتيجية الحلف العسكرية، والتي لم تعد استراتيجية دفاعية بقدر ما أصبحت ردعا أو منعا للأزمات والمخاطر التي تهدد الأمن الأوروبي الأطلسي داخل أوروبا، واستخدام القوة بشكل هجومي ضد التحديات التي تواجه الهيمنة الغربية في مناطق الأزمات الخارجية.

وبالتالي فان دراسة هيكلية ووظائف الحلف الجديدة، تكشف أن الناتو اخذ يولي اهتماما متزايد لتنفيذ استراتيجية في التوسع نحو الشرق وتكريس الهيمنة الغربية على النظام الدولي من خلال التعاون مع مؤسسات عسكرية وسياسية خارجة عنه كاتحاد غرب أوروبا، والأمم المتحدة ومجلس الشراكة الأوروبي والأطلسي.

أما وفق رأي "هنري كيسنجر" حول وضع الناتو بعد انتهاء الحرب الباردة، فهو يرى بأنه جرى التخفيف من صورة الناتو في التسعينات من حيث المفهوم والتنفيذ، فقد تم إنشاء عدة مؤسسات تبشر بتحويل الناتو إلى هيئة أمم متحدة مصغرة، فهناك مجلس شمال الأطلسي المؤلف من سفراء تسعة عشر دولة تنتمي إلى الناتو، وهناك المجلس الدائم المشترك الذي يضم مجلس شمال الأطلسي إضافة إلى روسيا، وهناك مجلس الشراكة الأوروبية الأطلسية ويضم دول الناتو إضافة إلى ثمان وعشرين دولة من الكتلة الشرقية السابقة، وهناك الشراكة من اجل السلام، حيث تتم دعوة الدول من أوروبا بما فيها روسيا وذلك للمشاركة في تدريبات

مشتركة على تنفيذ مهمات متعددة غير محدودة، وجميع هذه الدول التي تمتد من أقصى الشرق مثل "كازاخستان واذربيجان وأوزباكستان" ممثلة في قمم الناتو وهذا ما يحول مهمات الحلف التاريخية إلى مجموعة متعددة من مؤسسات الأمن التعاوني متعددة الأوجه وذات الأغراض الغامضة.[1]

وبالتالي يمكن تلخيص وظائف الأطلسي بعد انتهاء الحرب الباردة، بتنظيم الأمن لأعضائه ضد الأخطار والتهديدات المحتملة وبالتحديد فان المهمة الخارجية للحلف هي مواجهة ما تفرضه القوة العسكرية الروسية من تهديد وذلك عن طريق حفظ التوازن الاستراتيجي في القارة الأوروبية.

بالإضافة إلى حماية الأعضاء من أي تهديد آخر محتمل، فقد يأتي هذا التهديد من شمال أفريقيا والشرق الأوسط، خصوصا مع انتشار تكنولوجيا إنتاج الصواريخ وأسلحة الدمار الشامل في هاتين المنطقتين.

كذلك يقوم الحلف بترسيخ الاستقرار في الدول التي كانت تنتمي إلى الكتلة السوفيتية للحيلولة دون تفجر أية اضطرابات فيها.

هذا على صعيد وظائف الحلف الخارجية الجديدة ، أما وظائف الحلف الجديدة على الصعيد الداخلي، فيكمن تلخيصها بقيامه بطمأنة الدول الأعضاء إزاء بعضها البعض، فاستمرار الحلف بهيكله العسكري المتكامل مع الوجود الأمريكي من شانه أن يزيل أية

[1] كيسنجر 2002: 36.

مخاوف لدى أي عضو تجاه الآخر.[2]

كما يقوم الحلف بتعميق الشفافية بين الأعضاء، ذلك أن الخطأ في الإدراك وسوء الفهم المتبادل هما أحد مصادر الصراعات الدولية، ففي غياب معلومات تفصيلية موثوق بها قد يسئ صانعي القرار فهم وتفسير نوايا بعضهم البعض، كما يسعى الحلف إلى منع تأميم السياسات الدفاعية أو الأمنية من جانب الدول الأعضاء التي يفترض أنهم يصيغون سياساتهم الأمنية في إطار الحلف وليس على أسس وطنية.

أما الوظيفة الأخيرة وهي الأهم، أن الحلف يسعى إلى ربط الولايات المتحدة الأمريكية بالقارة الأوروبية، فوجود هيكل عسكري مشترك بحد ذاته لا يمثل ضمانة لاستمرار المشاركة في الحلف من جانب اغلب الأعضاء فبدون التواجد الأمريكي لن يثق هؤلاء في قدرة الحلف على توفير مظلة أمنية بالمستوى الذي يرغبون فيه.[1]

- تلخيصا لما سبق:

نلاحظ انه تم الحديث عن المتغيرات السياسية التي فرضت نفسها على الساحة الدولية وعلى النظام الدولي، وهي انهيار الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة، وما سببته هذه المتغيرات من تحولات جذرية في النظام الدولي بانتهاء شكله القديم وهو ثنائي القطبية وتحوله إلى شكل جديد، اختلف معظم المحللين في ماهية النظام السياسي الجديد، فهناك من

[2] زرنوقة 1997: 71.
[1] زرنوقة 1997: 72.

قال انه أحادي القطبية بقيادة الولايات المتحدة، وهناك من رأى انه شكل جديد من نظام متعدد الأقطاب القائم على توازن القوى بين الدول الكبرى في النظام الدولي.

تناولنا أيضا جدلية استمرارية وتوسع الناتو في ظل هذه المتغيرات الجديدة، حيث يعتبر الناتو من أكثر القضايا جدلا على الساحة الدولية بعد انتهاء الحرب الباردة، تطرقنا إلى الأسباب والتحديات التي فرضت ضرورة توسع الناتو بعد انتهاء الحرب الباردة، وتحدثنا عن الأسباب والتحديات التي فرضت توسع الناتو بعد انتهاء الحرب الباردة، كما تناولنا العديد من الآراء المختلفة من تأييد ومعارضة لتوسع الناتو، وأخيرا بعض الوظائف الجديدة التي اكتسبها ناتو ما بعد الحرب الباردة.

من خلال الحديث عن توسع واستمرارية الناتو، تم ذكر الأهداف التي تسعى الدول الغربية لتحقيقها من تأييدها لتوسع واستمرارية الناتو، كما فرض علينا سياق الموضوع الدخول ولو بشكل غير مباشر إلى بعض الإشكاليات التي ظهرت في العلاقات الأمريكية الأوروبية حول موضوع استمرارية الناتو والتحديات الجديدة التي فرضتها البيئة الأوروبية ذات المميزات الجديدة بعد انتهاء الحرب الباردة، على موضوع استمرار الناتو وبالتالي على طبيعة العلاقات الأمريكية الأوروبية.

سوف نحاول في هذا القسم الأخير من الفصل تقديم تحليل لموضوع العلاقات الأمريكية الأوروبية، حيث رأينا شكل هذه العلاقات في ظل نظام دولي معين وهو نظام ثنائي القطبية، وفترة الحرب الباردة واستطعنا إيضاح أهم ميزات هذه العلاقة.

أما في هذا الفصل، سنحاول تلخيص كل التغيرات التي حصلت على طبيعة العلاقات الأمريكية الأوروبية بتغير النظام الدولي وانهيار الاتحاد السوفيتي، فنحن نعلم أن الضابط لهذه العلاقات كان لفترة طويلة هو الاتحاد السوفيتي وتهديده للأمن الأوروبي والأمريكي، حيث هناك عدو مشترك وبالتالي هناك علاقات مميزة بين الطرفين بناء على وجود هذا العدو، وحتى وان كان هناك اختلاف في وجهات النظر فانه لم تكن لتبرز بسبب أولوية التصدي للاتحاد السوفيتي، ولكن بعد انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتي واختفاء هذا العدو المشترك لا بد أن متغيرات جديدة ستطرح نفسها بقوة على طبيعة العلاقات لاسيما الأداة المشتركة لمقاومة السوفييت وهي حلف الناتو وما يفرض استمراره من مستجدات على طبيعة العلاقات الأمريكية الأوروبية.

- العلاقات الأمريكية الأوروبية بعد انتهاء الحرب الباردة:

من الواضح انه من الصعب الحديث عن العلاقات الأمريكية الأوروبية بالتحديد الذي

نتوقعه من خلال العنوان، حيث كما لاحظنا أن الحديث أصلا عن حلف الناتو وعن التغيرات الحاصلة على النظام الدولي بعد انتهاء الحرب الباردة، هو في الأساس يعني الحديث بشكل غير مباشر عن العلاقات الأمريكية الأوروبية، وكما نلاحظ فان حلف الناتو في هذه الأطروحة يعتبر الناظم الرئيسي لهذه العلاقات الأمريكية الأوروبية التي مرت في العديد من التغيرات، بداية بانتهاء الحرب العالمية الثانية وبروز نظام دولي جديد اعتمد على نظام ثنائي الأقطاب وبروز طابع مميز من العلاقات الأمريكية الأوروبية التي شكلها بالأساس مواجهة عدو مشترك، وكذلك استراتيجية سياسية أمريكية جديدة في ظل هذا النظام الدولي الجديد.

انتهت هذه الحقبة، وبالتالي لا بد أن يكون هناك تغير على هذه العلاقات بناء على تغير معطيات النظام الدولي الجديد، المتمثل في انهيار الاتحاد السوفيتي، وانتهاء الحرب الباردة.

اتخذت العلاقة الأمريكية الأوروبية تاريخيا في حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية شكلا تحالفيا مصلحيا على خلفية بروز الاتحاد السوفيتي أي المشروع الشيوعي "الستاليني" كمنافس أيدلوجي واستراتيجي لبقية دول الحلفاء آنذاك المتشابهة في سياقات سياسية واقتصادية رأسمالية، الشكل التحالفي للعلاقة بين الطرفين لم يكن متوازنا منذ البداية ولم يقم على قاعدة الندية المتكافاة، بل على اعتراف أوروبي عميق بان اليد الطولى في ذلك التحالف كانت الولايات المتحدة، وذلك جراء دخولها الحرب إلى جانب الحلفاء في نهاية الحرب وإلحاق الهزيمة بألمانيا "الهتلرية" بدءا بالإنزال على شواطئ النورماندي وانتهاء باحتلال

برلين، ولان الاتحاد السوفيتي كان قد قام بدور لا يقل أهمية عن الدور الأمريكي في إيقاف المشروع النازي على الجبهة السوفيتية، ولأنه مني بالخسائر المادية والبشرية الأضخم، ولان التدخل الأمريكي كان قد أنقذ الجبهة الأوروبية الغربية بعيدا عن المعارك الكامنة مع الجيش السوفيتي، فان هذا الأخير لم يشعر بالدونية التي شعرت بها أوروبا الغربية إزاء الولايات المتحدة، وتحكمت في شكل العلاقة معها خلال عقود الحرب الباردة التي تلت نهاية تلك الحرب، ووصولا إلى بداية عقد التسعينات من القرن العشرين حين انهار الاتحاد السوفيتي.[1]

هذه المقدمة ضرورية بعض الشيء لفهم الطبيعة التراتبية للعلاقة التحالفية على ضفتي الاطلسي، حيث بقيت الولايات المتحدة منذ ذلك الحين تلعب دور المسيطر في هذه العلاقة وتحدد عناصرها الرئيسية وتوجهاتها واستراتيجيتها، وبقيت أوروبا تشعر بالدونية تجاه ذلك امريكا، ورغم أن السياسة الخارجية الأوروبية تميزت هنا أو هناك عن نظيرتها الأمريكية، إلا أن السياق العام للسياسيتين بقي واحدا ويشير إلى نفس الاتجاه فالاختلاف كان في التفاصيل.

هذا من جانب، أما الجانب الآخر فإننا نرى انه على الصعيد الأوروبي الداخلي ورغم انتظام تدرج التكامل الأوربي في حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية في سلسة من مراحل متلاحقة على نحو قدم نموذجا في آليات وعمليات التكامل الإقليمي خاصة على الصعيد الاقتصادي، إلا أن المنطقة الضعيفة في المشروع الأوروبي التكاملي ظلت تكمن في العجز

[1] الحروب، خالد .2002. "الولايات المتحدة وأوروبا بعد 11 سبتمبر: تعزيز الانفرادية الأمريكية والتهميش الأوروبي"، **شؤون عربية** 111: 41.

على تبني سياسة خارجية وأمنية مشتركة، فالتعاون الاقتصادي التي كانت الأطراف الأوروبية الأم، فرنسا، ألمانيا، أسبانيا، إيطاليا، وبريطانيا تلتقي عليه، لم يكن يوازيه تعاون أوروبي خالص في مجالي الدفاع والسياسة الخارجية، حيث يقصد التعبير "أوروبي خالص" وهو تعاون ذي أهداف ودوافع وأجندات أوروبية محضة بعيدة عن العلاقة الدونية مع الولايات المتحدة، التي صاغت سياسة الأمن والدفاع لغرب القارة الأوروبية وعنه وخلال الحرب الباردة.

كثيرا ما تعارضت السياسات الخارجية للبلدان الأوروبية كل على انفراد، المشكلة للاتحاد الأوروبي وللمجموعة الأوروبية قبل قيام الاتحاد وكان من الصعب على الدوام الوصول إلى سياسة موحدة إزاء القضية الخارجية، ولكن هذه المسالة لم تكن ملحة خلال سنوات الحرب الباردة، إذ أن الاستحواذ الأكبر على القادة السياسيين الأوروبيين في تلك الحقبة كان مواجهة الخطر الشيوعي الواقع على الحدود الشرقية لتلك الدول، متمثلا في الاتحاد السوفيتي والكتلة الاشتراكية، ولكن الإلحاح على مسالة وجود سياسة خارجية ودفاعية أوروبية متميزة على نظيرتها الأمريكية برز بشكل أكثر حدة بعد انتهاء الحرب الباردة، والتفات الحلفاء الغربيين إلى بعضهم البعض وفتح الملفات القديمة التي كانت المواجهة مع الاتحاد السوفيتي قد أجلتها. [1]

في سياق هذه التطورات والالتفات الجديد، تطورت أفكار وتوجهات أوروبية تدفع

[1] الحروب 2002: 42.

للتميز عن الحليف الأمريكي المهيمن، وتعيد النظر في جدول الأولويات الأوروبية بحسب المصالح الأوروبية نفسها، واهم هذه الأفكار كانت أطروحة الهوية الأوروبية لحلف الأطلسي "أوربة" الحلف ومحاولة تقاسم السيطرة عليه مع الولايات المتحدة التي اعتادت أن تتحكم في الحلف بحسب أولويات واستراتيجيات السياسة الأمريكية نفسها، وهذه الفكرة هي نفسها التي ركز عليها "هنري كيسنجر" في كتابه "هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية".

حظي بعد ذلك الاتحاد الأوروبي في السنتين الأخيرتين بخطوة مهمة باتجاه سياسة خارجية موحدة للاتحاد، عن طريق تعيين مفوض خاص بالعلاقات الخارجية ينطق باسم المفوضية الأوروبية وكان "خافيير سولانا" الأسباني الاشتراكي، هو أول من تسلم هذا المنصب.

لكن الانفكاك الذي وفرته نهاية الحرب الباردة لأوروبا الغربية من سيطرة الولايات المتحدة، والفرصة التي تبنت بروز أقطاب دولية تدفع باتجاه عالم متعدد الأقطاب، سرعان ما فشلت أمام حقائق ليست جديدة بالمطلق، لكن ظهرت ملامحها أكثر حدة ووضوحا من ذي قبل، أهمها تفوق القوة الأمريكية على الأصعدة العسكرية والسياسية والاقتصادية والإعلامية، بما أتاح لها إمكانية التفرد في فرض أجندتها على الحلفاء الأوروبيين، لكن على قواعد أخرى فهذه المرة لم يكن مطلوبا من هؤلاء الحلفاء أن يوافقوا واشنطن على كل سياساتها، لكن القواعد كانت مختلفة واضحة في تحديد قدراتهم، إذ أعطتهم هامشا وحرية عدم الموافقة، ولكنها في الآن ذاته حرمتهم من التأثير العملي على مجريات الأحداث الكبرى، بل

واستثمرت عجزهم وضخمته وأشعرتهم بالعجز والقصور الذاتي، خاصة في حروب البلقان التي لم تنته إلا بالتدخل الأمريكي، وقد تطرقنا إلى هذا الموضوع في أكثر من مرة في هذه الأطروحة.

هذا العجز الأوروبي إزاء مواجهة الأزمات التي تنشب في فضائها الجغرافي، هـــو الحقيقة التي كشفتها أو أبرزتها نهاية الحرب الباردة، فأوروبا القوية اقتصاديا ضعيفة سياسيا ومترددة، وعندما تقرر في شان ما، فهي تفعل ذلك وهي تدير رأسها إلـــى ناحيـــة الغـــرب تتوجس رد الفعل الأمريكي أو تنتظره.

هناك من يملك رأيا خاصا بدور الاتحاد الأوروبي، بشكل عام في رسم ملامح طبيعة العلاقات الأمريكية الأوروبية، حيث يمكن القول انه في هذه الأيام وعند الحديث عن السياسة الخارجية الأمريكية، وخاصة تجاه القارة الأوروبية وفي ظل المفاجآت التي حققها الاتحاد الأوروبي، يرى معظم المحللين أن اقرب شيء إلى الند تواجهه الولايات المتحدة في بداية القرن الحادي والعشرين، فعلى الرغم من أن الاقتصاد الأمريكي اكبر بأربع مرات من اقتصاد ألمانيا، التي هي اكبر بلد أوروبي، فان اقتصاد الاتحاد الأوروبي يكاد يعادل في حجمه اقتصاد الولايات المتحدة، أما سكان الاتحاد الأوروبي فإنهم أكثر عددا من سكان الولايات المتحدة بكثير، كما أن حصته من الصادرات العالمية اكبر كذلك، وسوف تتزايد هذه النسب إذا توسع الاتحاد الأوروبي كما هو مخطط ليشمل دول أوروبا الوسطى على امتداد السنين القادمة، وأوروبا تصرف على الدفاع ثلثي ما تنفقه الولايات المتحدة، ولديها رجال

تحت السلاح أكثر من أمريكا.[1]

أما المسالة الهامة في تقييم التحدي الذي يشكله الاتحاد الأوروبي، هي إذا ما كان سيطور اتحادا سياسيا واجتماعيا وثقافيا كافيا لجعله يتصرف كوحدة واحدة حيال سلسلة واسعة من القضايا الدولية، أم انه سيظل تجمعا محددا لبلدان ذات نزعات قومية وسياسة خارجية شديدة الاختلاف، لقد كانت عملية توحيد أوروبا عملية بطيئة ولكنها مطردة على امتداد نصف قرن، ولقد أضافت ضغوط العولمة إلى الحوافز لتقوية مؤسسات أوروبية إقليمية.

لقد استطاع الاتحاد الأوروبي فعلا أن يحد من القوة الأمريكية، وفي مسائل التجارة والنفوذ داخل منظمة التجارة العالمية، حيث تقف أوروبا ندا مساويا للولايات المتحدة.

بالمقابل إن أوروبا تواجه قيودا هامة على درجة وحدتها، فالهويات القومية تبقى أقوى من الهوية الأوروبية المشتركة رغم مرور خمسين سنة من الاندماج، كما أن المصالح القومية لا تزال لها أهميتها رغم أنها مكبوتة بالمقارنة مع مكانتها في الماضي، ولقد ظلت عملية الاندماج تسير على مدى سنوات بفعل آلة التعاون الفرنسي الألماني.

من جانب آخر إن التوسع المستمر للاتحاد الأوروبي ليشمل أوروبا الوسطى، يعني انه من المحتمل أن تظل المؤسسات الأوروبية نسيج وحدها، غير أن تميل إلى الجانب

[1] ناي، جوزيف. 2003. **مفارقة القوة الأمريكية: لماذا لا تستطيع القوة العظمى الوحيدة في العالم أن تمضي وحدها**، ترجمة محمد البجيرمي، الرياض: مكتبة العبيكان، ص 75.

الكونفدرالي بدلا من الجانب الفيدرالي.[1]

أما بخصوص إذا ما كان الاتحاد الأوروبي آخذا في التحول إلى دولة، هناك تلخيص آتى به" اندرو مورامسيك" فقال " يفضل معظم المراقبين المحللين أن يتحدثوا عن سياسة عصر ما بعد الحداثة التي تحكم فيها أوروبا إلى جانب الحكومات وليس كبديل يحل محلها ".

أما الجانب المتعلق بمسالة إذا ما كان الاتحاد الأوروبي سيصبح متحديا عالميا للولايات المتحدة، فهو يرتكز على طبيعة الارتباطات عبر المحيط الأطلسي، فالبعض يتنبأ بتآكل متواصل للعلاقات، ويستشهد "ستيفين والت" بأسباب جدية لذلك من أهمها، عدم وجود تهديد مشترك يقلل من تماسك التحالف، فحجم متاجرة الولايات المتحدة مع آسيا أكثر من متاجرتها مع أوروبا بمرة ونصف، وهناك خلافات ثقافية متنامية بين طبقات النخبة على جانبي الأطلسي مع تغيير الأجيال.

من جهة أخرى فان التقارير عن الخلافات عبر الأطلسي كثير ما تكون مبالغا فيها، فقبل عقد من الزمن أعلن بعض الواقعيين أن حلف شمال الأطلسي قد انتهى، وتنبؤا أن ألمانيا ستضعف ارتباطها بأوروبا وتتحالف مع روسيا، واليوم لا يزال حلف شمال الأطلسي يقدم ضمانة ضد تحول روسيا إلى خطر سلطوي، ويضمن اندماج الألمان في مجال دفاعي أوسع يجتذب الألمان أنفسهم ويبقي ارتباطا شعبيا مؤسسيا مع أوروبا في الولايات المتحدة.[1]

بالإضافة لذلك يقدم ضمانا ضد نشوء تهديدات جديدة في البلقان، والبحر المتوسط،

---

[1] ناي 2003: 77.

[1] ناي 2003: 78.

والشرق الأوسط، وهو ضمان لا تقدر عملية القدرات المتواضعة لقوة رد الفعل السريع الأوروبي.

أما على الصعيد الثقافي، عندما نتحدث عن العلاقات الأمريكية الأوروبية فان كلا الجانبين ظل يطلق الانتقادات على الجانب الآخر ويعجب به أكثر من قرنين، ثم إن الاحتكاكات المحتومة تظهر ببعض الطرق تقاربا وليس تباعدا بين الجانبين، وكما قال "كارستن فويغت" السياسي الألماني الكبير" لقد صار التميز بين السياسة الخارجية والمحلية باهتا مع استمرار مجتمعاتنا بالتداخل، ولذلك راحت تصعد إلى السطح قضايا عاطفية كالطعام المهندس وراثيا، أو الطريقة التي نعامل بها أبناء حالات الطلاق الدولية، وبشكل ما فان السياسة الخارجية كانت أسهل عندما كانت تتعامل مع المصالح بدلا من العواطف والأخلاق".

وعلى نفس الصعيد الثقافي، يرى "ايمانويل تود" بأنه لا يمكن القول أن كل قوى الفصل بين أمريكا وأوروبا هي اقتصادية، حيث يلعب البعد الثقافي دورا من غير أن يكون ممكنا التمييز بوضوح بين الاقتصاد والثقافة، وتنتشر في أوروبا قيم الادرية angnosticime" " والسلام والتوازن، وهي قيم غريبة عن المجتمع الأمريكي.[2]

وفي سياق هذه العلاقة (عبر الأطلسية) الملتبسة بين الولايات المتحدة وأوروبا، كان لبريطانيا دور مركزي على الدوام لجهة قوة إحدى ضفتي المحيط ضد الضفة الأخرى، وكانت على الدوام الضفة الغربية، ولان الفعل البريطاني كان وما زال هو أمريكي، فان

[2] تود، ايمانويل. 2003. **ما بعد الامبرطورية: دراسة في تفكك النظام الأمريكي**، ترجمة محمد إسماعيل. بيروت: دار الساقي، ص 197.

أوروبا كانت وما زالت ضعيفة أمام الولايات المتحدة وبريطانيا البراجماتية من ناحية، والنافرة من أوروبا من ناحية أخرى، ترى أن التحالف مع واشنطن هو اقصر الطرق للإبقاء على نفوذ ودور عالمي ويقوي بريطانيا نفسها في مواجهة حلفائها وخصومها الأوروبيين، بمعنى آخر فان بريطانيا بدت كأنما هي التكافؤ الأوروبي الأمريكي، فهي الحليف الأقرب للولايات المتحدة أول من يؤيد، آخر من يعارض.

- أهم المدارس الأمريكية التي تحدد طبيعة العلاقة الأمريكية الأوروبية:

على الصعيد الأمريكي الداخلي هناك ثلاث مدارس بشكل مجمل تنازعت السياسة الأمريكية طوال القرن العشرين وحكمتها سواء تجاه خصومها أو حلفائها وفي مقدمتهم أوروبا الغربية.

فهناك مدرسة تعددية الأطراف، والمدرسة الانعزالية، وأخيرا الانفرادية، البوصلة في هذه المدارس على اختلاف توجهاتها هي تحقيق المصلحة القومية الأمريكية، فالمدرسة التعددية نزعت إلى تحقيق تلك المصلحة من خلال التعاون مع الدول الأخرى في العالم الكبرى، بالطبع بما ينسجم أو لا يتصادم بشكل واضح مع مصالح تلك الدول، وآخر تعبيرات هذه المدرسة كانت إدارة الرئيس "بيل كلينتون" التي انخرطت في سياسة دولية تعددية الأطراف، واشتركت بفاعلية في السياسة الدولية، وبسبب ذلك فقد كانت محط انتقاد دائم من قبل الجمهوريين وتيارات اليمين.

أما فيما يخص المدرسة الثانية وهي المدرسة الانعزالية، فقد آمنت بان مصلحة الولايات المتحدة تكمن في الانكفاء على الذات وعدم التورط في الشؤون الدولية والنزاعات وسوى ذلك، والانكباب على الاهتمام بالداخل الأمريكي وتطويره، وكانت هذه المدرسة في عشرينيات القرن الماضي هي المسئولة عن إحباط مشروع عصبة الأمم السابق للأمم المتحدة، بسبب عدم موافقة الكونغرس على المصادقة على المشروع الذي اقترحه الرئيس الأمريكي في ذلك الوقت

"ويدرو ولسون"، فأنصار هذه المدرسة يرون انه ليس من واجب الولايات المتحدة حل مشكلات العالم، وان التورطات الزائدة عن الحاجة تسبب الكثير من الأزمات والإنفاق، وسوى ذلك مما لا تحتاج إليه الولايات المتحدة.[1]

أما المدرسة الثالثة فكانت المدرسة الانفرادية، وهي نهج يجمع أسوا ما في المدرستين السابقتين، فهي من ناحية تؤمن بان لا مناص للولايات المتحدة عن الانخراط في السياسة الدولية وبكل قوة واتساع، لان تحقيق المصالح القومية الأمريكية لا يتم بالانعزال عن العالم، ولكنها في نفس الوقت تسعى إلى تحقيق ذلك عن طريق فرض رؤاها الخاصة ومن دون التعاون مع دول العالم الأخرى، سواء المتنافسة معها كالصين وروسيا أو الحليفة لها كالاتحاد الأوروبي واليابان، والإدارة الحالية للرئيس "جورج بوش" الابن، هي أفضل مثال على هذا النهج الانفرادي الذي يقوم على تحديد الأهداف والاستراتيجيات الأمريكية الخاصة والمطلوب

[1] الحروب 2002: 44.

تحقيقها خلال مرحلة ما، ثم الانطلاق دوليا وخارجيا لتطبيقها وإنجازها، وعدم الاهتمام بالمعارضات التي تبديها الدول الأخرى.[1]

هذا الرأي هو أيضا ما أكد عليه "ايفو دالدر" حيث اعتبر أن العقد الماضي عقد تغيير سياسي عميق، فقد انهار الاتحاد السوفيتي من جراء ثقله الداخلي، ومع ذلك الانهيار تحررت بلدان ظلت طويلا رهينة قبضة الاستعمار الشيوعي الإمبريالي، وبرزت الولايات المتحدة كبلد قوي بشكل فذ وفريد، وتمتلك مزيجا من القوة العسكرية والاقتصادية والثقافية والسياسية، كما دخلت أوروبا مرحلة سياسية جديدة من التكامل والاندماج آخذة في التغيير من مجموعة دول ذات سوق مشتركة، إلى كيان يملك الكثير من المقومات المهمة للسيادة.

وبالتالي تمثل التغيرات السياسية مجتمعة تحولا عميقا للأساس الهيكلي للبيئة الأمنية الأوروبية، فقد استنتج بعض دارسي العلاقات بالدولية أن هذه التغيرات ستعني نهاية مؤسسات أوروبا، وهي لا تشمل حلف وارسو المنتهي بل كذلك منظمة حلف شمال الأطلسي (الناتو) وحتى الاتحاد الأوروبي، وبل ذهب آخرون إلى ابعد من ذلك فقد تنبأوا بعودة التنافس البيني الأوروبي وزيادة إمكانية النزاع والحرب وانتشار التسلح النووي بسرعة.[1]

ولكن أثبتت هذه التنبؤات أنها كانت خاطئة وبدلا عن الوقوع ضحية الوهن، فان أعضاء حلف الناتو تكيفوا مع البيئة الأمنية الجديدة بسرعة فحولوا الحلف بسرعة من حلف للدفاع الجماعي عن أرضه إلى حلف للأمن الجماعي لأوروبا كلها، وأثناء تسعينيات القرن

[1] الحروب 2002: 45.

[1] الحروب 2002: 45.

العشرين صار الناتو حلفا متحولا يشمل مفاهيم استراتيجية جديدة للتعامل مع التهديدات المعادية للسلام والاستقرار في جميع أنحاء أوروبا مع أعضاء وشركاء جدد لتوسيع نطاقه السياسي وصلته في الأمور ومع تراكيب جديدة لتلبية رغبة أوروبا للحصول على صوت ودور اكبر في شؤون الحلف.[2]

ومع ذلك وعلى الرغم من هذا النجاح الرائع، فان هناك دلالات على وجود حالات من التوتر المتزايد في العلاقة الأمريكية الأوروبية، فبينما كانت العلاقة عبر الأطلسي تقف في مركز السياسة الخارجية للولايات المتحدة وأوروبا معا، فان الأمور لم تعد كذلك فالأولوية عند أوروبا هي تعزيز الاتحاد وتوسيعه شرقا، وعلى عكس ذلك فان آسيا ونصف الكرة الغربي هي أولويات واشنطن الإقليمية، هناك مصدر آخر للتوتر وهو التباعد المتزايد بين المواضيع الواردة على راس جدولي الأعمال لكل من الولايات المتحدة وأوروبا على التوالي، فواشنطن تركز بشكل ضيق على مصادر جديدة للتهديدات الأمنية، بينما تقلق أجزاء كبيرة في أوروبا حول تحديات العولمة، مثل التغير المفاجئ والهجرة والتغير والأمراض المعدية...الخ، نتيجة لهذا التباعد في هذه القضايا التي يركز عليها كل من الطرفين من جهة، وبسبب التباين في قوتهما من جهة أخرى فان كلا من الولايات المتحدة وأوروبا تميلان إلى مقاربة السياسة الخارجية بطريقتين مختلفتين.

فواشنطن تميل إلى إتباع طريق أحادي الجانب، بطريقة تكاد تكون مسالة تفضيل، أما

[2] دالدر، ايفو. 2002." هل تتجه الولايات المتحدة وأوروبا إلى الطلاق"، ترجمة محمد البجيرمي، **الثقافة العالمية** 114: 14.

أوروبا فهي مرتاحة أكثر بكثير في الاعتماد على المقاربة الجماعية والنتيجة الصافية لهذه الاختلافات هي توتر متنام في العلاقة. [1]

هذه كانت إحدى وجهات النظر في طبيعة العلاقات الأمريكية الأوروبية السائدة في فترة ما بعد الحرب الباردة.

من جانب آخر وبناء على ما سبق وبالنظر إلى الوراء، نجد بان اعتداء يلح على الأمريكيين ويدفعهم إلى اتهام السلوك الأوروبي في أعقاب الحرب الباردة بأنه سلوك اتكالي ، وحقيقة فان بعض الأمريكيين قد عبروا فعليا عن مثل تلك المزاعم خلال التسعينات وما زالوا يعبروا عنها إلى اليوم وخاصة في ضوء التخفيضات الكبيرة في الميزانيات العسكرية الأوروبية، وفي ضوء عدم تحقيق الأوروبيين تقدما يذكر باتجاه تنمية قدرات عسكرية محدودة تسمى

(قدرات العمليات المشتركة) من شانها تمكين الجيوش الأوروبية المتحالفة من خوض الحروب معا في بيئة حافلة بالمعلومات والأنشطة الاستخبارية.

وكذلك ومن وجهة النظر الأمريكية البحتة وفي ضوء الفشل الجماعي الأوروبي في المشاركة في تحمل الأعباء والتكاليف، حتى عند شن الحرب الجوية على "كوسوفو عام 1999 " رغم أن ذلك الصراع كان يدور في قلب أوروبا، وانه بالتالي كان يمس المصالح الأوروبية في الصميم.[1]

---

[1] دالدر 2002: 15.

[1] سوتير 2004:142.

هذه وجهة النظر الأمريكية في أوروبا والتي تكررت في أكثر من مرة، حيث نجد في مقالة " مارتن وولكر" تعبير لوجهة النظر الأمريكية بالشريك الأوروبي، التي ترى بأنه لا يمكن اعتبار الأوروبيين شريك ذا قيمة، فهم لا ينفقون كثيرا على الدفاع، ويحصلون على قوة عسكرية اقل مقابل هذا الإنفاق.[2]

إن إصدار حكم شديد السلبية كهذا على أوروبا كفيل بان يخفي عن أعيننا بعض العوامل الإضافية، مما لا شك فيه انه من حيث تحمل مسؤوليات إدارة وتسيير أوضاع الاقتصاد العالمي، فان الدول الأوروبية الكبرى ودول الاتحاد الأوروبي، ككل كانت وما زالت تلعب دورا بالغ الأهمية والفاعلية يتناسب منطقيا مع الوزن الاقتصادي لأوروبا حول العالم، كما أن أوروبا لم تتقاعس أبدا عن التصدي للتحديات غير العسكرية المترتبة على ظاهرة العولمة الصاعدة مثل تحديات التلوث البيئي وانتقال الجرائم المنظمة عبر الحدود وانتشار الأمراض الفتاكة، وبنظرة أكثر موضوعية فان الدور الأوروبي في التصدي لتحديات العولمة كان يسهم أيضا في رسم معالم جبهة المعركة المستقبلية وذلك على أساس أن الدور الأوروبي أسهم بشكل مباشر وغير مباشر في خفض الاحتمال بعيد المدى لنشوء الصراعات في أجزاء عدة من العالم.

وبالتالي فانه عند الحكم على الإسهامات الأوروبية في تحقيق الأمن الإجمالي للغرب، وفي زيادة قدرة الغرب في تعبئة أدوات القوة اللازمة لتحقيق ذلك الهدف الأمني، فان كثيرا

[2] وولكر، مارتن. 2002. " أوروبا أزمة وجود "، ترجمة الترصوني، الثقافة العالمية 111: 142.

من المحللين الخارجيين يميلون أيضا إلى تجاهل أو التقليل من أهمية النظام السياسي الدولي الأوروبي بحد ذاته، ذلك النظام المتسم بدرجات عالية بشكل كاف من الضخامة والتعقيد الفخامة والحداثة والتداخل والإنتاجية والتطور في أبعاده، كافة لدرجة أن مجرد الأداء السلس والفعال لذلك النظام، هو في حد ذاته أمر ذو أهمية وحيوية كبيرتين بالنسبة للأوضاع السياسية والأمنية والاقتصادية حول العالم بما فيه الولايات المتحدة.[1]

أما حسب وجهة النظر الأمريكية، ترى بأنه هناك عدة تطورات أدت إلى ازدياد العداء الجديد نحو الأوروبيين، وقد بقي الرأي العام الأمريكي متأرجحا فيما يخص مدى المساهمة التي على الولايات المتحدة الأمريكية أن تبذلها في سبيل مشروع الاندماج الأوروبي، حيث تزداد خشية الأمريكيين من إن يساهموا في خلق منافس دولي حقيقي، ويعود الشك في الأوروبيين إلى الطبيعة الأمريكية التي تميل إلى المبالغة المفرطة في التحليل والجدل السياسي، والحق أن أمريكا تعاني من نقص في المعلومات والخبرة فيما يخص الأوضاع الأوروبية، حيث يتركز اهتمام الإعلام الأمريكي على التغطية المحلية والقصص الإنسانية والأجيال الأمريكية الأولى التي وصلت إلى أوروبا، وساهمت في تأليف الكتب الأولى عن القارة الأوروبية لتتناولها الأجيال، ومع ذلك يبقى للنخبة الأمريكية تصور معين حول التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الخاص بأوروبا، فكلما اتجهت أوروبا خطوة نحو الاندماج تواجهها التحذيرات الأمريكية حول خطر هذا الاندماج على المصالح الأمريكية

[1] سويتر 2004: 119.

وحتى على الأوروبيين أنفسهم، ويدعو "بريجنسكي" إلى أقامة اتحاد أوروبي أكثر اتساعا، ولكن أكثر ضعفا، والى توسيع نطاق التأثير الأمريكي وعدم اللجوء إلى خلق أوروبا مندمجة سياسيا بحيث تشكل تهديدا للمصالح الأمريكية في المناطق ذات الأهمية الجيوبوليتيكية ولا سيما الشرق الأوسط.

وفي كل مرة عندما تتراجع خطوات الوحدة الأوروبية، تقوم الولايات المتحدة الأمريكية بإلقاء اللوم على الدول الأوروبية التي ليس لها حظ ولا تملك الإدارة.[1]

هذه كانت إحدى وجهات النظر في طبيعة العلاقات الأمريكية الأوروبية في عالم ما بعد الحرب الباردة، حيث هناك العديد من الخلافات والمشاكل المرشحة أن تظهر على السطح في أي وقت.

أما المقالات التي تخصصت في عرض أسباب التباعد في العلاقات الأوروبية والأطلسية، فهي ترى أن المسبب لتوترات في العلاقات الأمريكية الأوروبية، يتعلق بالمواضيع الآخذة في التباعد بازدياد على جداول أعمال الجانبين، فعند الولايات المتحدة إن السياسة الخارجية الأمريكية تهتم أولا بالتهديدات سواء كانت تقليدية أم تهديدات جديدة ناجمة عن انتشار أسلحة الدمار الشامل، والقوى المتنامية للمجموعات الإرهابية وانكشاف المجتمع الأمريكي للهجوم المباشر آخذا في التزايد.

أما عند أوروبا فالسياسة الخارجية أوسع بكثير، فهي تشمل معالجة التهديدات الفعلية

[1] دجاني، ريم. 1999. " أوروبا أمريكا: سوء تفاهم أم بداية صراع الإدارات "، **معلومات دولية** 60: 234.

للأمن الإنساني، كما ذكرناها سابقا نتيجة الأمراض والطقس غير المعتدل وما إلى ذلك.

وبالتالي فان هذا التضاد بين جدولي أعمال السياسة الخارجية الأمريكية والأوروبية واضح للعيان ويزداد بروزا، فبينما تركز الولايات المتحدة على تقليص نقاط ضعفها المكشوفة إلى أدنى حد ممكن، وعلى التصدي للدول المارقة، فان هم أوروبا هو بناء عالم أفضل عن طريق التغلب على التحديات المتعددة للرفاهية العالمية وتدبير عواقب الدول الفاشلة.[1]

ويمكن تلخيص أجندة الخلافات الأمريكية الأوروبية بأنها طويلة ومتنوعة، وتزداد تعقيدا في ظل الإدارة الأمريكية الحالية إدارة "جورج بوش الابن" التي تعتقد أن ما تراه بشأن السياسة الدولية هو وحده الصواب، وأنه ليس على الآخرين من حلفاء وخصوم إلا التسليم والإتباع.

فرغم اتساع هذه الأجندة، إلا أن مطالعتها يجب أن لا تقود إلى أي استنتاج متسرع بأن هذه الأجندة حادة أو ندية، فهي تتشكل وتتبدل في سياق التراتبية السياسية التي تقدم الولايات المتحدة كيد طولى تلحقها الأطراف الأخرى.

تبدأ هذه القضايا بافتراق في النظرة إزاء الأولويات الإستراتيجية، ثم تنزل درجة لتشمل ملفات اقتصادية وسياسية كبيرة، وتمتد جغرافيا لتصل إلى شرق أوروبا والشرق الأوسط وأفريقيا.

---

[1] دالدر 2002: 80.

وفي خضم الافتراق في المصالح والاهتمامات، تشتعل التنافسات بأنواعها السياسية للوصول إلى إيران والعراق، والحصول على العقود التجارية والتحالفات السياسية البعيدة المدى، إلى التنافسات المالية سواء بين اليورو والدولار، إلى الثقافية بين عولمة أمريكية وعولمة عالمية تطالب بها أوروبا، فالخلافات حول قضايا التجارة أو المؤسسات الدولية، وحول استخدام القوة العسكرية والعديد من القضايا الأخرى، تشكل من جديد فترة من أجواء التحدي في العلاقات الأمريكية – الأوروبية، والدليل الأكبر على ذلك هو النمو المتزايد للوحدة الأوروبية مما يضع بعض علامات التساؤل على التحالف التاريخي بين أمريكا وأوروبا.[1]

أما أطلسيا وعالميا، فان أجندة الخلافات تبدأ من الاحتكاك الخفيف حول النظرة الأمنية لمستقبل التعاون الأطلسي، بما يتضمنه من تعميق السيطرة الأمريكية على الأمن عبر الأطلسي المتمثل في الناتو أو بروز هوية أمنية أوروبية متميزة سواء داخل الناتو أم على هامشه.

أجندة الخلافات هذه تمتد وتأخذ شكلا احتكاكيا أشد على الجبهات، مثل تأسيس المحكمة الجنائية الدولية، وإصرار الولايات المتحدة على استثناء قواتها العسكرية من أية ملاحقات قضائية، وان تكون دولة فوق القانون، وأخطر من ذلك وأهم، هو الخلاف الصامت الآن حول ما يسمى بالحرب ضد الإرهاب، فأوروبا لا تريد توسعة هذه الحرب أولا، وهي

---

[1] Carr, Nathan. **The U. Sand Europe: toward sustainable foreign policy** www. glbaleng age. Org/isues/2003 (accessed apr 14, 2005)

غير مقتنعة بكل الأهداف التي تضعها لها أمريكا، وثانيا هي منزعجة من الانفرادية الأمريكية في تحديد كل الخطوات، وبذات القدر من الأهمية تبرز الأزمات الاقتصادية ضمن فرض الولايات المتحدة ضرائب إضافية على صناعات الصلب الأوروبية، إلى الإخلال بقوانين منظمة التجارة العالمية عبر الدعم الحكومي لقطاعات التجارة والصناعة الأمريكية، أو عبر تكريس بعض السياسات الحمائية غير المباشرة وانتهاء بالصداقة العدائية التي تتزايد استحكاما بين اليورو والدولار.

وهكذا فان عالم اليوم يواجه بما فيه أصدقاء وحلفاء أمريكا معضلة التعامل مع السياسة الأمريكية، فهي من ناحية تمثل أضخم قوة دولية، وبشكل لا يمكن تجاهلها أو العمل بعيدا عنها، ولكن من ناحية أخرى فان نظرتها إلى العالم وتعاملها مع قضاياه من خلال مفاهيم بسيطة وتأكيد القوة، من شأنه أن يجعل العالم أكثر تعقيدا ويتفاقم مع المشكلات القائمة، و حتى أصدقاء الولايات المتحدة وحلفائها ليس أمامهم في التعامل مع هذه المعضلة إلا أسلوب التشاور الدائم مع الإدارة الأمريكية والنصح والاقتناع والعمل على تغيير مفاهيمها.

وفي داخل الحياة السياسية والفكرية الأمريكية، ورغم ما يبدو من أن التيار السائد حتى الآن هو التيار اليميني والمحافظ والمتبني والمنفذ لأسلوب التعامل مع القضايا الدولية من خلال القوى والأجهزة وفرض الاختبارات الأمريكية، إلا أن أراء جديدة بدأت ترى أن القوة الأمريكية الراهنة تواجه تحديات لن تستطيع حلها بشكل منفرد، وإنما تحتاج إلى تعاون

الآخرين، وهي لهذا تحتاج إلى أن تفكر بشكل خلاق وأكثر إستراتيجية.[1]

• الخاتمة:

تناولنا الكثير من الموضوعات في هذا الفصل، حيث يمكن اعتباره الفصل المركزي في هذه الدراسة، بسبب تركيزه على المواضيع التي تدخل في صلب الفرضية المتبناة في هذه الدراسة.

فقد تناولنا أهم التغيرات الحاصلة على النظام الدولي، بحدوث اكبر حدث تاريخي وهو انهيار الاتحاد السوفيتي، وبالتالي انتهاء الحرب البارد، حيث تم دراسة التحول من نظام ثنائي الأقطاب إلى نظام أحادي القطبية وبالتالي تأثيره على السياسة الخارجية

[1] شلبي، أمين. 2002. "أمريكا والعالم: أسئلة الهيمنة الأمريكية"، **شؤون عربية** 111: 26.

الأمريكية تجاه أوروبا الغربية من خلا حلف الناتو، هذا يقودنا مباشرة إلى الحديث عن التغيرات الحاصلة على القارة الأوروبية باختفاء اكبر مهدد لأمنها وتغير وجهة نظرها بحلف الناتو وبالولايات المتحدة الأمريكية.

بعد ذلك تم شرح أهم أسباب تمسك الولايات المتحدة بحلف الناتو، وكذلك الأسباب التي تدفعها إلى توسيع حلف الناتو باتجاه الشرق, بالتالي اوضحنا أهم الوظائف التي أنيطت بحلف الأطلسي بعد الحرب الباردة.

أخيرا تم الحديث عن التغير الحاصل في العلاقات الأمريكية الأوروبية بعد انتهاء الحرب الباردة، وموقف الدول الغربية من استمرارية وتوسع حلف الناتو، وتطرقنا للعديد من وجهات النظر التي تحاول تفسير العلاقات الأمريكية الأوروبية في هذه الفترة.

- الخاتمة والاستنتاجات:

تمحورت الفرضية الأساسية لهذه الدراسة: حول إصرار الولايات المتحدة الأمريكية على استمرار حلف الناتو وإدخال تغيرات مختلفة على العديد من كافة الجوانب الخاصة بالحلف، وذلك حتى يتلاءم مع المتغيرات الحاصلة على النظام الدولي، وذلك كله بهدف ضمان استمرارية التواجد الأمريكي في القارة الأوروبية والتي تشكل في الاستراتيجية الأمريكية مركزا للأمن والاستقرار في الولايات المتحدة الأمريكية.

بعد الإطلاع على العديد من الدراسات السابقة والرجوع إلى تحليل عدد من المفكرين والكتاب السياسيين فيما يتعلق في هذا الموضوع، وجدنا أن هذه الاستراتيجية الأمريكية كانت

يحكمها في البداية أي قبل انتهاء الحرب الباردة، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية مواجهة المد الشيوعي الذي اعتبر الأخطر على الأمن الأمريكي في تلك الفترة، كونه يشكل العدو القادر على تهديد الولايات المتحدة الأمريكية وتهديد مراكزها الحيوية في العالم، ومن أهمها القارة الأوروبية "أوروبا الغربية" بشكل خاص.

فقد ساد في تلك الفترة العديد من نظريات العلاقات الدولية التي كانت تصوغ بعض التفسيرات لهذه المتغيرات، وكان أهمها النظرية الواقعية، فقد كان الناظم للسياسة الخارجية الأمريكية خاصة تجاه القارة الأوروبية وفي مصلحتها الاستراتيجية، وما يتعلق بذلك من محاولة الولايات المتحدة توفير الأمن لدولتها عن طريق التصدي للعدو الأبرز في تلك الفترة وهو الاتحاد السوفيتي.

تمحورت هذه السياسة الأمريكية بعدة طرق، أولها تميزت بادراك الولايات المتحدة الأمريكية بان أمنها يعتمد بدرجة كبيرة على امن القارة الأوروبية، والقارة الأوروبية في تلك الفترة كانت القارة الأكثر تعرضا للمد الشيوعي بقيادة الاتحاد السوفيتي، وبناء على ذلك لم تدخر الولايات المتحدة أي وسيلة من اجل ضمان الأمن في القارة الأوروبية إلا واتبعتها.

الأمن المقصود به هنا، هو عدم وقوع أوروبا الغربية تحت السيطرة السوفيتية على شاكلة دول أوروبا الشرقية، فاتبعت أساليب عدة كان أهمها الدعم الاقتصادي، فكان بداية مع مشروع مارشال وغيره من المشاريع الاقتصادية، فقد اعتبرت الولايات المتحدة أن بداية

مقاومة المد الشيوعي في القارة الأوروبية لن تكون إلا بإنعاش هذه الدول اقتصـــاديا بســـبب خروجها من الحرب العالمية الثانية منهكة القوى.

الوسيلة الثانية للسياسة الأمريكية في القارة الأوروبية، كانت بإنشـــائها لحلـــف كـــان الأبرز في تلك الحقبة التاريخية وما تبعها من فترات زمنية متتالية، ألا وهو حلـــف شـــمال الأطلسي الذي يشكل محور هذه الدراسة باعتباره الوسيلة الأبرز الـــتي اتبعتهـــا الولايـــات المتحدة للاستمرار في تواجدها وتمركزها في القارة الأوروبية، وخاصة دول أوروبا الغربية، وكذلك سيطرتها بشكل أو بآخر على مجريات الأحداثِ فـــي القـــارة الأوروبيـــة وخاصـــة السياسية عن طريق هذا الحلف، وهذا الإجراء الأمريكي في تلك الفترة الزمنيـــة اســـتطاعت النظرية الواقعية أن تجد تفسيرا منطقيا لجميع السياسات الأمريكية وكذلك الأوروبية.

وبالتالي فان بعض المحللين يجمع على أن تلك الفترة التاريخية كانت فترة واقعيـــة، حيث حكم تصرفات كلا القطبين ضرورة توفير الأمن وامتلاك القوة العسكرية وكذلك إقامـــة التحالفات العسكرية التي تساهم في توفير الأمن لكلا القطبين الدوليين.

إلى هذه الفترة كانت تعتبر الأمور منطقية وعقلانية ولا يوجد ما هو مثير للتســـاؤل والجدل، ولكن تبدأ الإشكالية بانهيار الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة وما ترتب على هذه الأحداث التاريخية من تغيرات عميقة على النظام الدولي بدأت تفرض نفسها على الساحة الدولية وعلى المحللين السياسيين.

كان من أهم هذه الإشكاليات هي: استمرارية حلف عسكري أقيم في فترة حرب، وهو حلف شمال الأطلسي أو حلف الناتو، فالقضية الأساسية التي ناقشتها هذه الدراسة هي جدوى إصرار الولايات المتحدة على استمرار الحلف، لا وبل إدخال العديد من التغيرات والتعديلات على هيكليته وذلك من اجل ملاءمته مع التغيرات العميقة التي حصلت على الساحة الدولية والنظام الدولي برمته.

استمرار الناتو وضع العديد من الوسائل المعرفية والتحليلية وكذلك العديد من المتغيرات الدولية في مأزق محاولة التفسير، فمن ناحية تقول النظرية الواقعية أن الأحلاف العسكرية مصيرها الزوال والانتهاء إذا ما انتهت الأسباب التي أقيمت من اجلها وإذا ما اختفى العدو التي أقيمت لمواجهته.

من ناحية أخرى لم يعد هناك مبرر لدى دول أووربا الغربية لتغاضيها عن التمركز العسكري الأمريكي في القارة الأوروبية والسيطرة الأمريكية غير المباشرة على السياسة الخارجية الأوروبية، حيث بقيت السياسة الخارجية الأوروبية طوال فترة الحرب الباردة مكتسية بالطابع الأمريكي وأكثر تبعية للرؤية الأمريكية، فقد كان المبرر سهل ومتوفر لدى الجميع وهو التصدي للخطر المحيط بالقارة الأوروبية والمتمثل بالتهديد السوفيتي.

لم يعد هذا الوضع مقبولا أو حتى يمكن التغاضي عنه، فليس هناك مبررا عقلانيا لموافقة الدول الأوروبية على استمرارية حلف الناتو، وحتى بقاء هذه الدول تحت مظلة الحماية الأمريكية.

من هنا لاحظنا انه بدأت تتشكل العديد من المطالب الأوروبية الداخلية بضرورة إنهاء حلف شمال الأطلسي، وكذلك بضرورة إنهاء التمركز الأمريكي داخل القارة الأوربية، فليس هناك من مبرر منطقي يستطيع إيجاد تفسيرات لهذه الأحداث، وفي ذات السياق وضعت الأدوات المعرفية في مأزق حيث تعرضت النظرية الواقعية لنقد قاس بسبب عجزها عن التنبؤ بمثل تلك المتغيرات، وكذلك بسبب فشلها في تفسير سبب استمرار حلف الناتو.

هذه هي الإشكاليات التي حاولت هذه الدراسة مناقشتها باختصار وبشكل عام، فاستمرار الناتو وباعتباره ناظما للعلاقات الأمريكية الأوربية وخاصة أوروبا الغربية شكل موضوعا مثيرا للجدل وللدراسة عند معظم المحللين والمفكرين السياسيين.

من هنا وبعد الإطلاع على بعض الدراسات السابقة كانت النظرية التي تستطيع أن تقدم تفسيرا لهذا الإصرار الأمريكي على استمرار حلف الناتو هي النظرية الليبرالية، وذلك لأنه بعد عرض العديد من الأهداف الأمريكية التي تسوقها لتفسير رغبتها في المحافظة على حلف الأطلسي، نرى بأنها تسعى بشكل أو بآخر إلى إقامة حلف يضم عددا كبيرا من دول العالم وليس من الضروري أن تكون معظمها من القارة الأوروبية، فالناتو يتوسع ليشمل دول أوروبا الشرقية واسيا ومعظم المناطق ذات الحساسية الاستراتيجية للأمن الأمريكي، وذلك بهدف ضمان تلك الدول بعدم ظهور إحداها كعدو للولايات المتحدة الأمريكية في الفترات القادمة، كما تهدف الولايات المتحدة كذلك إلى إبقاء هذه الدول تحت المظلة الأمريكية المسيطرة على الحلف.

إذا بشكل أو بآخر تسعى الولايات المتحدة لإقامة هذه المنظمة الأمنية العالمية حتى تكون على أتم الاستعداد لمواجهة أي عدو قادم، قد يكون هذا العدو جديد مثل الإرهاب أو انتشار أسلحة الدمار الشامل من قبل دول تملك تهديد الأمن الاستراتيجي الأمريكي، أو لعدو قديم مثل الاتحاد السوفيتي، بهذا نستنتج أن الناتو بشكله ووظائفه الجديدة وأهدافه الحديثة الذي أقيم لمواجهة عدو واحد وهو الاتحاد السوفيتي، أصبح حلفا هجوميا وليس دفاعيا وهو مستعد للتدخل خارج حدوده السياسية وذلك لمواجهة أي عدو جديد قد يهدد الأمن الأمريكي أو امن أية دولة من الدول المنضوية تحت مظلة الحلف ذو الصبغة الأمريكية.

في خضم هذه المتغيرات لا بد من التطرق إلى وجهة النظر الأوروبية حول هذا الموضوع، كما ذكرنا في أكثر من مرة في هذه الدراسة أن أوروبا كانت خلال فترة الحرب الباردة بحاجة إلى حليف قوي، تمثل في الولايات المتحدة الأمريكية وذلك لمواجهة المد الشيوعي مما دفع الدول الأوروبية للتغاضي عن العديد من السياسات الأمريكية التي عارضتها أوروبا، ولكن بشكل خجول ومبررها في ذلك هو وجود عدو لا بد من التركيز على مواجهته.

أما بعد انتهاء الحرب الباردة واختفاء هذا العدو، دعت العديد من الدول الأوروبية إلى الاستقلالية في قضاياها السياسية وفي سياساتها الداخلية والخارجية.

ولكن "الرياح لم تأت كما تشتهي السفن"، فأوروبا بعد هذه الفترة الطويلة من التبعيـــة غيـــر المباشرة للولايات المتحدة يبدو أنها فقدت القدرة على صياغة سياستها الخارجيـــة أو حـــتى الداخلية بعيدا عن المظلة الأمريكية.

فمن الدعوات التي طالبت بشدة إلى ضرورة إنهاء حلف الأطلســـي أو علـــى اقـــل الحالات ضرورة أوربة هذا الحلف، وجدت فيما بعد أن مصلحتها تتمحور حول اســـتمرارية الحلف، وأوضحنا ذلك في العديد من جوانب هذه الرسالة.

من جانب آخر نجد أن الخلافات الأمريكية الأوروبية بدأت تطفو على السطح، حيث النزعات الأوروبية إلى الاستقلالية عن السياسة الخارجية الأمريكية، والمشاكل الاقتصـــادية ولكن هذه النزعات بقيت خجولة والى الآن لم نلمس تلك السياسة الأوروبية المســـتقلة عـــن السياسة الأمريكية، فالبرغم من وجود تلك المعارضة الأوروبيـــة للعديـــد مـــن السياســـات الأمريكية إلا أن هذه المعارضة بقيت خجولة ولم تستطع إلـــى الآن أن تبلـــور نفســـها إلـــى سياسات مستقلة بالكامل، بل بقيت بشكل أو بآخر تابعة للسياسة الأمريكيـــة، وحـــتى علـــى مستوى النزاعات الأوروبية الداخلية عجزت أوروبا عن إظهار قدرتها على التحكـــم بـــأمور سياستها الداخلية مما يعكس عدم قدرتها على بلورة تلك السياسة المستقلة التي انتظرها الجميع على مستوى السياسة الخارجية.

وبالرغم من ظهور بعض المناوشات هنا وهناك بين الولايات المتحدة والقارة الأوروبية وتنبؤ البعض بإعادة ظهور أوروبا كند كبير للولايات المتحدة، فقد تنبؤ البعض الآخر بفقدان أوروبا لمقومات الندية لأمريكا.

في النهاية تتمحور الفرضية الرئيسية لهذه الدراسة على أن إصرار الولايات المتحدة على استمرار حلف الأطلسي وتمركزها في أوروبا ينطلق من النظرة الأمريكية للقارة الأوروبية باعتبارها مركزا للأمن الأمريكي، وبالتالي لا بد من إبقاء سيطرة أمريكية على دول أوروبا حتى تضمن الولايات المتحدة استقرارها وأمنها، ووسيلة أمريكا لإيجاد الاستقرار في أوروبا كانت بواسطة حلف شمال الأطلسي ذو الملامح الأمريكية.

- المراجع:

- الكتب باللغة العربية:

1- أبو، عامر. 2004. **العلاقات الدولية الظاهرة والعلم الدبلوماسية والاستراتيجية**، رام الله: دار الشروق.

2- السعيد، عبد العزيز وآخرون. 1999. **النظام العالمي الجديد الحاضر والمستقبل: عبر مفاهيم السياسة الدولية في المنظور العالمي**، منشورات اتحاد الكتاب العرب.

3- القوزي، محمد علي. 2002. **العلاقات الدولية في التاريخ الحديث والمعاصر**، بيروت: دار النهضة العربية.

4- اللاوندى، سعيد. 2003. **القرن الحادي والعشرين هل يكون أمريكيا؟ بحث في استراتيجية الصراع من اجل الهيمنة على العالم**، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

5- اوتكين، اناتولى. 2003. **الاستراتيجية الأمريكية للقرن الحادي والعشرين**، ترجمة أنور إبراهيم، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

6- تود، ايمانويل. 2003. **ما بعد الإمبراطورية: دراسة في تفكك النظام الأمريكي**، ترجمة محمد إسماعيل، بيروت: دار الساقي.

7- ج، وارن ناثر. 1976. **مخطط كيسنجر**، ترجمة جهاد الخازن، بيروت: دار القضايا.

8- حسين، شريف.2001. **الولايات المتحدة من العزلة والاستقلال إلى سيادة العالم 1783-2001**، القاهرة: الجمعية المصرية للثقافة العالمية.

9- الحيالي، إسماعيل نزار. 2003. **دور حلف شمال الأطلسي بعد انتهاء الحرب الباردة**، ابوظبي: مركز الإمارات للدارسات والبحوث الاستراتيجية.

10- دورتي، جميس. 1985. **النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية**، ترجمة وليد عبـــد الحـــي، الكويت: كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع.

11- عياد، عبد العزيز. 1993. **العالم ما بعد انتهاء الحرب الباردة: انهيارات بنائية وافـــاق تبلـــور جديد**، القدس: المركز الفلسطيني للدراسات والنشر.

12- غايات، نيكولاس. 2003. **قرن أمريكي آخر**، ترجمة رياض حسن، بيروت: دار الفارابي.

13- كيكن، روبرت. 2004. **عن الفردوس والقوة: أمريكا وأوروبا في النظام العالمي الجديد**، ترجمة فاضل جتكر، بيروت: الحوار الثقافي.

14- كيسنجر، هنري. 2002. **هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية؟ نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين**، بيروت: دار الكتاب العربي.

15- مصطفى، ممدوح. 1997. **مفهوم النظام الدولي بين العملية والعلمية**، ابو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.

16- ميرل، مارسيل. 1999. **العلاقات الدولية المعاصرة: حساب ختامي**، ترجمة حسن نافعة، القاهرة: دار العالم الثالث.

17- ميكال، بيار.1993. **تاريخ العالم المعاصر 1945-1991**، ترجمة يوسف ضومط، بيروت: دار الجيل.

18- ناي، جوزيف. 1997. **المنازعات الدولية: مقدمة نظرية**، ترجمة احمد الجمـــل، القـــاهرة: الجمعية المصرية لنشر الثقافة والمعرفة العالمية.

19- ناي، جوزيف. 2003. **مفارقة القوة الأمريكية: لماذا لا تستطيع القوة العظمى الوحيدة في العالم أن تمضي وحدها**، ترجمة محمد توفيق البحيري، الرياض: مكتبة العبيكان.

- المقالات باللغة العربية:

1- أبو طالب، حسين. 1997." توسيع الناتو ومستقبل الأمن الأوروبي" ، **السياسة الدوليـــة**: 129: 100.

2- الاشول، نجوان. 2004." العلاقات الأوروبية الأمريكية بين الاستقلال والتبعية"، **السياسة الدولية**: 157: 115.

3- الأطرش، محمد.1993. " تطور النظام الدولي "، **المستقبل العربي**: 171: 51.

4- بريجنسكي، زيعينيو. 1999. " حلف شمال الأطلسي وخيارات التوسع "، **شؤون الأوسط**، العدد 84: 19.

5- تيدستروم، جون. 1999." التحديات الاقتصادية لحلف الناتو: التنمية والإصلاح في شرق ووسط أوروبا "، ترجمة شهرت العالم، **الثقافة العالمية:** 89: 110,

6- جاد، عماد. 1998. " اثر تغير النظام الدولي على حلف شمال الأطلنطي"، **السياسة الدولية:** 134: 8.

7- جاد، عماد. 1997." الجدل حول توسيع الناتو"، **السياسة الدولية:** 129: 76.

8- الجابي، ريم. 1999. "أوروبا أمريكا: سوء تفاهم أم بداية صراع الإدارات "، **معلومات دولية:** 60: 28.

9- الحروب، خالد. 2002." الولايات المتحدة وأوروبا بعد 11 سبتمبر: تعزيز الانفرادية الأمريكية والتهميش الأوروبي"، **شؤون عربية:** 111: 41.

10- الحروب، خالد.2002. " تعزيز الانفرادية الأمريكية والتهميش الأوروبي "، **شؤون عربية:** 111: 121.

11- خليل، محمود. 2001. " الأمن القومي العربي والمتغيرات الإقليمية والدولية الجديدة "، **السياسة الدولية:** 146: 213

12- دالدر، ايفو. 2002. " هل تتجه الولايات المتحدة وأوروبا إلى الطلاق "، ترجمة محمـــد البجيرمي، **الثقافة العالمية**: 114: 14.

13- دجاني، ريم. 1999. " أوروبا أمريكا: سوء تفاهم أم بداية صـــراع الإدارات "، **معلومات دولية**: 60: 234.

14- زرنوقة، صلاح سالم. 1997." الناتو بين مرحلتين "، **السياسة الدولية**: 129: 68.

15- سعداوي، عمرو عبد الكريم.1997. " فرنسا وتوسيع الناتو"، **السياســـة الدوليـــة**: 19: 106.

16- سلامة، غسان. 2003. " التحولات في النظام الـــدولي وأبعـــاده العربيـــة "، **المســـتقبل العربي**: 288: 16.

17- سوتير، روبرت.2004 ." أوروبا ولعبة السلم والثعبان "، **الثقافة العلمية**: 124: 114.

18- سولانا، خافيير. 2000. " حلف الناتو في القرن الحادي والعشـــرين "، ترجمـــة هشـــام الدجاني، **الثقافة العالمية**: 99: 71.

19- الشاهد، جاسر. 2005." تأثير استراتيجيات السياسة الأمريكية علـــى توجهـــات النـــاتو"، **السياسة الدولية**: 129: 90.

20- شلبي، أمين.2002." أمريكا والعالم: أسئلة الهيمنة الأمريكية" ، **شؤون عربيـــة**: 111: 26.

21- الشواف، عبد اللطيف.1990. " التغيرات في النظام الدولي وقضية الوحدة "، **المســـتقبل العربي**: 133: 27.

22- صالح، عبد الله. 1997." بعد قمة مايو: أهداف خطة توسيع الناتو"، السياســـة الدوليـــة: 129: 84.

23- عبد العزيز، محمد أسامة. 2001. " الاستراتيجية الجديـــدة لحلـــف النـــاتو "، **السياســـة الدولية**: 149: 207.

24- عودة، جهاد. 2005." الأسس العسكرية لتوجهات حلف الناتو إزاء الشـــرق الأوســـط "، **السياسية الدولية**: 129: 268.

25- فتحي، ممدوح أنيس. 1997." إجراء عمليـــة توســـيع النـــاتو... المشـــكلات والحلـــول المطروحة "، **السياسة الدولية**: 129: 79.

26- مير شيمير، جون. 2002. " مستقبل سياسة التهدئة الأمريكية "، ترجمة شـــادي بطـــاح، **الثقافة العالمية**: 114.

27- وولكر، مارتن.2002." أوروبا ... أزمة وجود" ، ترجمة فـــرج الـــترهوني، **الثقافـــة العالمية**: 111.

- الكتب باللغة الإنجليزية:

1- Broadhurst, Arlene. 1982. **The Future of European alliance system NATO and the Warsaw pact**. Boulder: Westview Press.

2- Cronish, paul. 1997. **Partnership in crisis the European and rise of NATO**. London: The Royal Institute Of International Affairs.

3- Cyr, Arther**.** 1997. **after the cold war: American foreign policy Europe and Asia**. London: Macmillan press.

4- Donnelly, Jack.2000. **Realism and international relations**. U. K: Cambridge University Press.

5- Gaddis, John Lewis. 1997. **We now know: rethinking cold war history**, Oxford: Oxford University Press.

6- Gordon, Philip. 1997. **NATO's transformation: the changing shape of the Atlantic alliance**. New York: Rowman and Little Field Publisher.

7- Hunter, Robert. 2002. **The European security and defiance security: NATO's companion or competitor. RAND Europe.**

8- kaplan, Morton. 1993. **The rational for NATO European collective security past and future**. Washington: Stanford university press.

9- Kegly, Charls.1995**. Controversies in international relation theory: realism and neoleberal challenge**. New York: St. Martin's press.

10- Knorr, Klaus**. 1959. NATO and American security**. New Jersey: Princeton University Press.

11- Laferrer, Eric.1999. **International relations theory and ecological thought**. London: Roulledge.

12- Lukas, john. 1992. **A History of the cold war**. New York: Anchor Books.

13- Mcwilliam, Wayne.1997. **The world since 1945: a history of international relations**. London: Rienner Publisher. P 594.

14- Moens, Alexander**.** 2003. **NATO and European security alliance politics from the end of the cold war to the age of terrorism.** London: Prager press.

15- Nicholas, Sir.1983. **The Birth of NATO**. Boulder: Westview Press.

16- Rothstein, Robert. 1991.**The evolution theory in international relations**. South Carolina: University of South Carolina press.

17- Wholforth, William. 1993. **The elusive balance: power and perceptions during the cold war**. London: Cornell University Press.

- المقالات باللغة الإنجليزية:

1- Ball, Christopher 1998, **Review of international studies** 24, "netting NATO negativism? Reasons why expansion maybe good thing". P 60.

2- Brezezinski, zbigniew 1992. **Foreign Affairs** 71, "The cold war and its aftermath". P 87.

3- Ethan Kapstein 1995. **International organization** 49."Is realism dead? The domestic sources of international politics". P 754.

4- Gaddis, John Lewis 1992**, International Security** 17, " international relation theory and the end of the cold war" . p 50.

5- Jaffe, Josef 1984, **Foreign policy** 54," European's American pacifier". P 64.

6- Larlabee, Stephen 1999**, the international spectator** xxxlv," NATO enlargement after the first round". P 52.

7- Lebow, Richard Ned 1994, **International organization** 48**,**" The long peace, the end of the cold war, and the failure of realism". P 250.

8- Macalla, Robert 1996. **International organization**, "NATO's persistence after the cold war". P 40.

9- Mandelbalum, Michael, 1995. **Foreign Affairs** 94, "Ending the cold war". P 51.

10- Owen, Henry1995, **Foreign affair** 56, " NATO strategy: what is past is prologue". P 110.

11- Robert B. McCall 1996. **International organization** 50. "NATO's persistence after the cold war". P 476.

12- Suri, Jeremi 2002. **Journal of cold war**. " Explaining the end of the cold war: a new historical consensus". P 60.

13- Smith, Wayne1995**, Foreign affair** 54, " what forces for NATO and from whom" . p 159.

14- Walt, Stephen 1997, **Survival** 39, "Why alliance endure collapse". P 157.

15- Wohlforth, William 1995, **International security** 19, "Realism and the end of the cold war". P 125.

- شبكة الانترنت:

1- Braun, Karl Otto, **American policy toward Europe: the faithful Chang** www.ihr.org/jhr/ (accessed Apr 14, 2005)

2- Carr, Nathan. **The U. Sand Europe: toward sustainable foreign policy.** www. glbaleng age. Org/isues/2003. (Accessed Apr 14, 2005)

3- Hulasman, John. **A conservation nision for U.S policy toward Europe**. http:// www. Heritage.org/ research/ Europe. (Accessed Apr 14, 2005)

4- http://www. Iraq 4all .dk/ book/m-USA/ htm, (accessed Apr 14, 2005)

5- **U .S – European relation after the end of the east – west conflict.**

File: lla: lu-s- European relation impact on the Mediterranean region. htm.

(accessed Apr 14, 2005)

6- ***The enlargement of NATO***

http: // www.state. gov/ pleur/ rls/ fs/ 1425k htm (Accessed Apr 14, 2005)

7- study on NATO enlargement

http:// www. Nato- int/ docu/ basictxt/ enl- 9503.htm. (Accessed Apr 14, 2005)

.**NSC 68: United States objectives and programs for national security** -8

http:// www. Metholyoke. edu/ acad/ intrel/ ncs- 68/ nsc68-1. htm